مشاهد من الواقع الاجتماعى

د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان
دكتوراة فى علم الاجتماع
كبير مدرسى علم الاجتماع بدرجة مدير عام
استاذ بجامعة اسكندرية سابقا



مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ شارع د. مصطفى مشرفة
تليفاكس ٤٨٧٩٤٧٢ اسكندرية

إهـــــــداء 2005

د/ حسين عبد الحميد رشوان

الإسكندرية

مشاهد من الواقع الاجتماعى



مشاهد من الواقع الاجتماعي

دكتـــــور

حسين عبد الحميد أحمد رشوان

دكتوراه فى علم الاجتماع

كبير مدرسى علم الاجتماع بدرجة مدير عام / أستاذ

جامعة الإسكندرية (سابقاً)

٢٠٠٥

الناشـــر

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ ش د. مصطفى مشرفة

الإسكندرية تليفاكس ٤٨٣٩٤٩٦

Web Site: www.shababalgamaa.com
Email: ahmedhassan@shababalgamaa.com



محتويات الكتاب

الفصل الأول

في الدين

الفصل الثاني

الأسرة

الفصل الثالث

العلم والتعليم

الفصل الرابع

الصحة

الفصل الخامس

الاقتصاد

الفصل السادس

فى السياسة

الفصل السابع

الإدارة

الفصل الثامن

الشرطـة

الفصل التاسع

الأخلاق

الفصل العاشر

في السلوك المنحرف

الفصل الحادى عشر

أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١

المقدمـة

جـاء هـذا الكـتاب تـتمة لـثلاثة كتـب سابقة. كان الأول بعـنوان : "مشـاكل وقضايا معاصرة". ويتضمن ١٣٣ مقال تعبر عن مشاكل وقضايا موجودة فى المجتمع.

وجاء الكتاب الثاني بعنوان : "أضواء على الحياة الاجتماعية ". ويتضمن هذا الكتاب ٧٧ مقالة تمس الحياة الاجتماعية . وعنون الكتاب الثالـث بـــ "سلوكيات"، ويشتمل على ٩٠ مقالة وهو محاولة لتهذيب سلوك الناس، وحثهم على السير السوي، والبعد عن الضلال.

ويحمـل هـذا الكتاب عنواناً هو "مشاهد من الواقع الاجتماعي" يتضـمن ٧٠ مقالـة، فيكون مجموع ما كتبته من مقالات ٣٧٠ مقالة. وتعكـس صـفحات هذا الكتاب الواقع الاجتماعى فهى تنم عن موقف واجهـته بنفسـى، أو موقـف رواه لى أحد الأقارب، أو الأصدقاء، أو الـزملاء، أو المعارف، أو تجيء المقالة رداً أو تعليقاً على ما جاء فى الصحف، أو تكون نتاج خاطر عنّ فى ذهنى.

ومـن هـذه المقالات الـ ٧٠ التى جاءت فى هذا الكتاب نشر ثلاث وثلاثون ولم ينشر سبع وأربعون مقالة.

وينقسـم الكـتاب إلى أحد عشر فصلاً الفصل الأول بعنوان فى الديـن ويتضمن هذا الفصل تسع مقالات ، نشر منها خمس، ولم ينشر أربع مقالات.

ويحمـل الفصـل الثانـي عنواناً هو : "الأسرة". ويشمل خمس مقالات، نشر منها ثلاث مقالات، ولم تنشر مقالتين.

وجـــاء عـــنوان الفصل الثالث "العلم والتعليم" ويضم ٧ مقالات، نشر منها ثلاث مقالات، ولم تنشر أربع مقالات.

الفصل الرابع بعنوان "الصحة"، وبه مقالتان نشرتا.

وعُـــنْون الفصـــل الخامس بـــ "الاقتصاد". وهو يضم ٧ مقالات نشر منها مقالتان، ولم تنشر خمس مقالات.

ويحمـــل الفصل السادس عنواناً هو "في السياسة" ويشمل الفصل ٧ مقالات، نشر منها مقالتان، ولم تنشر ٥ مقالات.

ويشير الفصل السابع إلى الجوانب الإدارية، ويشمل مقال واحدة نشـــرت. ويحمل الفصل الثامن عنوان "الشرطة"، ويضم خمس مقالات نشر منها أربع مقالات ولم تنشر مقالة واحدة.

وجـــاء عـــنوان الفصـــل التاسع "الأخلاق" ويتضمن الفصل ٨ مقـــالات نشـــر مـــنها مقالتان، ولم تنشر ست مقالات. وعُنْون الفصل العاشر بـــ "في السلوك المنحرف" ، ويشتمل على ٩ مقالات، نشر منها سبع مقالات، ولم تنشر مقالتان.

وجـــاء عـــنوان الفصل الحادي عشر "أحداث الحادى عشر من ســـبتمبر ٢٠٠١" وبالفصل عشر مقالات، نشر منها مقالتان، ولم ينشر ثماني مقالات.

الفصل الأول

الدين

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١)

نكتب اليوم فى ظل هذه الذكرى العطرة، ذكرى مولد حبيب الله محمـــد رسول الله. ولد الهدى صلى عليه وسلم، فالكائنات ضياء. وكل عام وأنتم بخير.

تــزوج أبــوه عــبد الله بـــن عبد المطلب وهو فى سن الرابعة والعشرين من آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة سيد بنى زهرة إذ ذاك ســـنا وشرفاً. وأقام عبد الله مع آمنة فى بيت أهلها ثلاثة أيام، على عـــادة العـــرب حين يتم الزواج فى بيت العروس، ثم انتقل وإياها إلى مـــنازل بنى عبد المطلب، ولم يقم معها طويلاً، إذ خرج فى تجارة إلى الشـــام وتركها حاملاً. وعند عودته عرج على أخواله بالمدينة ليستريح من عناء السفر وليقوم بعد ذلك فى قافلة إلى مكة.

لكنه مرض عند أخواله فتركه رفاقه حتى إذا بلغوا مكة أخبروا أبـــاه بمرضـــه، ولم يلبث عبد المطلب أن أوفد الحارث أكبر بنيه إلى المديـــنة ليعود بأخيه. وحين وصل الحارث إلى المدينة علم أن عبد الله مات ودفن بها بعد شهر من مسيرة القافلة إلى مكة، فرجع أدراجه ينعي أخاه إلى أهله ويثير من قلب عبد المطلب همّاً وشجناً.

تقدمت بآمنة أشهر الحمل حتى وضعت، فبعثت إلى عبد المطلب عـــبد الكعـــبة تخـــبره أنه ولد له غلام، وذكر ابنه عبد الله وقلبه مفعم

بالغبطة لخلفه، وأسرع إلى زوج ابنه وأخذ طفلها بين يديه، وسار حتى دخل الكعبة وسماه محمداً.

وقد اختلف المؤرخون فى العام الذى ولد فيه. ولكن مال أكثرهم إلـى القول بأنه ولد فى عام الفيل عام ٥٧٠ ميلادية. وتولت حليمة بنت أبـي ذؤيـب إرضاعه وكانت قد أعرضت عن محمد أول الأمر، كما أعـرض عـنه غـيرها، ذلك أنها كانت على جانب من ضعف الحال صـرف الأمهـات عنها. فلما أجمع القوم على الانطلاق عن مكة قالت حلـيمة لزوجها الحارث بن عبد العُزّى : والله إنى لأكره أن أرجع مع صـواحبي ولـم آخـذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم ولآخذنه ! وأجابها زوجها : لا عليك أن تفعلى ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. وأخـذت حليمة محمداً وانطلقت به مع قومها إلى البادية. وكانت تحدث أنهـا وجدت فيه بركة : سمنت غنمها ، وزاد لبنها ، وبارك الله فى كل ما عندها.

وعاد محمد إلى أمه فى مكة وقد بلغ سن الخامسة، وعزمت الأم الذهـاب بابـنها إلـى المدينة لترى الغلام أخوال جده من بنى النجار، وأخذت معها أم أيمن الجارية. وحين اعتزمت آمنة العودة مرضت أثناء الطـريق بالأجواء وهى قرية بين المدينة والجحفة، بينها وبين المدينة ثلاثـة وعشـرون مـيلاً، وماتت، وهو فى السادسة من عمره، ودفنت بالأجواء. وعادت أم أيمن بالطفل إلى مكة.

انتقلـت كفالة محمد إلى جده عبد المطلب، ثم مات عبد المطلب وهو فى الثمانين من عمره، ومحمد ما يزال فى الثامنة، فآلت كفالته إلى عمه أبى طالب وفى القرآن الكريم : "ألم يجدك يتيماً فآوى".

تـــزوج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من خديجة، فقد بعثت إلـــيه (ص) تقـــول : يا ابن عم إنى قد رغبت فيك لقرابتك وَسِطَتِك فى قومك، وحسن خلقك وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها ليتزوجها. وكانـــت رضى الله عنها من أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهـــن مالاً، وكل واحد من قومها كان حريصاً على الزواج بها لو يقدر على ذلك.

خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ خرج معه عمه حمزة بـــن عـــبد المطلـــب، وأبـــو طالب، ودخلا على والدها خويلد بن أسد، فخطـــباها إلـــيه، فـــزوجها، وأصدقها رسول الله (ص) عشرين بكرة. وكانـــت أول امرأة تزوجها رسول الله (ص) ، ولم يتزوج غيرها حتى توفاها الله. وكان كل أولاده منها : الذكور وهم القاسم وبه يكنى (ص) ، وعبد الله، والطيب، والإناث وهن: فاطمة ، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، على جميعهم السلام. أما إبراهيم فهو ابن مارية القبطية المصرية.

وحين نزلت الرسالة قال سيدنا أبو بكر بمجرد أن علم بها. قال: صـــدقت وصـــدقته سيدتنا خديجة فور أن قال بها. وحين أعلن لها أنه خـــائف أن يكـــون الذي أصابه مرض أو مسُ من الجن رفضت ذلك . وقالت له : والله لا يخزيك الله أبداً.

وقـــد فضل الله سبحانه وتعالى محمداً عليه الصلاة والسلام على جمـــيع الرســـل. يقول تعالى : "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، مـــنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات"، فقد كلم الله موسى تكليماً من وراء حجاب، وبلا واسطة. "وكلم الله موسى تكليماً" (النساء : من الآية ١٦٤).

فحين نادى الحق سبحانه وتعالى الرسل، نادى كلاً بمشخصاتهم العَلَمِيّة (يا آدم)، والمشخص العَلَمى هو الاسم. وكذلك حين نادى الحق إبراهيم عليه السلام ، يقول : "يا إبراهيم، قد صدَّقْت الرؤْيا" (الصافات: ١٠٤-١٠٥).

وكذلــك نادى الحق "نوحاً" فقال : "يا نوح اهبط بسلام" (هود : من الآية ٤٨). وكذلك نادى الحق موسى عليه السلام، فقال : "يا موسى إنى أنا الله" (القصص: ٣٠). وكذلك نادى الحق عيسى عليه السلام. "يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس" (المائدة : من الآية ١١٦). أما محمد عليه الصلاة والسلام فما ناداه باسمه أبداً يقول تعالى : " يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر" و "يا أيها النبي".

بعــث الله ســبحانه وتعالى محمداً عليه الصلاة والسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. وبشرية الرسول حتمية، بل إنها من تمام الرســالة. يقول تعالى : "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل". (آل عمران:من الآية ١٤٤).

ويقــول سبحانه وتعالى : " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" - أى مبشــراً بالــرحمة للبشــرية، فهو الذى أنقذها من ظلمات الجهالة. والمطلــوب أن يــأتى العرب بسورة من مثل ما جاء به القرآن الكريم، والشهود الذين يطلب الله دعوتهم شهود ضعفاء. إنهم شهود من البشر.

ويضاعف عليه الصلاة والسلام من التصاقنا بالمثل العليا، والتى تتجلى فى سيرته (ص). وقد أثنى الله تعالى عليه (ص)، وذلك فى قوله

تعـــالى : "وإنك لعلى خلق عظيم" (القلم : آية ٤). ومن حديثه (ص) : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

وإذا تحدثـــنا عـــن أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وجدنا أنفســـنا أمـــام سيل هائل من الفضائل والمكارم الأخلاقية. فمن أخلاقه الصـــدق والأمانة التى كان متحلياً بها قبل وبعد البعثة. فكان أهل مكة يقولون : جاء الصادق الأمين، وذهب الصادق الأمين .

وكان عليه الصلاة والسلام أكمل الأزواج، رب أسرة يعرف ما علـــيه مـــن حقـــوق وواجبات، يعامل الذين بالبيت معاملة كريمة. قيل لعائشة رضى الله عنها: كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فـــى أهله؟ قالت : كان أحسن الناس خلقاً، لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا صـــخاباً في الأسواق - لا يرفع صوته، ولا يجزى بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح.

وروى أنـــس بن مالك أنه خدم النبي عشر سنوات فلا نكره ولا لامه. أفسح له المجال لينتقل من خادم إلى عالم.

وكـــان علـــيه الصـــلاة والسلام يبيح لنسائه شيئاً من المرح فى الدار*.

*****

---

* نشرت بجريدة أخبار إسكندرية والعالم. العدد ٥٨ / آخر مايو ٢٠٠١ ص ١٠ .

الإيمـان

(٣)

أصـــول الديـــن ثلاثة : الإيمان بالله، والإيمان بالبعث، والعمل الصالح. وشرط الإيمان هو الإذعان النفسي، والتسليم القلبي لكل ما جاء بـــه الرســـول علـــيه الصلاة والسلام. فمطلوب الإيمان أن ينفذ المرء التكاليف التى يأتى بها المنهج من الله عز وجل، ومن المبلغ عنه سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأوامر والنواهى .

يقول الله سبحانه وتعالى : "المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون على المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الـــزكاة ويطيعون الله ورسوله" (التوبة : ٧١). فبمقتضى الإيمان يحب المؤمـــنون والمؤمـــنات وينصر بعضهم البعض، ويأمرون بما يأمر به دينهم ، وينهون عما ينكره الدين.

ويقول سبحانه وتعالى : " ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنـــثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً" . (النساء : ١٢٤). فالمؤمنون الذين يعملون الصالحات من الذكور والإناث يدخلون جنة النعيم، ولا ينقصون أى مقدار ولو ضئيلاً.

ويقول سبحانه عز وجل : "وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أيكـــم زادتـــه هذه إيماناً، فأما الذين آمنوا فزاتهم إيماناً وهم يستبشرون" (التوبة : ١٢٤). وقد انقسم المفسرون على أنفسهم فى تفسير هذه الآية، فمـــنهم مـــن قال : إن الإيمان ينقص ويزيد. وقال البعض الآخر : إن الإيمـــان لا يـــنقص ولا يـــزيد. ويقول هؤلاء الذين قالوا إن الإيمان لا يـــنقص ولا يـــزيد أنـــه فى اللحظة التى يتألق فيها الإيمان فى القلب،

ويستقر فيه، وهو الإيمان بالله، وأن لا إله إلا الله، ولا معبود سواه، وأن محمداً رسوله المبلغ عنه. هذا الإيمان لا ينقص ولا يزيد. ويتمثل ذلك في قول الإمام عليّ رضى الله عنه : "لو انكشف عنى الحجاب ما ازددت يقيناً".

أما الذين قالوا بأن الإيمان يزيد وينقص، فاعتقدوا أن كل المسلمين مؤمنون بالله، ولكن فى جزيئات التطبيق نجد من يطبق عشرين جزئية، وآخر يطبق ثلاثين. أما أصل الإيمان وهو التوحيد، فلا يزيد ولا ينقص.

ويثمر الإيمان فى المؤمن أخلاقاً حسنة وأعمالاً صالحة. والأخلاق القرآنية المترتبة على الإيمان كثيرة. ويجمعها خلق التقوى. فالتقوى أمُّ الأخلاق. لأنها تجمع معظم الأخلاق الإسلامية، وهو أول وأهم ما يترتب على الإيمان. وقد جعل الله سبحانه وتعالى التقوى مقياساً للتفاضل بين الناس. يقول سبحانه وتعالى : "إن أكرمكم عند الله أتقاكم " (الحجرات : من الآية ١٣).

لقد خلق الله الناس متساويين من أصل واحد هو آدم وحواء، وأرفعكم منزلة عند الله فى الدنيا والآخرة أتقاكم له.

والمؤمن هو من حمد الله وصبر على ما ابتلاه. فالكلام سهل ، وكل واحد منا يدعى أنه مؤمن، وأنه مستحق للجنة. وقد زعم الجبابرة أمام شعوبهم حتى لحظة موتهم أنهم كانوا يحسنون صنعاً.

يقول الله تعالى : "إذا ابتليت عبداً من عبادى مؤمناً فحمدنى وصبر على ما ابتليته فإنه يقوم من مضجعه كيوم ولدته أمه من الخطايا. ويقول الرب للحفظة : إنى قيدت عبدى هذا وابتليته فأجروا له

مـــا كنتم تجرون له من قبل ذلك من الأجر " (صحيح - أخرجه أحمد والطبرانـــي نقـــلاً عن أ. حامد إبراهيم ، و د. محمد حسين القصبجي. كفارات الخطايا وموجبات المغفرة ص ٢٢)*.

*****

شهر رمضان

(٣)

هَــلَّ شـــهر رمضان - شهر الصيام، والذى هو واجب بالكتاب والســنة والإجمـــاع. يقول فيه الله سبحانه وتعالى: "شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشـــهر فليصـــمه ومـــن كان مريضاً أو على سفر فعدَّة من أيام أخر". ويقـــول ســـبحانه وتعالى : " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون". (البقرة : ٨٣).

وحثَّــت السُــنَّة على الصيام فى شهر رمضان. عن أبى هريرة رضـــى الله عـــنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، قال الله عز وجل : "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لى. والصيام جُنَّة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إنى صـــائم مرتين، والذي نفس محمد بيده لخَلوف فم الصائم أحب عند الله من ريح المسك".

وعن أبى أمامه صُدَىٌّ بن عجلان الباهلىٌّ رضى الله عنه، قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فى حَجَّة الوداع، فقال :

---

* نشرت بجريدة أخبار إسكندرية والعالم. العدد ٦٢ بتاريخ آخر يوليو ٢٠٠١ ص ١٠ .

اتقــوا الله، وصــلوا خمســكم، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا أمراءكم ، تدخلوا الجنة" (رواه الترمذى).

والصــيام هو الإمساك عن المفطرات، وكف البطن عن الطعام والشراب، فعند إيصال شيء إلى الجوف عمداً، يفسد صوم الصائم.

وكذلــك الإمســاك عن إخراج القيء، فإن ذرعه القيء لم يفسد صــومه. وكذلــك كف الفرج عن قضاء الشهوة بالإمساك عن الجماع والاســتمناء. وكــف الجوارح عن الآثام ، وجميع هذا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية.

والصوم ليس حرماناً ، بل وجد من أجل حرية الإنسان، وظهور النفس يوجبه العقل عن اختيار من الصائم.

ويتم الصوم بستة أمور هى :

١- غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر إلى كل ما يذم ويكره.

٢- حفــظ اللسان عن الهذيان ، والكذب، والغيبة، والنميمة، والفحش، والجفاء، والخصومة، والمراء.

٣- كف السمع عن الإصغاء إلى مكروه.

٤- كــف بقية الجوارح عن الآثام: من اليد ، والرجل، وعن المكاره، وكــف البطــن عن الشبهات وقت الإفطار، فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ، ثم الإفطار على الحرام. وقد قال صلى الله علــيه وســلم :" كــم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش" (أبى هريرة).

٥- أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه.

٦- أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقاً بين الخوف والرجاء، إذ ليس يدري أيُقْبَلُ صومه فهو من المقربين، أو يرد عليه فهو من الممقوتين.

وشهر رمضان كله خير. فمن تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه. والصيام خير، فهو يقع فى شهر جعل الله فـيه لـيلة خير من ألف شهر، ومن فَطّر فيه صائماً كان مغرفة لذنوبه وعـتقاً لرقبـته مـن النار، وكان له مثل أجره من أن ينقص من أجر الصائم شيء. وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة.

وهو شهر التقى ، فيه يهل على الإنسان لفحة من الإيمان. فالبر من اتقى، والبر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين.

وفى شهر رمضان يتقرب الإنسان من الله بالعبادة، فطوبى لمن صلى وصام وقام فى رمضان.

وشـهر رمضـان هـو شهر الذكر والرجاء والدعاء. عن أبى هريـرة رضـى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاثـة لا تـرد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل، ودعوة المظلوم" (الترمذى).

وفى الصيام سعادة وفرحة الفرد، فى حديث نبوي شريف، يقول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفِطْره، وإذا لقى ربه فرح بصومه" (أحمد ومسلم والنسائى - متفق عليه).

والصـــيام توحـــيد لمعـــنى الإخاء والمساواة أمام الله ما له من رياضـــة روحية، فالناس يمسكون جميعاً من مطلع الفجر إلى الليل، تتم بينهم مساواة كما تتم فى صلاة الجماعة.

وشهر رمضان ملئ بالذكريات الحلوة والانتصارات فى سنة ٢ هجـرية نـــزل الوحى بصيام شهر رمضان. وحدثت غزوة بدر سنة ٢ هـــ. وســـنة ٨ هـــ تم فتح مكة. وسنة ٩ هـ توفيت السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفى رمضان عام ٤١٤ هـــ دخل المسلمون مدينة سرقوسة بجزيرة صقلية. وفى رمضان سنة ٦٥٧ هـــ أندحرت قوات المغول أمام الجيوش الإسلامية بقيادة الملك المظفـــر قطز فى معركة عين جالوت. وفى رمضان سنة ١٣٩٣ هـــ بدء حرب رمضان المجيدة وعبور القوات المسلحة المصرية ضفة قناة السويس وتحطيمها خط بارليف*.

*****

ليلة القدر

(٤)

ما المراد بليلة القدر ؟ ليلة القدر هى ليلة فى شهر رمضان قال عـــنها عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وســـلم قال عن ليلة القدر :" هى فى شهر رمضان فى العشر الأواخر، لـــيلة إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع

* أرسلت إلى جريدة أخبار إسكندرية والعالم فى ٢٠٠١/١١/١٠، ولم تنشر .

وعشـــرين، أو تســـع وعشـــرين، أو آخر ليلة من رمضان. من قامها احتساباً، غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر" (أحمد)

وقـــد أخفاهـــا الله ســـبحانه وتعالى لحكمة هى : إحياء عدد من اللـــيالى فـــى طاعـــة الله، التماساً لها، أما هذا الذى وهبه الله التوفيق، فأحياها ملتمساً مرضاة الله فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه.

ولـــيلة القدر ليلة خير من ألف شهر، فيها نزل القرآن ، وتتنزل الملائكـــة والـــروح فيها بإذن ربها. يقول الله سبحانه وتعالى فيها: "إنا أنزلناه فى ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شـــهر، تـــنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلام هى حتى مطلع الفجر".

وهـــى ليلة سلام يستمر من غروب الشمس حتى مطلع الفجر، وتنتشـــر فـــيها الروحانية بقراءة القرآن، والصلاة، والذكر، وتنزل فيها الملائكـــة طائعة للذاكرين، مستغفرة لهم، ومصلية عليهم، ومبشرة لهم عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا كـــان ليلة القدر، نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة، يصلون، ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى ".

وكـــان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعد لهذه الليلة بالعبادة، ويهـــيء الجو الروحى المناسب لنزول الملائكة والروح. وكانت التهيئة التى يقوم بها صلى الله عليه وسلم استعداداً لشروق نور هذه الليلة، إنما هـــى الاعـــتكاف. فقد كان صلى الله عليه وسلم يعتكف عادة فى العشر الأواخر من رمضان، فيدخل المسجد قبل غروب شمس اليوم العشرين من الشهر المبارك : يدخل متفرغاً للعبادة ، متجهاً إلى الله بكل كيانه.

روى الإمام الترمذى، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : "قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أى ليلة ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال صلى الله عليه وسلم : قولى اللهم إنك عفو غفور تحب العفو، فاعف عنى"*.

*****

وسطية الإسلام

(٥)

أحب الأمور إلى الله سبحانه وتعالى أوساطها، ولذلك جاء الإسلام وسطاً بين المادة والروح. يقول الله سبحانه وتعالى: " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس " (البقرة:١٤٣).- أى هديناكم إلى الطريق الأقوم، وجعلناكم أمة عدولاً خيارا.

والوسطية قيمة أخلاقية لها طرفان وواسطة، فطرفه الذى يميل إلى الزيادة يسمى تكبراً، وطرفه الذى يميل إلى النقصان يسمى نخاساً ومذلة. والوسط هو فضيلة الاعتدال بحيث لا يطغى أحدهما على الأخر.

والوسط العدل هو وسط بين رذيلتين، فلا تجنح النفس إلى الإفراط والتفريط، إفراط يجب تجنبه، وتفريط أى نقص يجب تلافيه. فالشجاعة وسط بين التهور والجبن. والكرم وسط بين البذخ والبخل. والعفة وسط بين الفجور والجمود. وعلى المرء أن يضع الأمور مواضعها كما يجب، وأن يعود إلى الوسط الذى هو الصراط المستقيم.

---

* أرسلت إلى أ. محمد عامر رئيس تحرير جريدة الحقيقة فى ٢٠٠٠/١٢/١٠، ولم تنشر.

ويبدو الذميم في الديمقراطية والدكتاتورية على السواء، ففي الدكتاتورية يتجلى خطر أولئك المتبعين، وقوة تأثير القادة، فهم قد وضعوا أنفسهم أو وضعتهم ظروفهم في موضع واضح، وكانوا بارزين في الحياة، وعلى مرأى ومسمع من الجموع، وركزوا كل شيء في أشخاصهم، وأداروا كل شيء حولهم، أو أدير حولهم كل شيء، فهم منبهون مستهوون قد حملوا من عبء الأضلال الكثير الثقيل.

وفي ظل الديمقراطية قد تصدر قرارات لا تمت إلى الديمقراطية بصلة، وإنما تنتمي إلى غباء الطغيان وعربدته، أو يصدر قرار، أو حكم سياسي، لا يعتقد في قانونيته، فالولايات المتحدة الأمريكية، وهي قمة الديمقراطية كما يزعمون، والدولة المتبنية مبدأ حقوق الإنسان في العالم، كثيرا ما نجدها تتخذ إجراءات غير قانونية. منتهكة بذلك حقوق الإنسان.

وشهدت إسرائيل، ويعتبرونها رمز الديمقراطية في الشرق الأوسط، شهدت حادثاً هزها في عنف خلال الأسبوع الأخير من شهر يونيو عام ٢٠٠٠، ويتمثل في تزايد هجمات المتشددين على المعابد اليهودية.

ومن هنا فنحن لا نريدها ديمقراطية بحتة، ولا ديكتاتورية بحتة، وإنما نريدها وسطاً بين هذا وذاك.

يقول الله سبحانه وتعالى: " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط " (الإسراء: ٢٩) أي فلا تمسك يدك عن الإنفاق في الخير، وتجعلها كأنها مربوطة في عنقك بغل من الحديد ولا تقدر على مدها، ولا تبسطها كل البسط بالإسراف في الإنفاق، فتصير مذموماً

علـــى الإمساك نادماً أو منقطعاً لاشيء عندك بسبب التبذير والإسراف.
ويقــول تعالى: " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ". ويقول: " كلوا واشربوا ولا تسرفوا "

وفــى أيامنا هذه نرى البذخ الحكومى مستمرا، فوزارة المالية – مثلاً– أهدرت مائة مليون جنية فى إنشاء مركز تدريب، واشترت أربع طوابــق بــبرج ســياحى، وقامت بتشطيبها على نظام الخمسة نجوم. (الحقيقة، العدد، ٥٥، ٢٣/ ٤/ ١٩٩٩ ص٣).

ونهاية التكبر ونهاية التنقص والتذلل مذمومان والمحمود المطلق هو العدل. يقول سبحانه وتعالى: "ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مــرحا، إن الله لا يحــب كــل مختال فخور " ويأمرنا سبحانه وتعــالى بالوسطية، والاعتدال حتى فى مشيتنا وأصواتنا. يقول سبحانه وتعــالى: " وأقصد فى مشيك وأغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصــوت الحمير " (لقمان: ١٩). فالله يأمرنا أن نتوسط فى المشى بين الســرعة والبطء، وبخفض الصوت، لأن أقبح ما يستنكر من الأصوات هو صوت الحمير، أوله زفير مما يكره، وأخره شهيق مما يستقبح*.

*****

* نشرت بجريدة "الأيام الجديدة"، العدد ٨٠، فى ٢٠٠١/٨/١٩، ص ٥ .

الإسلام والسّلام

(٦)

جعــل الله تحــية المسلمين بلفظ السلام للإشعار بأن دينهم دين السـلام والأمـان، فالســلام هو تحية المسلمين التى تؤلف بين قلوبهم، وتقوى الصلات، وتربط الإنسان بأخيه الإنسان.

وقــد أراد الله ســبحانه وتعالى حث الإنسان على أن يكثر من السلام. فحين تكلم الحق عن يحيى عليه السلام، قال: " وسلام عليه يوم ولــد ويوم يموت ويوم يبعث حيا" (مريم:١٥). وحين تكلم عيسى عليه السلام عن نفسه، قال:" والسلام عليَّ يوم وُلِدْت ويوم أموت ويوم أُبْعث حياً" (مريم : ٣٣).

وعــن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم: أى الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " (متفق عليه) وقال أبو هريرة رضى الله عــنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تدخلوا الجنة حتى تؤمــنوا، ولا تؤمــنوا حــتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم " (أخرجه مسلم).

والمســلم مكلــف وهو يناجى ربه – بأن يسلم على نبيه، وعلى نفسه، وعلى عباد الله الصالحين.

وفى ميدان الحرب والقتال، إذا أجرى المقاتل كلمة السلام على لســانه، وجــب الكف عن قتاله، لقول الله تعالى: " ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمناً ". وتحية الله للمؤمنين تحية سلام: " تحيتهم يوم يلقونه سلام".

ويـــبدو فـــارق بين قولنا: "السلام عليكم" و "عليكم السلام" فحين يلقـــاك إنسان يقول لك "السلام عليكم" وأنت ترد "وعليكم السلام" لماذا ؟ لأن الســـلام عليكم تعنى أن السلام منى يكون عليك وعلى غيرك. أما ردك "وعليكم السلام" فيعنى أنك خصصته بهذا السلام.

وينـــبغى على كل مسلم أن يبدأ بالسلام قبل الكلام، ويصافح من يتكلم معه عند السلام. قال صلى الله عليه وسلم: "السلام قبل الكلام" فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام " (الطبرانى). وقال بعضـــهم دخلـــت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم أسلم، ولم استأذن، فقال النبى (صلى الله عليه وسلم) : " أرجع فقل السلام عليكم وادخل" (أبو داود والترمذى) وسبب ذلك أن السلام أمان، ولا كلام إلا بعد الأمان.

والانحناء عند الإسلام منهى عنه. قال أنس رضى الله عنه، قلنا يـــا رســـول الله: أينحـــنى بعضنا لبعض ؟ قال: لا. قلنا: فيقبل بعضناً بعضـــاً؟ قال: لا. قلنا: فيصافح بعضناً بعضاً ؟ قال نعم. (الترمذى من حديـــث عائشة رضى الله عنها). (أبو حامد الغزالى إحياء علوم الدين. الجـــزء السادس ص $\frac{٢٤}{١٠١٤}$ ، والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر).

وروى أنـــه سلم رجل على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يبول، فلم يجب، فيكره السلام على من يقضى حاجته.

أقول هذا بمناسبة ما رواه لى أحد الأصدقاء من أن أحد الرؤساء إذا مرَّ على واحد، ولم يُلْق هذا المرء عليه السلام، ناداه، واستفسر منه عـــن عـــدم تحيـــته له، ووبخه على فعلته. وإذا حيا المرءُ الرئيس، ردَّ

الـــرئيس بقرف وغطرسة، بل وقد لا يرد. وتناسى الناس قوله سبحانه وتعالى: "وإذا حييتم بتحية فحيُّوا بأحسن منها أو ردوها" (النساء:٨٦)*.

*****

الإسلام والعمل

(٧)

حـــث الإسلام الإنسان على أن يأكل من عمل يده والتعفف به، فالمـــؤمن يعـــرف إيمانه بالعمل. والدليل الصحيح على إيمانه و عمله. يقـــول الله سبحانه وتعالى: عما يفعله المؤمن بعد الصلاة: " فإذا قُضِيت الصـــلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكـــم تفلحون " (الجمعة: ١٠) ويقول سبحانه عز وجل: وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ".

وحركة الحياة كلها عبادة، إن كانت الصلاة فهى عبادة، والصوم عـــبادة، والعبادة هى أن تخلص العمل، ذلك أن الصلاة تحتاج إلى قوام الحياة، فلابد أن تتوافر لك مقومات الحياة حتى تصلً، وما هى مقومات الحـــياة ؟ إنهـــا الطعام والشراب والمسكن والملبس. إذن فجماع حركة الحياة كلها سلسلة عبادة.

وكـــل عمل يؤدى إلى عمارة الكون، واستنباط أسرار الكون فى الوجـــود يعتبـــر عـــبادة الله لأنك تخرج من كنوز الله التى أودعها فى الأرض بمـــا يلفت الناس إلى الحقيقة الكونية التى جاء بها الإيمان. فى

---

* نشرت بعنوان "السلام" بجريدة الزمان، العدد ٣٠، فى ١٩٩٩/٨/٢٤، ص ٦ .

الصـــلاة أنـــت تقطع من وقتك، فتسمى العبادة الصحيحة. أما العمليات الأخرى، فالإنسان يخرج للحياة ويزرع ويصنع.

وقـــد عقد القرآن مقارنة بين شخصين، أحدهما عبد عاجز فقير، لا يـــؤدى دوراً نافعـــاً فـــى خدمة المجتمع عن طريق العمل والكسب والإنفـــاق. والآخر حر قادر، يعمل ويكسب وينفق، ولاسيما فى وجوه البر.

وعقد كذلك مقارنة أخرى بين شخصين: أحدهما عبد أو كالعبد، أبكـــم عالة على سيده، عاجز لا يستطيع القيام بأى عمل نافع. والآخر رجل (حر) يستخدم مواهبه وطاقته فى تبصير الناس بالهدى، ويأمرهم بوجه خاص بالتزام العدل.

يقول سبحانه وتعالى: ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شـــىء، ومـــن رزقـــناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً، هل يســـتوون الحمـــد لله بـــل أكثرهم لا يعلمون. وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخـــير. هـــل يســـتوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم" (النحل: ٧٥-٧٦).

وحـــدث أن عَمِـــل رجال الصفوة والقادة فى حياتهم، عن النبى صـــلى الله عليه وسلم أنه قال: " كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمـــل يـــده " (رواه البخارى). وعن أبى عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأن يأخذ أحدكـــم أحْـــبُله ثـــم يأتى الجبل، فيأتى بحزْمة من الحطب على ظهره

فيبيعها، فيكفَّ الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه " (البخارى)

ويحكى أن أبى الدرداء وجده بعض الناس يغرس شجرة، وكانت قد تقدمت به السن. وهى لن تبلغ ثمارها إلا بعد سنوات طوال. فسألوه عن سبب غرس هذه الشجرة، وهو لن يبلغ ثمارها، فرد عليهم: ماذا يضرنى؟ فقد زرع من قبلنا فأكلنا. ونحن نزرع ليأكل من يأتى بعدنا. واستطرد أن العمل يرضى الله سبحانه وتعالى أين هذا مما يفعله إنسان اليوم. البعض يظل ساهر طوال الليل وحتى الفجر فى مشاهدة فيلم فيديو أو لعب الكوتشينة أو الطاولة، ويظل نائماً طوال النهار، ويستيقظ فى الثالثة عصراً. يعنى يقلب نهاره ليله، وليله نهاره، إعلم أيها المرء أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى عما تفعله فهو يتعارض مع قوله عز وجل " وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا " .

وإذا نبَّهت من يأتى إلى عمله بعد الواحدة ظهراً، وطلبت منه أن يبدأ عمله فى الصباح الباكر، رد عليك: أنا أنام وأصحى على مزاجى وليس على مزاجك.

إن مسؤولية البحث عن عمل تقع على عاتق الأفراد أوَّلاً، ثم الدولة. إنها مسئولية ثنائية، فالفرد عليه أن يسعى من أجل أن يجد له عملاً والدولة والحكومة ينبغى عليهما أن يوفرا مجالات للعمل. فالبطالة تؤدى إلى فساد المجتمع، وانخفاض مستوى المعيشة، والجريمة.

فـــى أيامنا هذه كثرت سرقة السيارات، أو أجزاء منها، قد تكون المرآة، الراديو، أو الاستبن. وقد تبين أن الغالبية العظمى من اللصوص هم من العاطلين*.

*****

الدين والفن

(٨)

جاءت الأحاديث الصحيحة الصريحة تنهى عن صناعة التماثيل، وعـــن تصوير ما فيه روح سواء أكان إنساناً أو حيواناً أم طيراً. وورد فـــى القـــرآن الكـــريم قوله سبحانه وتعالى عن الشعراء أنهم يتبعهم الغاوون، وأنهم فى كل وادى يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون. ثم عاد القـــرآن، واســـتثنى منهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات. يقول سبحانه وتعالى "إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات"

وينطـــبق هـــذا على الفنون بجميع أشكالها، فهى تخضع جميعاً لـــنفس القاعدة، حسنها حسن، وقبيحها قبيح، كل ما يدعو منها إلى خير هو فن حسن، وكل ما يدعوا إلى الفساد والإفساد هو فن قبيح، أو ردىء وهابط.

وقـــد أجمـــع الفقهـــاء علـــى أنه يجوز تصوير ما لا روح فيه كالأشجار والأزهار. وأيد الطحاوى وهو من أئمة الأحناف ذلك، فقال: " إنمـــا نهـــى الشارع أولاً عن الصور كلها، وإن كانت رقماً لأنهم كانوا

* نشرت بجريدة الزمان، العدد ٦٨، فى ٢٠٠١/٨/٢٨، ص ٥ .

حديثى عهد بعبادة الصور، فنهى عن ذلك جملة، ثم أباح ما كان رقماً فى ثوب للضرورة.

كذلك الحال بالنسبة للصور التى لا ظل فيها، كالنقوش فى الحوائط، وعلى الأرض، والصور التى توجد فى الملابس والستور والصور الفوتوغرافية، فهذه كلها جائزة، وكانت ممنوعة فى أول الأمر ثم رخص بها فيما بعد (السيد سابق.فقه السنة. المجلد الثانى ص٤٥).

ولقد أباح الإسلام لعب الأطفال كالعرائس ونحوها، فأنه يجوز صنعها وبيعها، فعن عائشة رضى الله عنها قالت: " كنت ألعب بالبنات (صور للبنات كانت تلعب بها) فربما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى الجوارى (جمع جارية وهى الشابة الصغيرة)، فإذا دخل خرجن، وإذا خرج دخلن " (رواه البخارى وأبو داود).

وعن التماثيل قالت عائشة رضى الله عنها: كانت لنا ستر فيها تمثال طائر، وكان الداخل إذا دخل استقبله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حولى هذا، فإنى كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا " (رواه مسلم).

وهذا الحديث دليل على أنه ليس بحرام لأنه كان لو كان حراماً فى آ خر الأمر لأمر بهتكه ولما أكتفى بمجرد تحويل وجهه، بالإضافة إلى ذلك فإن علة تحويل وجهه هو تذكيره بالدنيا.

ولقد كان المسجد هو العنصر الرئيسى ونواة مدينة المجتمع المسلم. وقد اشتق اسمه من السجود الذى يكون العبد أقرب ما يكون إلى ربه. وكان المسجد أول ما يبنى فى المدينة الإسلامية الجديدة. وهو نهج سار عليه القادة الإسلاميون إقتداء لأثر الرسول صلى الله عليه وسلم

عـــندما هاجر من مكة إلى المدينة، وكان أول ما أقامه بها مسجد وداره إلى جواره. ويتمثل ذلك فى مدينة الكوفة والبصرة والفسطاط.

بالإضـــافة إلى ذلك فقد كانت المساجد العناصر المركزية التى تـــتجمع حولهـــا الخدمـــات. ومـــازال للمسجد دوره الهام فى المجتمع الإسلامى كمركز للإشعاع الثقافى والدينى والنشاط الاجتماعى.

وقـــد اتجه الفنانون اتجاهاً جديداً يؤسسون عليه فنّهم ويتمثل هذا الاتجاه فى ربط الفن بحياة الناس، فلقد برزت الفلسفة التكعيبية فى بداية القـــرن العشـــرين. وأقامت الحقيقة الفنية على أساس هندسى يتمثل فى العلاقات المعمارية بين المسطحات والمكعبات والاسطوانات. ثم امتدت الفلســـفة التكعيبـــية إلـــى التصوير فشملت النوافذ والأبواب وواجهات العمارات ومداخلها*.

*****

التوبة

(٩)

تعنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله، المقرب إلى الشيطان، فـــإذا ما أقترف الفرد ذنباً، واستوجب المذنب العقوبة، وقبل الله التوبة، فقـــد تجاوز الله عن العقوبة. يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز: "إن الله بـــرىء من المشركين ورسوله" (التوبة:٣) هنا يعلن الله سبحانه

---

* أرســـلت إلـــى أ. وحـــيد غـــازى رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير جريدة المواجهة فـــى ٢٠٠٢/٣/١، ولـــم تنشـــر هى وأربع مقالات أخرى ويبدو أن هذه الجريدة قد احتكرت الكتابة فيها لأصحابها .

وتعالى القطيعة مع الكافرين. ولكن الله برحمته لا يغلق الباب أمام عباده أبداً، ولذلك يقول الله تعالى : "فإن تبتم فهو خير لكم" (التوبة:٣) ويقول سبحانه وتعالى : "فإن يتوبوا يك خيراً لهم".

إذن فقد فتح الله للكافرين باب التوبة، أما إذا تولوا فهم غير معجزى الله بقوله تعالى: "وإن توليتم فأعلموا أنكم غير معجزى الله". وإن تابوا فقد عفا الله عنهم. يقول سبحانه وتعالى : "وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون" (الشورى:٢٥) ويقول : "ألم يعلم أن الله هو يقبل التوبة" (التوبة:١٠٤).

ولقد جاءت كلمة هو كضمير فصل أو ضمير اختصاص، فهى اختصاص الله سبحانه وتعالى. وهذا ما يمنع المشاركة فيما بعدها لغيرها. فنحن نتوب إلى الله، ولا نتوب إلى رسول الله ، ولذلك جاء القول من الحق محدداً: "ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة" متجاوزاً، أى بقبول التوبة عن العقوبة.

وفتح باب التوبة رحمة بالمجتمع، ولحركة الحياة كلها. فالفرد تحركه الشهوة، و ليس فى الوجود آدمى إلا وشهوته سابقة على عقله، وغريزته التى هى عدة الشيطان متقدمة على غريزته التى هى عدة الملائكة. ولذا كان الرجوع مما سبق إليه ضرورياً ولو أغلق الله باب التوبة لاستشرى المجرم فى إجرامه، ولأصبح كل من ارتكب ذنباً مصيره إلى النار، وإذا علم الإنسان أن مصيره إلى النار مهما فعل، فلابد أن يستشرى فى الذنب، ويزداد فى الإثم.

ثـــم إن الـــذى يعـــانى من الشرور هو المجتمع، فإذا وجد لص خطــير -مــثلاً- فالذى يعانى من سرقاته هو المجتمع. وإذا وجد قاتل فالذى يعانى من جرائمه هو الذى سيقتلهم من أفراد المجتمع.

وللتوبة شروط هى : العلم بما فعله المرء من إثم. والثاني : أن يقلع عن المعصية. والثالث أن يندم على فعلها. والرابع : أن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً. فإن فقد المذنب أحد هذه الشروط الثلاثة لم تصح توبته، فإن كانت المعصية فى مال أو نحوه ردّه إلى صاحبه. وإن كانت حــدَّ قذف ونحو ذلك مكنه منه أو طلب عفوه. وإن كانت غيْبة استحله منها.

ويجب أن يتوب المرء عن جميع الذنوب، فإن تاب عن بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقى عليه الباقى. قال الله تعــالى : "يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً" (التحريم:٨). والنصوح الخالص لله تعالى يكون خالياً من الشوائب مأخوذ من النصح. ويــدل علــى فضــل التوبة، قوله تعالى :"إن الله يحب التوابين ويحب المتطهريــن" (الــتحريم : ٨). وقــال عليه السلام :" التائب حبيب الله، والتائــب من الذنب كمن لا ذنب له. وعن أبى هريرة رضي الله عنه. قال : "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "والله إني لأستغفر الله، وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرّة" رواه البخارى"*.

---

* أرسلت إلى أخبار إسكندرية والعالم، ولم تنشر .

الفصل الثانى

الأسـرة

الرجل المثالى

(١٠)

لا شــك أن الفــرد هو أساس المجتمع والحياة الاجتماعية، فلو صلح حالة الفرد صلح حال المجتمع. والإنسان كل لا يتجزأ. فهو إذا ما كان شريفاً، كان أميناً، عطوفاً، متسامحاً، نبيلاً، متواضعاً. وينعكس هذا على حياته العامة، وحياته الخاصة. كذلك الأخلاق وحدة لا تتجزأ، فمن كان غير أمين فى حياته العامة، فهو غير أمين بشكل أو بآخر فى حياته الخاصة.

والرجل المثالى هو رجل كامل فى مظهره، وفى مخبره، يعرف مالــه وما عليه من حقوق وواجبات، فيؤديها بإتقان. يخاف الله ويتقيه، ويحــب الله والخــير والجمــال والحق والكرامة ... ويكره الشيطان، والقبح، والخيانة.

والإنسان المثالى له رأى صائب، وفكر ثاقب. إذا تحدث، أسمع وإذا تــناول موضــوعاً أو قضية شرح وجهة نظره وأقنع. وإذا تحاور يكــون ملماً بآداب الحوار، يعرف متى يتكلم، ومتى ينبغي أن يصمت. وهــو لا يقــول إلا الطيب من الكلام، والنافع من القول. لا يدعو إلى الخراب والدمار والفتن . وإذا ما تعامل مع الناس أحبهم وأحسن وأبدع.

وهــو إذا ما اعتدى أحد على محارم الله غضب، وثار وأوجع، ومع ذلك فهو راقى فى غضبه، إذ يتمتع بالثبات الإنفعالى، والقدرة على

ضـبط الانفعال، فلا يندفع غاضباً ثائراً لأبسط الأمور، ويفقد السيطرة على أعصابه وسلوكه، وينهار ، ويصدر عنه كلام غير منطقى وألفاظ سـيئة. وهـو لا يلجأ إلى العنف البدنى، أو اللفظى، أو السخرية ، أو التهكم والتحقير، واستخدام الألفاظ البذيئة. وهو شجاع يثق فى نفسه.

وهـو إذا مـا حدثته نفسه بخير وأمرته بمعروف أسرع، وإذا همس الشيطان فى أذنيه بشرٌ صمت وأسكن وأقلع.

وهـو صبور وصادق. والرجل الصدّاق هو رجل قوى صادق مـع نفسه، صادق مع الناس، صادق مع زوجته. والصدق قيمة أخلاقية علـيا، تعـنى السمو فالصادق إنسان رفيع، ذلك أن الكذب أكبر موارد الـنفاق. وأكثر ما يعين المرء على الصدق قلة الكلام، وإيثار الصدق. فالصمت حكم ، وقليل فاعله. وفى هنا يتعين تخير الصادقين وصحبتهم. والله تعـالى يقول : "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" (التوبة : ١١٩).

والإنسان الفاضل هو إنسان قوى الإرادة، قوى الشكيمة، وفىٌ إذا عـاهد، سـخىٌ إذا أعطى، عدل فى حكمه، هادئ فى طبعه، أمين إذا أؤتمن، عفيف إذا سأل، ويرتبط عنده العفاف بالكرامة، والصدق والقوة، ثم الخير والجمال والسمو.

والـرجل المـثالى هـو ذلـك الذى يبتعد عن الخيلاء والتعالى والغـرور والانـتفاخ الكـاذب، ذلك أن المغرور لديه نقص شديد فى إحساسـه بذاتـه، ومن أكبر الكبائر ما يبتلى به الإنسان من الرغبة فى الظهـور ونيل رضاء الناس، وإعجابهم به، وتقديرهم له. وتلك الرغبة تغـرى المـرء بالـنفاق، فهو يكذب ويرائى ويتملق الناس، حتى ينال

رضاءهم. وكثيراً ما تدفع الأنفة والكبرياء بزمام المرء، فتدفعه إلى أن يخون ويغدر وينتقم ويتحول إلى منافق. يخون من ائتمنه، ومن صادقه، ويغدر بمن عاهده ووثق به*.

*****

من هى المرأة ؟

(١١)

مـن المـرأة ؟ المـرأة هى النصف الحلو المكمل للرجل، هى الجنس اللطـيف الـذى يبحث عنه الرجل، وهو مراهق، وناضج، والمرأة أم الـرجل فى الصغر، وحاضنته ومربيته. وهى كذلك أم أولاده، وطاهية طعامـه، وغاسلة ثيابه، وواحة قلبه الخضراء. وهى زوجته فى الكبر، وممرضته فى الشيخوخه. هى صاحبته التى خلقها الله له، وخلقه لها.

وللمرأة منزلة مقدسة، رحم الله أمى رحمة واسعة. وهذا الإحلال الراسـخ فـى القلب ما يزال قائماً، مادام فى الدنيا أخوات، وزوجات، وبـنات، ونساء حانيات فى المجتمع، أو عاملات يبنين ما تصدع منه، ويضمدن جراح ما انجرح، ويضعن لمسة رقيقة بين صخر الحياة الخشن المتعجرف.

ولهـذا أوصـانا الله بالنساء خيرا، يقول سبحانه وتعالى: " إما يبلغـن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهم أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهمـا قولاً كريما ". وقد خصَّ الله حالة الكبر لأنها الحاجة التى يحتاج فيها الآباء إلى بره، لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر، والأم فى هذه الحالة من مراعاة أحوالها أكثر مما ألزمه من قبل.

---

* نشرت بجريدة أخبار إسكندرية والعالم، العدد ٥٩، يونيو ٢٠٠١ .

فيا أيها الابن - لا تقل لهما أف، ولا تتبرم بهما، ولا تزجرهما، وتغلظ لهم فى القول، وقل لهم قولاً كريما- أى ليناً ولطيفاً.

والمــرأة تحــب الحب... تحب الخيال... تحب البكاء والحزن. وهــى كأنــثى تستقبل المتعة الجنسية صافية... تحب لجسدها الارتواء العاصــف والدائــم والمــتوحش، وهى إذا عاشت مع رجل يغلب عليه الجــنس تاقت إلى العاطفة، وإذا عاشت مع رجل تغلب عليه العواطف تاقت إلى الإشباع الجنسى.

وإذا قــيل أن النســاء ناقصــات عقل ودين، فهذا لا يعنى أنهن قلــيلات العقــل والدين، بل يعنى أن المرأة ليست حازمة بالدرجة التى تحزم الأمور، فهى ترعى طفلاً ليس إنساناً عاقلاً وناضجا.

والعقل مأخوذ من العقال لأنه يحزم الشيء، وعندما تكون المرأة حازمة، فإنها لا تستطيع أن تتعامل مع الطفل، فهى تعامله كطفلة مثله، وتلاعبه حتى يهدأ، وحتى يستطيع الحركة والكلام.

وعــن ذلــك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " .... أما نقصــان دينكــن فالحيضة التى تصيبكن تمكث إحداكن ما شاء الله أن تمكــث لا تصلى ولا تصوم، فذلك نقصان دينكن، أما نقصان عقولكن فشهادتكن إنما شهادة المرأة نصف شهادة " (رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة وأحمد)*.

*****

* نشرت بجريدة "الزمان"، العدد ٧٨ بتاريخ ٢٠٠٢/٦/٢٥، ص ٥ .

ماذا نقول عن الخطبة

(١٣)

ذهـــب العريس وعمه وأخواله لخطبة فتاة، وكان أن أصر آباء العـــريس علـــى أن يقدمهم الخال إلى أهل العروس. وحاول الخال أن يعـــتذر عـــن هذه المهمة، ولكنهم أصروا على ذلك. وقدم أبو العريس الخـــال فقـــال الخال كلمتين مختصرتين، وبدون إعداد. والحمد لله أثنى الجميع على ما جاء فى الكلمة.

بسم الله الرحمن الرحيم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، جئنا إلـــيكم، ونشكركم على حسن استضافتكم لنا، وحسن استقبالكم، جعل الله بيتكم عامراً بالسعادة، ومليئاً بالأفراح.

جئـــنا إلـــيكم بنـــيَّة طلب ابنتكم فلانة، لأبننا فلان إعمالاً لتعاليم الإســـلام، الـــذى حث على الحياة الزوجية، أى الازدواج، لا الفردية، فـــالازدواج هو أساس طبيعة المخلوقات فى الكون، وهى ظاهرة عامة مضـــطردة لا يشذ عنها عالم الإنسان، أو عالم الحيوان، أو عالم النبات قـــال ســـبحانه وتعـــالى : " والـــذى خلـــق الأزواج كلهـــا ...... " (الزخرف : من الآية ١٢).

ولـــم يعـــترف الإسلام برابطة إنسانية بين الرجل والمرأة غير الـــزواج فهو سنة من سنن الله فى الخلق والتكوين، يقوم على العشرة، والتعاون والمودة والرحمة. يقول سبحانه وتعالى: " ومن آياته أن خلق لكـــم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن فى ذلـــك لآيات لقوم يتفكرون " (الروم: ٢١) ويقول تعالى: " وجعلنا بينكم مـــودة ورحمـــة "و" وألفً بين قلوبهم " فاللهم ألف بين قلوب المؤمنين،

واللهم ألف بين قلوب الأزواج والزوجات، فبارك الله لكما، وجمع بينكما على خير.

ويا أيها العريس : أتق الله فى عروسك. ويا أيتها العروس: أتق الله فى عريسك، وحافظى عليه، وعلى ماله، وعرضه.

وقــد جعل الله اتصال المرأة بالرجل اتصالاً كريماً، مبنياً على رضــاها، وعلــى إيجاب وقبول، وعلى إشهاد، ومن هنا وضع سبحانه وتعــالى نــواة الأسرة التى تحوطها غريزة الأمومة، وترعاها عاطفة الأبــوة. وبالزواج تنمو غريزة الأمومة والأبوة، وتنمو مشاعر العطف والود والحنان، وهى فضائل لا تكمل إنسانية الإنسان إلا بها.

والزواج هو الأسلوب الذى أختاره الله للتوالد والتكاثر، والحفاظ على النسل، واستمرار الحياة. قال سبحانه وتعالى: " يا أيها الناس اتقوا ربكــم الــذى خلقكــم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ... " (النساء:) وقال تعالى : " المال والبنون زينة الحياة الدنيا ".

وبالزواج يشعر الإنسان بتبعة الزواج ورعاية الأولاد، مما يبعث على النشاط، وبذل الوسع فى تقوية ملكات الفرد ومواهبه، فينطلق إلى العمل من أجل النهوض بأعبائه، والقيام بواجبه.

أكرمكم الله ، وملأ حياتكم بالخير والسعادة*.

*****

---

* أرســلت إلــى أ. حســنى رشــوان - رئــيس مجلس إدارة جريدة "حديث المدينة"، فى ٢٠٠٢/٦/١، ولم تنشر. ويبدو أنه آلى على نفسه أن لا ينشر مقالات لآل رشوان.

لماذا العنوسة

(١٣)

تعد ظاهرة العنوسة، وتأخر الفتيات للزواج إلى سن الثلاثين من أهـم المشكلات التى تواجه مجتمع اليوم، وتتعارض العنوسة مع تعاليم الإسـلام، والتى تبدو فى قوله سبحانه وتعالى: " ومن آياته أن خلق لكم مـن أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودَّة ورحمة إن فى ذلك لآيـات لقـوم يـتفكرون " (الـروم: ٢١). وقول سبحانه وتعالى: " فانكحوهـن بـإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان ... " (النساء : ٢٥).

فـى أيامنا هذه يغالي بعض الآباء فى المهور والشبكات. ومن يودُّ أن ينشأ أسرة لا يقيمها بمجهوده هو وعروسه، ولكن يقيمها بالمهر العالى والشبكة المرتفعة القيمة.

ذهـب الفـتى وأمه لخطبة فتاه. ووافق أبو العروس وأمها على الخطبة، وطالبوا أهل العريس بأن يتردد على العروس ليتعارفا، ويقررا الموافقـة علـى الـزواج من عدمه. وبعد عدة زيارات دعى العريس العـروس علـى تـناول العشاء معاً، وجسَّ رأيها فى موضوع المهر والشـبكة والحفلـة، وذلك كتمهيد للمناقشة مع أهلها، ولإتاحة المعرفة بـرأيها فـى هذا الموضوع، فأشارت العروس إلى أرقام تفوق قدراته، وطالبته بإقامة حفلة فى فندق خمس نجوم، فذهب العريس ولم يَعُدْ.

ويسـاوم بعض الآباء فى قيمة المهر والشبكة، وتظل المساومة ساعاتٌ وساعات، يقول فيها أبو العريس عن قيمة المهر : هزّهم شوية،

وكـــأن العـــروس ســـلعة تباع وتشترى، مما أغضب العريس وأهله ، فتركوا البيت غاضبين.

وذهب آخرون لخطبة فتاة لابنهم، وعرضوا ما لديهم فيما يخص المهـــر والشبكة، ووافق أهل العروس، ولكنهم طلبوا إقامة حفلة للخطبة وقراءة الفاتحة، وثانية لتقديم الشبكة، وثالثة لعقد القران، ورابعة للدخلة. وأحـــس العـــريس وأهله أنهم يريدون جذبهم لإقامة هذه الحفلات على حســـاب العـــريس، وكل حفلة تتطلب كوافير ، وفستان، ومكان لإقامة الحفلة، وما يقدمونه للمعازيم، فتساءل العريس: ماذا هم فاعلون ؟ . هل هـــم جالســـون يتفرجون؟ وما هى مدى مساهمتهم فى ذلك؟. وماذا ؟. وماذا ؟. وأخيراً سار الموضوع فى خطه الطبيعي بعد أن اكتفوا بحفلة واحدة يساهم فيها الاثنان.

وخطـــب عـــريس يعمل فى دولة عربية، فتاة، وظلت العروس وأهلهـــا لا تكُفُّ عن الطلبات، وأُلقِي العبء كله على العريس، كل يوم هات وهات، حتى ضجَّ العريس وهرب منهم.

وخطـــب فتى من أسرة متواضعة، يعمل أبوه سائقاً فى شركة، فـــتاة وتحدد المهر بـــ ٥ آلاف جنيه، ولم يشيروا إلى المؤخر، ثم توفى أبـــو العروس، ولما همُّوا باستكمال إجراءات الزواج، بعد انقضاء فترة الحداد، قام عمها بدور الأب، وأصرَّ على أن مؤخر الصداق ١٥,٠٠٠ جنـــيه، فـــنفر العـــريس وأهله، وكادت الخطبة أن تفشل، لولا أن أهل العروس تراجعوا عن هذه المغالاة.

وخطبت فتاة مرتين. وكانت تحكى ما مَّر بها من خطوات لابنة خالـــتها، وتقـــوم الأخـــيرة بالاتصال بالعريس أو أهله تليفونياً، وتبث

سمومها فى حديثها معهم قائلة : أن الفتاة التى تودُّون خطبتها لعوب، وقد سبق لها التعرف على شباب فينسحب العريس من التقدم لها.

وفيما مضى كان العروسان يتزوجان فى بيت أبى العريس أو العروس، ويستمر زواجهما فى المكان مدة حتى يسهّل الله لهما الأمر، فيبني العريس مسكناً، أو يؤجره، واليوم يشترط أهل العروس على العريس أن يجهز شقة تمليك أو إيجار، وقد يشترطون أن تكون فى المنطقة الفلانية أو الحى الفلاني، والتى قد تبلغ قيمتها كتمليك ١٠٠,٠٠٠ مائة ألف جنيه.

وفيما مضى كان بيت الزوجية يقام، وقد خلا من الثلاجة والتلفزيون، بل وحتى المذياع. ومع مرور الوقت يشترى الزوج لوازم البيت قطعة قطعة، أما عروس اليوم فتشترط استكمال لوازم البيت جميعها، ومنذ اليوم الأول من الزواج.

فيا أيتها الأسر، وافقوا على الشخص الذي يتقدم لابنتكم ما دمتم ترضون دينه وخلقه، ولو بخاتم من حديد.

ويا أيها المسئولون أقيموا النوادى والجمعيات والهيئات الاجتماعية والثقافية والرياضية، بما يسمح بالتلاقى والتعارف بين الشباب والشابات، ويتيح الفرصة للخطبة والزواج، وتكوين الأسر، فتنخفض نسبة العنوسة، وتقل معدلات جريمة خطف الإناث واغتصابهن*.

*****

* أرسلت إلى أ. محمد حسن سالم – رئيس مجلس إدارة جريدة "الدوامة" فى ٢٠٠٢/٣/١ ولم تنشر، ويبدو أن الجريدة أوقفت نشاطها .

الزواج فى الإسلام

(١٤)

يـــا كــتاب الغــرب تدَّعون أنكم تضعون الخير نبراساً لكم فى الحــياة، فأى خير هذا الذى تتحدثون عنه. أنتم تبحثون دائماً عن الشر، وعــن أى ذريعة تتحرشون بها ضد المسلمين، وتهاجمونهم. فقد ظهر كتاب فى ألمانيا يهاجم المسلمين، ويصفهم بأنهم يتكاثرون كالفئران.

يا ناس يا هوه – الزواج هو أحسن وضع طبيعى، وأنسب مجال حــيوى لإرواء الغريزة الجنسية وإشباعها، فيا أهل الغرب أنتم يتزوج الواحد منكم بواحدة، ثم تقيمون العديد من العلاقات مع الإناث، وتنجبون أبناء غير شرعيين.

اعلموا أن الزواج يهدأ البدن من الاضطراب، وتسكن النفس عن الصراع، ويكف النظر عن التطلع إلى الحرام، وتطمئن العاطفة إلى ما أحــلَّ الله. يقول سبحانه وتعالى :"ومن آياته أن خلق الله لكم من أنفسكم أزواجــاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودَّة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون" (الروم:٢١).

واعتــبر بعــض الفقهاء الزواج فرضاً، وذلك فى الحالات التى يخشـــى فيها على الرجل الوقوع فى الزنا. واعتبره الأكثرون سُنَّة، فقد روى عــن النــبى صــلى الله عليه وسلم قوله : يا معشر الشباب، من اســتطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لــم يســتطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء". (رواه البخارى). والمقصود بالــباءة نفقــات الزواج المالية وتكاليفه، ومعنى أن الصوم له وجاء أنه عاصم للنفس من الوقوع فى الشهوات المحرمة.

ويحقق الزواج حب البقاء، والحفاظ على النوع. فيا صاحب هذا الكــتاب، فيه ناس بتموت، ولاً لأ، طبعاً هناك من يموتون. اعلم أنه إذا

مـات الـناس، ولـم يأت أناس جدد، اندثر العالم. أنت يا صاحب هذا الكتاب ترفض الحفاظ على النوع، طب روح فى ستين ألف داهية، ولن تجد من يدفنك.

وعلى هذا فالزواج هدف أسمى للإنسان، فالإنسان مع رغبته فى الحـياة أطـول يدرك أنه بالضرورة فانٍ، ولذلك فهو يسعى إلى تحقيق بقائـه عن طريق الأولاد والحفدة الذين يعتبرون فى الحقيقة امتداد له. وبتحقـيق هـذه الغاية يظل الكون فى عمرانه. يقول سبحانه وتعالى : "والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة".

والزواج أحسن وسيلة لإنجاب الأولاد، ويتكثر النسل، واستمرار الحـياة مع المحافظة على الأنساب التى يوليها الإسلام عناية فائقة. وقد تقدم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة". والودود هى المرأة التى تتودد إلى زوجها وتتحبب إليه، وتبذل طاقتها فى مرضاته.

إن فـى كـثْر النسل من المصالح العامة والمنافع الخاصة، مما جعـل الأمم تحرص أشد الحرص على تكثير أفرادها بإعطاء المكافآت التشجيعية لمن كثر نسله. فالدين الإسلامى يؤثر فى كثرة النسل، ولكنه لا يمـنع مـن تحديـد النسل فى الظروف الخاصة، باتخاذ دواء يمنع الحمـل، أو بأى وسيلة أخرى من وسائل المنع. فكثرة النسل مشروطة باتفاقها مع الموارد الاقتصادية. فيباح التحديد إذا كان الرجل معيلاً –أى كثـير العـيال– ولا يستطيع القيام على تربية أبنائه التربية الصحيحة. يقول الصحابى عبد الله بن عباس : "إن كثرة العيال أحد الفقرين، وقلة العـيال أحد اليسارين". ويقول عمرو بن العاص : "إياكم وكثرة العيال وتضييع المال".

ويباح المنع إذا كانت المرأة ضعيفة، أو كانت موصولة الحمل، أو كـــان الرجل فقيراً. وألحق الغزالى بهذه الحالات حالة ما إذا خافت المرأة على جمالها.

وقـــد ذهب بعض العلماء إلى إباحة المنع مطلقاً، واستدلوا على ذلك بالآتى :

١- روى الـــبخارى ومسلم عن جابر رضى الله عنه قال : "كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل.

٢- وروى مسلم، قال : كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهانا. (السيد سابق:فقه السنة. المجلد الثانى ص ١٢٥).

فيا صاحب هذا الكتابِ، نحن لسنا كالفئران، يا ابن الخنا...*

*****

* نشرت بجريدة "الرأى العام"، العدد ٧٤٤، فى ٢٠٠٣/١٠/٣، ص ٤ .

الفصل الثالث

العلم والتعليم

العلمانية

(١٥)

ظـــل الإنســـان على مدار التاريخ يفكر من أجل أن يجيب على تســـاؤلات تـــدور حـــول الحـــق والخير والواجب، وتدور حول وجود الإنســـان، ووجـــود العالم، ووجود النفس، وتدور كذلك حول طبيعة ما يحقـــق مـــن معـــرفة، ومصادرها، ومستوى يقينها، وتدور أيضاً حول الوجـــود، والغايـــة منه، كما تدور حول الأسباب والمسببات والخوارق والمعجزات.

وكانـــت الإجابـــة حـــول هذه التساؤلات تارة غيبية ، وأخرى يوتوبـــية، وفلســـفية تارة، ودينية ميثولوجية تارة أخرى، وأخيراً كانت الإجابة علمية وصفية – أى علمانية.

وقد دعانى إلى الكتابة فى هذا الموضوع مناقشة ساخنة مع أحد الـــرجال دارت حـــول مفهـــوم كلمة العلمانية. وقد اختلف مفسرو هذه الكلمة، فمنهم من اعتبرها بفتح العين، وإحالتها العَالم أو العالمية – أى الدنـــيا، ومـــا يتعلق بالحياة. وعلى ذلك فهى نظام يفصل بين السياسة والدين، ويشمل مجموعة من المبادئ والتطبيقات ترفض كل صورة من صـــور الإيمان أو العبادة الدينية. وتستبعد الدين من توجيه شئون الحياة الدنـــيا، وما يتضمنها من سياسة واقتصاد وعلم وأخلاق وتربية، وتسقط الاهتمام بالحياة الآخرة.

وأقــول لهــؤلاء لما تصرون على أن العلمانية هى بفتح العين، ولمـــاذا لا تكـــون بكسرها، وتسكين اللام. وهى بذلك تكون مشتقة من العلــم، والعلـــم يقـــابل الجهل. وعلى ذلك فهى ليست نمطاً من التفكير يعـــادى الديـــن، بـــل هى تعادي التأويل الكنسي - تأويل رجال الدين الحـــرفى للعقـــائد، ونـــاهض محاولة الكنيسة فرض تأويلها من أجل هيمنـــتها وســـيطرتها. فهى تناهض الشمولية الفكرية والإطلاقية العقلية الكنســـية - أى لـــرجال الدين على عقول البشر حتى فى شئون العلم، والحياة الاجتماعية.

والعلمانـــية فـــى جوهـــرها هى التأويل الحقيقى، والفهم العلمى للديـــن، بل قد ازدهرت الأديان فى ظل العلمانية، وتحرر أصحابها من الاضطهاد والمصادرة.

والعلمانية ليست مضادة للدين، بل إن الإسلام دين علماني، فهو يمـــثل بداية تحرير العقل لتألم العلم والإنسان - أى الطبيعة والمجتمع، واكتشاف قوانينهما. يقول الله سبحانه وتعالى :" سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم".

والعلماء هم ورثة الأنبياء وإذا طلب مرتبة العلم، تفقهنا وتعبنا فى حفظـــه وتكراره وسهرنا. ويتدبر العلماء هذا الصنع العجيب من الناس والدواب والإبل والبقر والغنم، والتى تختلف فى الشكل والحجم واللون. ويخاف العلماء الله ويخشونه. والله غفورٌ كثير المحو لذنوب من يرجع إليه.

يقــول ســبحانه وتعالى:" ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانـــه كذلـــك، إنما يخشى الله من عباده العلماء، إن الله عزيز غفور" (فاطر: ٥٨).

والقرآن هو مصدر العلم، وفى عصر ما بعد وفاة الرسول صلى الله علــيه وسلم ، كانت مكة والمدينة فى الحجاز، والبصرة والكوفة فى العراق، ودمشق فى الشام، والفسطاط فى مصر أهم المراكز العقلية.

فمكـــة والمديـــنة كـــان يطبعهما العلم الديني، ويقصدها طلاب الحديـــث والفقـــه والتاريخ، وفى العراق كان أشهر من خرجته مدرسة البصرة فى عهد الأمويين الحسن البصري، وابن سيرين. وكانت دمشق مركـــز الخلافـــة فى عهد الدولة الأموية. وفيها ظهر الكلام فى القضاء والقَدَر، والجبر والاختيار، والكلام فى صفات الله. وأصبحت مصر منذ دخول العرب مركزاً علمياً بجانب مركزها السياسي*.

*****

العلم والدين

(١٦)

دفعـــنى إلى الكتابة فى موضوع "العلم والدين" ما أذيع فى حلقة مـــن حلقات برنامج "رئيس التحرير" للمذيع اللامع "حمدى قنديل" تحت هذا العنوان.

---

* نشرت بجريدة أخبار إسكندرية والعالم، العدد ٦٨، بتاريخ آخر أكتوبر، ص ١٠ .

إن العلـــم دعوة إلى إعمال العقل والفكر والحواس لمعرفة واقع الحـــياة، والتدلـــيل على هذا الواقع، وذلك باستخدام المنهج العلمى، من أجل الوصول إلى النظرية، أو القانون، أو مرحلة الجزم.

أمـــا إذا لم يستطع المرء التدليل على هذا الواقع، فإن ذلك يدخل فى مجال التلقين. فقد يلقن الطفل الصغير أن الله أحد، وهو لم يبلغ السن الـــتى يستطيع عقلياً أن يدلل فيها على ذلك. وقد تقول له: إن الله أحد، وجزم بها، لأنها حقيقة واقعة، ولكنه لا يستطيع أن يدلل عليها. وهو فى هـــذه الحالـــة يقلد أباه أو أمه أو من لقنه هذا الكلام حتى ينضج عقله، ويســـتطيع أن يدلـــل علـــى ما اعتقده فى صغره بالتلقين. وهكذا فالعلم يقتضى أن تؤمن بقضية واقعة عليها دليل.

وإذا لـــم يصل المرء إلى مرحلة الجزم، يكون فى ذهنه نسبتان، ولـــيس نسبة واحدة، فإن لم ترجح نسبة على أخرى، أصبح فى مرحلة الشـــك، وإن ظـــن أن إحداهما راجحة فهذا هو الظن. وإن أخذ بالنسبة غير الراجحة فهذا هو الفهم.

والفكر هو أهم ما يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى، ولهـــذا فهـــم يقولون: أنا أفكر إذن أنا موجود، أما النظر والتأمل فهى دعـــوة إلـــى الوصول إلى الحقيقة. يقول الله تعالى :" أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت".

والمـــنهج ضـــرورة حضـــارية وهو بذل المجهود والصدق فى الوصـــول إلـــى الحقـــيقة. أما النظريات والقوانين فهى تصف ظروف الظواهر المختلفة، وارتباطها بعضها ببعض.

والجهل يقابل العلم. ويقصد بالجهل الاعتقاد فى أن شيئاً ما هو حقيقة، مع أنه غير ذلك، ولا واقع له. فإذا قلت على سبيل المثال إن الأرض مبسوطة، ثم جاء من جاء مدللاً على أن الأرض كروية، وأصررت أنت على أنها مبسوطة، فهذا جهل وإصرار عليه.

ويفرق بين الجاهل والأمى على أساس أن الأمى لا يعرف أن الأرض كروية، وإذا ما علم حقيقة العلم وصدقها، وعرف الواقع وصدقه وآمن به، وذلك على عكس الجاهل الذي يؤمن بما يخالف الواقع، فإن جئت له بالحقيقة أخذ يحاول فيها مصراً على رأيه ولذلك فالمصيبة ليست من الأميين، ولكنها من الجهلة، فالأمى يحتاج إلى مجهود فكرى واحد، أى تنقل له المعلومة فيصدقها، أما الجاهل فإقناعه يقتضى مجهودَيْن. الجهد الأول هو أن تخرج ما فى عقله من معلومات خاطئة ، وأوهام ليست موجودة فى الواقع. والجهد الثاني هو أن تقنعه بالحقيقة.

وتقف الأمية عقبة أمام التقدم، فهى إحدى المشاكل الاجتماعية التى تواجه المجتمع المصرى. وأطفال مصر اليوم، والذين هم مستقبلها ينبغي تعليمهم، وتسليحهم بالمعرفة حتى يتمكنوا من تحقيق رخاء بلادهم.

ويحتاج القرن الحادى والعشرين إلى عقول ناضجة، ذات فكر ثاقب، وذكاء وفطنة وتيقظ، وعلى مستوى علمى. وهى عقول تعمل بمعايير موضوعية، وليست بمعايير أهل الحظوة، وأهل الثقة، والمجالس الخاصة، ومجالس الأنس والفرفشة. وهم ما لو نظروا لعلموا، ولو استدلوا لتحققوا، ولو طلبوا لأدركوا سبيل المعارف.

ويظن بعض الناس أنهم عالمين ببواطن الحياة الدنيا، ملمين بكل طـبائع الـنفوس وتقلبات البشر. فهؤلاء لهم عقول فاشلة وفاسدة. يقال لهم: وفوق كل ذى علم عليم، وما فى باطن هذا الكون أضعاف ما ظهر منه، فلا تغتروا ، ولا تتوهموا.

ويزعم البعض أن الحضارة لا يمكن أن تتحقق إلا بالفصل بين العلـم والدين، فالعلم لا يمكن إلا أن يكون علمانياً، وهناك خصومة بين العلم والدين. ويرد على ذلك بأنه لا يوجد عداء بين العلم والدين. فالدين دعوة إلى إعمال العقل والفكر للوصول إلى قضية التوحيد.

وقـد حث الدين الإسلامي المسلمين على العلم. فقد بدأ الإسلام بـنزول الآيـة الكـريمة التى تحث على القراءة والعلم. يقول سبحانه وتعالى:" اقرأ باسم ربك الذي خلق" وقال الله تعالى :" هل يستوى الذين يعملـون والذين لا يعملون" وقال سبحانه وتعالى :" هل يستوى الأعمى والبصـير". وقـال :" إنما يتذكر أولوا الألباب". وقال :" يدفع الله الذين آمـنوا مـنكم والذيـن أوتـوا العلم درجات". (المجادلة : ١١). وقال تعالى:"إنما يخشى الله من عباده العلماء". (فاطر : ٢٨).

وعـن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال : " إذا مـات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" (مسلم).

وفـتح الإطـار الإسـلامي الباب للتفقه. ووضع البذرة الأولى السـليمة للعلم، وتحصيله بالملاحظة واستخدام السمع والأبصار، وهى

من أدوات البحث وجمع المعلومات. يقول سبحانه وتعالى :" والله جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تفكزون".

*****

المعلم والمتعلم

(١٧)

كاد المعلم فيما مضى أن يكون رسولاً، إذ ينبغي أن يتحلى بصفات أخلاقية سامية، وأن يكون على معرفة بالروح الإنسانية. هذا ما دعى إليه القديس توماس الإكويني.

وقيمة المعلم عند ابن سينا هى فى خلقه وسيرته، لذلك ينبغي أن يكون عاقلاً، ذا دين، بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان، وقوراً ، رزيناً، بعيداً عن الخفة والسخف، قليل التبذل والاسترسال فى حضرة الصبى.

هذه هى صفات معلم الأمس. أما فى وقتنا الحاضر فقد سمعنا عن المدرسة التى راحت ترقص رقصاً شرقياً، على واحدة ونص، وتلف وسطها وخصرها فى فناء المدرسة، وتلامذتها ما بين مقلِّد، ومصفِّق لها.

وسمعنا عن المدرس الذى اغتصب عدداً من التلميذات الصغيرات فى نفس الوقت.

---

* نشرت بجريدة أخبار إسكندرية والعالم ، العدد ٩٥، النصف الأول من ديسمبر ٢٠٠٣ ص ١٠.

وامتد الأمر إلى أستاذ الجامعة الذى أخذ يسب الطلبة ويشتمهم بأفظع الشتائم، وأدنى الألفاظ. صحيح أنه كان على حق، ولكنه كان عليه أن يتريَّث، وكما رُوِى لى ، دخل الأستاذ المحاضرة، وإذا بالألفي طالب يصفرون، فجلس على الكرسي، ومدَّ قدميه واضعاً نعل حذائه فى وجوههم، وقال : والله يا أولاد الـ .... لن ينجح منكم أكثر من ٥%. وقد حدث هذا بالفعل.

وكان التلاميذ يمسكون بأيديهم الكتاب والقلم والكراسة، وصار الصغار اليوم يحملون السنج والسكاكين والعصي والجنازير وشتى الأسلحة البيضاء. قامت معارك بين تلاميذ المدرسة الواحدة، ودارت مشاجرات بين تلاميذ مدرستين متجاورتين من أجل الصراع على فتاة مدرسة مجاورة. وقد ينتهى الصراع بسقوط صرعي أو جرحى أصابتهم جروح وعاهات.

ووقعت معارك بين المدرس وتلاميذه. فتلاميذ مدرسة فاقوس الثانوية الزراعية ضربوا مدرسهم، ولم ينقذه من أيديهم سوى زملاءه. وقد حدث هذا فى إحدى مدارس المملكة العربية السعودية. ولكن اختلفت المواجهة. فقد عوقب الطلاب بالجلد لاعتدائهم بالضرب على مدرسهم فى الطريق العام.

فيما مضى، كم من مرة قال الأب، وقالت الأم لابنها التلميذ. احترم الأستاذ المدرس أو المدرسة يا ولدْ. وأعلم أنك ذاهب إلى المسجد أو الكنيسة.

أما أب وأم هذه الأيام فقد ذهبا إلى المدرسة لا ليعتذرا عن إثم اقترفه ابنهما، ولكن ليطلبا من المدرس الذي ضرب ابنهما ، ويقسمان

أمـــام الناظر أنهما سوف يأتيان فى اليوم التالى ، وأثناء طابور الصباح ليضـــربا المدرس أمام جميع التلاميذ، وعلى الناظر أن يحضر المدرس فى الوقت المحدد، وإلاَّ فــ : ....

وقــد انتقلــت المشاكسة والسَّفالة وقلة الأدب والادعاء كذباً إلى بــنات الجامعــة . جلست إحدى الطالبات أمام أستاذها فى المحاضرة، واضــعة رجلهــا علــى الكرسي، والرجل الأخرى على كرسي آخر، وبينهما مسافة تعادل المسافة ما بين فرعى دمياط ورشيد، ونعل حذائها فى وجهه. فنهرها الأستاذ ووبّخها على تلك الجلسة، فقالت : وإيه يعنى، أنا بقعد هكذا أمام بابا وماما. يا عيني على بابا وماما.

ولاحــظ أســتاذ أثناء الاسترسال فى الشرح طالبتان تثرثران. أمــرهما بــالوقوف، وسألهما عن أسمهما، فلم يردَّا، استفسر منهما عن أرقامهمــا فــى الكشف، فلم ينطقا. سألهما فيما كان يشرحه، لم يجيبا. أمرهما بالخروج من المحاضرة، وخرجا. قابلهما مدير المعهد وسألهما عــن ســبب وجودهما خارج المحاضرة، ردَّا كذباً وادعاءً أن الأستاذ أخرجهما من المحاضرة لأنهما لم يشتريا الكتاب.

وانتابــت طالبة حالة من السرحان، فسألها الأستاذ عما يدور فى المحاضرة من موضوعات ومناقشات، ولم تعرف. أمرها بالخروج من المحاضــرة فســارت تخبط على الأرض بحذائها بشكل مزعج ،وحين وصــلت إلى الأستاذ قالت له : حاجة تقرف، وأغلقت الباب بعنف زائد عن الحد، كاد يكسر زجاج الباب.

لست أدرى كيف يصبح هؤلاء الفتيات أمهات المستقبل، وكيف يوظفــون ويعملــون ويــربُّون ويهذبون أولاد المستقبل، وهم ينقصهم التربية، ويفتقرون إلى التهذيب.

مـــا هو الحل ؟ الحل عندى هو فى عودة الانضباط إلى المنزل أولاً، فهــو مصــدر وأســاس التربـية للتلميذ، والحل كذلك فى الدور الرئيســي والهام الذي يقوم به المسئولون فى النواحى التعليمية من أول دور الحضانة وحتى الجامعة، وبداية من المدرس إلى الوزير.

وأقــول لوزير التربية بطّل كلام من فضلك عن بطشك وطردك المــدرس الــذي يؤنــب أو يضرب تلميذاً، حتى لو كان الضرب غير مبرح.

ســيدي الوزير، كيف ربَّاك أبواك ؟ ألم يضربانك فى صغرك، طــبعاً ضـــرباك. وإذا لم يفعلا فكيف تفوَّقت فى دراستك المدرسية، ثم الجامعية، وحتى أصبحت وزيراً.

أما أنتم أيتها الفتيات، كنَّ وقورات وقاراً يتناسب مع الأنوثة، ما تفعلوه يدخل فى إطار الهمجية والعنف، واحفظن ألسنتكم عن الكذب فى الجــد والهــزل، ولا تعــوّدوا ألسنتكم الكذب هزلاً، فيتداعى إلى الجد، فالكذب من أمهات الكبائر*.

*****

* أرســلت إلــى "الأيــام الجديدة"، و"الشروق" و"المواجهة" و"الملتقى الدولى"، ولم تنشر، ويبدو أنهم يفضلون القصص والصور العارية.

طلاب اليوم

(١٨)

التربية هى نمو الذهن. وقيمة المدرسة هى بما تخلفه فى التلميذ من الرغبة فى هذا النمو، والذى يتحقق كذلك ذاتياً. ولما كان الذهن فى كل حالة اجتماعياً فإن المدرسة يجب أن تكون اجتماعية. والتربية ليست ادخــار المعــارف وإنما هى غرس العادات الحسنة للتفكير، وبث القيم الأخلاقية السليمة.

ونعــيش الــيوم أزمــة أخلاق، فقد عجزت المدرسة والجامعة والأحــزاب السياســية عــن مســايرة الشــباب وتشجيع طلاب اليوم واحتضــانهم واســتقبال حيويتهم والحفاوة بهم. وفى المدرسة والجامعة يشعر الشباب بأنهم غرباء عن بعضهم البعض. ويرجع هذا من بين ما يرجع إلى مجيء الشباب من أعماق مصر شمالاً وجنوباً، شباب من كل لون، واحتاج الشباب إلى بوتقة تذيب الفوارق بينهم، كذلك فإن المسافة بين الطلاب وأساتذتهم أصبحت كبيرة، فالمدرجات والمعامل قد ضاقت على الطلبة، وهكذا فلا صداقة ولا أبوة .

ويــأتى دور الأم، فموضــع فخــرها أنها أم حملت، ووضعت، وربيــت، وتحملــت آلامــاً، ومشــاقاً، ولاقت جحوداً، ولكنها راضية، ومســرورة، فقد كرمها الله ورفع مكانتها، ووضع الجنة تحت أقدامها، وأمــر أبــناءها بطاعتها، وإرضائها. وطلب من زوجها أن يترفق بها ويمــنحها حبه، ومودته ورحمته وأن يرعاها ويتحمل مسئولياتها. وهى

بـــدون تعليم أو توجيه أو ثقافة ، وبحب غريزي تفانيت من أجل خدمة أولادها وراحتهم وأحبتهم حباً عميقاً.

ولكــن أمَّ الـــيوم لا تشارك المدرس تربية أبنائها، بل تقف منه موقف العداء، فالولد أو البنت التى يعاقبه المدرس لخطأ ارتكبه، يذهب إلـــى بيـــته، ويحكى لأمه أو لأبيه أن المدرس قد عاقبه، فتقسم الأم أو الأب بالذهـــاب إلى المدرسة ، وتطلب إحضار المدرس أمامها، وتقوم بضربه، كما فعل هو مع ابنها أو بنتها.

بجاحـــة متناهـــية من بعض الأمهات، ربما كانت قرارات السيد وزيـــر التربية بمعاقبة المدرسين الذين يمسون طالباً أو طالبة بالضرب حتى ولو كان غير مبرح، وذلك بإيقاف من يفعل ذلك من المدرسين عن العمل شهرين. أنا مع الوزير فى إيقاف من يفعل ذلك من المدرسين إذا كـــان الضـــرب يترك آثارا. أما من يعاقب تلميذاً بوخزه على كتفه، أو ضـــربة خفـــيفة علـــى يده، أو كشر عن أنيابه، فإنه هنا يعاقب التلميذ بغرض تهذيبه، وتربيته، وهو لا يستحق العقاب، وإنما يستحق الجزاء.

نقـــول نعـــم للوزيـــر الذي يعاقب مدرساً يحمل المحمول، وإذا بجرســـه يطلق، فينحو المدرس ناحية باب الفصل ويرد على المحمول، وتســـتمر المحادثـــة حتى انتهاء الحصة دون أن يستفيد الطلاب بكلمة واحدة من المدرس.

إن مثل هذا المدرس والذى ينبغي أن يكون قدوة لطلابه يستحق لا إيقافـــه عن العمل لمدة شهرين، وإنما يستحق قطع رقبته فى ميدان عـــام. إننا نستفسر ماذا لو أطلق محمول يحمله طالب جرسه، هل يرد الطالب أم لا ؟

ويـــا ســيادة الوزير ما هو الحكم فى بعض الطلبة الذين سطوا علـــى المدرســـة وســـرقوا أجهزة الفيديو والتسجيل والكمبيوتر بحجرة الـــتطور التكنولوجى بالمدرسة. وقد أثبت التحقيق أن مرتكبي الحادث عصـــابة مـــن طلـــبة المدرســـة . حدث هذا فى مدرسة حوش عيسى الثانوية.

إن الأمـــر يا سيادة الوزير لا يحتاج إلى مهادنة، بل يحتاج إلى موقف حاسم.

ومـــا رأيك يا سيادة الوزير فى الطالبة التى تعترف بأنها وأمها تشاهد أفلاماً جنسية على الفيديو. ألا تستحق هذه الطالبة وأمها العقاب.

ســـيدي الوزيـــر إنهـــا أزمة أخلاق تدعو إلى تكاتف المسئولين جمـــيعاً، بدايـــة مـــن الأســـرة ، ثم المدرسة، ثم الجامعة، ثم الهيئات المجتمعية : الشرطة والقضاء، والهيئات الدينية*.

*****

سلوكيات جيل

(١٩)

جـــاءت فـــى إحدى الجرائد أن المدارس الثانوية المشتركة فى ألمانيا تتميز بالهدوء التام الذي ليس له مثيل. على النقيض من ذلك نجد فـــى مصـــر، مـــدارس ثانويـــة، إذا جلست فى حجرة مطلة على فناء المدرســـة، تســـمع أصـــواتاً عالية، وصراخاً لا يكف، وسوف تتصدع رأسك، وتكاد تنفجر من علو الصوت والصراخ.

---

* أرسلت إلى "الأيام الجديدة" و"الزمان" و "السياسى المصرى" و"الجمهورية"، ولم تنشر.

وفـــى أحد معاهد البنات حضرت المراقبات والملاحظات اللاتى ســـوف يشـــرفن على أداء الامتحان، وجلسن فى حجرة بعيدة عن فناء المعهـــد الـــذي يجتمع فيه الطالبات قبل الامتحان، فأصيبت الملاحظات بصداع وكادت رؤوسهن أن تنفجر من احتدام الأحاديث والمناقشات.

ويقولـــون أن مـــا رويته، وما سأرويه هو سلوك وشقاوة جيل. واحسرتاه !

دخـــل المحاضر إلى قاعة المحاضرة، وكانت كل طالبة تثرثر مـــع الأخـــرى، وفجأة راحت واحدة منهن ترقص، ظل المحاضر واقفاً صامتاً حتى هدأت الطالبات وكفوا عن الثرثرة والرقص.

وروى أســـتاذ محاضـــر أنـــه حين دخل المحاضرة، كان ثلث الطالـــبات اللاتى فى المقدمة، كل واحدة منهن تثرثر مع الأخرى، أما الثلثان الآخران، فكوّنوا دوائر، كل دائرة داخل الدائرة الأخرى، حتى لا يـــرى المحاضر وجوههن، بل يرى ظهورهن، وظللن على هذا الحال دقائق، ثم أطلقت إحداهن زرغوطة، ولم يرشد عليها أحد ولم تقر واحدة منهـــن بأنهـــا فعلـــت ذلك. ومع ذلك فقد عرف المحاضر صاحبة هذا الصوت وطردها من محاضرات مادته إلى نهاية العام.

وروى محاضر آخر أن بعض صفوف الطالبات التى تجلس فى الخلـــف تصدر صوتاً ملحناً يتكون من الحرفين الآخرين من كل جملة يـــنطق بهـــا المحاضـــر، وذلك على المنوال الذى نسمعه فى سرادقات العزاء. وفى محاضرة أخرى قامت الطالبات بالغناء.

وفــى إحــدى المحاضــرات دقّ جرس المحمول، مع أن إدارة المعهــد كانت قد أصدرت تعليمات بمنع تواجد أو استخدام المحمول فى المعهد.

وفــى إحدى المحاضرات – وكما حكى الأستاذ – صدر صوت كصــوت الحــيوانات وقف الأستاذ المحاضر، وحاول معرفة صاحبة الصــوت، ولكــن لم تعترف واحدة بذلك. أوقف المحاضر صَفّيْن من الطالبات، يتوقع صدور الصوت منهما، ولم تعترف واحدة بذلك. طلب منهن معرفة أرقامهن فى الكشف، أو أسماؤهن، ولكنهن رفضن. طلب إحدى السكرتيرات، وحضرت، وحاولت معرفة صاحبة الصوت، ولكنها لــم تعــترف، طلبت من الصفين معرفة أرقامهم، أو أسمائهم، ولكنهن رفضــن، طلبــت منهن الخروج من القاعة، ولم تستطع إخراجهم. علا صــوت الطالبات، وأصررن على عدم ذكر صاحبة الصوت، بل كذّبن الأســتاذ، وقالت إحداهن أن ما سمعه الأستاذ هو تصور كاذب، وتحدته أن يذكر نوع هذا الصوت، هل هو صوت جاموسة أو بقرة.

وأخــيراً خرج المحاضر من المحاضرة، وأقسم للطالبات أنه لن يدخــل محاضــرات لهن حتى نهاية العام. وتحت هذا التهديد اعترفت الطالــبات بصاحبة الصوت، واعترفت الطالبة مصدر الصوت، وبكت بشــدة، واعــتذرت عمــا بدر منها، وفصلت من المعهد، ومن حضور محاضرات جميع المواد لمدة أسبوع.

وبأمــر مــن إدارة المعهــد، جاءت إلى المحقق ثلاث طالبات تشاجرن وأمْسكن فى بعضهن البعض، وسبَّت الواحدة منهن الأخريات. وتم فصلهن لمدة ثلاثة أيام.

وحكـــى أحد المسئولين فى المعهد أن خال إحدى الطالبات كان يعمل كقواد على ابنة أخته، تأتى له بطالبة، ويأتى لها بشاب. وبصحبة الثلاثة يركب الجميع سيارته إلى مكان لا معرفة لأحد به.

وفـــى مدرســـة سنهور الثانوية بالفيوم، ضرب طلاب المدرسة بكافـــة التقالـــيد والأعراف عرض الحائط أطلقوا العديد من الصواريخ والبمـــب عقب مغادرة الدكتور / سعد نصار محافظ الفيوم بعد زيارته المفاجئة للمدرسة، وبمرافقة سعد الكيلانى وكيل وزارة التربية والتعليم بالفيوم.

وعـــندما حـــاول مـــدرس التربية الرياضية إيقاف تلك الأعمال المتعلقة بالصواريخ لقّنوه درساً قاسياً فى ضرورة احترام التلاميذ وعدم التعرض لهم، وضرورة طاعة أوامرهم.

وســـمعنا كثـــيراً عن معاكسات الطلاب لمدرساتهم، أو انتظار الطـــلاب عـــند أبواب مدارس البنات، ومعاكستهم، وخدش حيائهن عند خروجهن من المدارس*.

وللحديث بقيـــة

*****

---

* أرســلت إلى أ. مجدى مهنا – رئيس تحرير جريدة الوفد، ورأى سعادته عدم نشرها – واحسرتاه !

الكتاب المعهدى مؤلفه عضو هيئة التدريس

(٣٠)

قـــرار أصـــاب الكثيريـــن، وأنا منهم بالدهشة، واهتزت أمامه السـطور عــند قراءتها، وتراقصت أمام أعين القارئين الكلمات. ظلوا يـتحايلون علــى صدور هذا القرار. مرة قالوا: توحيد الكتاب الجامعى والمعهدى، ثم استقروا على أن يكون مؤلف الكتاب عضو هيئة التدريس بالجامعـات والمعــاهد، مستهدفين بذلك تدريس كتاب معين لمؤلف أو شخصـية معيـنة، ويدرس الكتاب فى هذا النوع من التخصص لجميع الكليات والمعاهد من الإسكندرية حتى أسوان.

فـيا مصــدر هذا القرار - إدرس أصول التربية قبل أن تصدر قرارات ما أنزل الله بها من سلطان. وأعلم أن لو صدر عشرة كتب فى موضوع واحد، لعشرة مؤلفين، فهذا أكثر قيمة، وأكثر نفعاً مما لو صدر كـتاب واحــد لمؤلف واحد، حتى لو خلا هذا المؤلف من أخطاء، لأن صدور عشرة كتب يعنى ظهور عشرة أفكار.

بـالله عليكم قولوا الحق، وتفوهوا وناقشوا هذا الموضوع بقوله صــدق، والــنقاش يتسع للجميع، والخلاف لا يفسد للود قضية. وسادة الصــدق قـيمة أخلاقية عليا، إنها السمو، والرجل الصَّداق رجل قوى صــادق مــع نفســه، هو إنسان رفيع ، يثق فى نفسه، ولابد أن يكون شــجاعاً. إنــه ذلــك الرجل القادر على تحمل المسئولية، مسئوليته فى الحـياة، مســئوليته عــن نفسه، وعن زوجته، وأسرته، ومسئوليته عن

مرؤوسيه، وتابعيه، ومسئوليته كإنسان. إنها مسئولية تنبثق عن الإرادة الواعية. وعى بدوره، وقيمته، وأهميته.

فقولوا الحق والصدق، لمصلحة من صدر هذا القرار؟ إنه صدر لمصـلحة واحـد، وواحد فقط. واحد يقوم بالتأليف، وكتابه يدرس من إسـكندرية إلـى أسـوان، وآخـرون ببغاوات يرددون ما جاء فى هذا الكـتاب، وربمـا دون فهـم لمـا جاء فيه. واحد يتفتحّ مخّه وينتعش، وآخرون تصاب أدمغتهم بالكسل والخمول، واحد يؤلف وهو جالس فى حجـرة مكيفة، ولا يواجه الطلاب، وآخرون يواجهون طلاب اليوم وما فيهم من شراسة وعنف.

يـتكلم الطالـب مـع زميله أثناء المحاضرة مما يعوق توصيل المعلومـة للطلاب جميعاً، ويسأل الأستاذ ما اسمك؟ ولا يرد، ويواصل السـؤال مـا رقمـك فى الكشف ؟ لا يرد. ويستطرد أخرج بره خارج المحاضرة . يرفض وقد ثبت أقدامه فى الأرض. يجلس طلاب الصف الأول فى المدرج ذو الشبابيك، فيقذف الطلاب الذين هم خارج المدرج علـيهم وعلـى أستاذهم أكواماً من الطوب والحجارة، والتراب. وحين يجـيء الأسـتاذ ليجلس أمام المنصة ، يجد الطين وقد وضعه الطلاب على سطح المنصة.

جـاء عامل إلى رئيس القسم بإحدى الكليات وأخبره أن الطلاب ومعهم بعض الطالبات يلعبون الكوتشينه فى المكان الفلانى.

فى إحدى الكليات أبلغوا عن عدد من الطالبات يجلسن فى مقهى شعبي قريب من الكلية، وهو يشربون الشيشة.

لا شك أن الهدف من هذا القرار هو أن واحد يضع في جيبه الملايين. قدرها البعض بأنها مليون جنيه في السنة، ردَّ ناشر قائلاً: لا- إنها مليون جنيه في الفصل الدراسي الواحد. أما الآخرون الذين يقومون بالتدريس - دون التأليف، فيدخل في جيوبهم الملاليم، وهو مكافآت التدريس، والتي يتجاوز مكافأة الساعة ثلاث جنيهات بقليل، بينما يحصل الكهربائي أو السمكرى أو مصلح التليفزيون، أو الميكانيكي مبلغ ما بين خمسة وعشرة جنيهات للكشف عن العيب الموجود في الجهاز.

وينص القرار على أن يكون مؤلف الكتاب عضو هيئة تدريس، وعضو هيئة التدريس هذا يمكن أن يكون مدرساً حصل على الدكتوراه أول أمس، وما زال في مرحلة الحبو. هذا المدرس - المؤلف - يؤلف كتاباً، ويقوم آخرون ليسوا أعضاء هيئة التدريس مثل د. عوض المر - رئيس المحكمة الدستورية العليا سابقاً، أو د. شكرى الدقاق رئيس محكمة جنايات الإسكندرية - بتدريسه يالها من مهازل ، ومهاترات.

سأل الطلاب د. شكرى الدقاق بعد حصوله على الدكتوراه، لماذا لم تتقدم لوظيفة مدرس بالجامعة ؟ ردَّ : أبعْد هذا العمر أعيَّن مدرساً، أنا مرتبي الآن هو مرتب نائب رئيس جامعة، فكيف أوافق على تعييني مدرساً. وبعد هذا يقوم هذان الأخيران بتدريس كتاب ألفه أحد تلامذتهم.

ومع ذلك فأعضاء هيئة التدريس منهم الصالح، ومنهم الطالح، منهم الممتاز، ومنهم الداني. منهم من تفوق علمياً، ومنهم من تدنى علمياً، ومنهم من تفوق علمياً وتدنى أخلاقياً. لقد كنا نشكو فيما مضى من سطو أستاذ على مؤلفات طالب، ثم انتقلت العدوى إلى سطو أستاذ

علـــى مؤلفـــات زميل أو زميلة توفيت، وحدث هذا بالفعل، وقام زوج الأســـتاذة المـــتوفاة برفع دعوة أمام القضاء، وحكم على السّاطى بستة أشهر سجن، وغرامة مالية كبيرة.

وآخـــر تقليعة فى السطو قيام أستاذ بإضافة بعض الفصول إلى كـــتاب مُهْـــدى إليه من أحد زملائه أو تلامذته، ويعدّل تعديلاً طفيفاً فى العـــنوان، ويكتـــب اسمه واسم مهدى الكتاب إليه، ويشير إلى ذلك فى المقدمـــة، ثم يقرر تدريس الكتاب على طلاب بعض الكليات والمعاهد، ويحصـــل السّاطى على دخل الكتاب كله، ويحرم المسروق من أى مليم من هذا الدخل، فى الوقت الذى يقترض فيه هذا الأخير فلوس من أجل إصلاح سيارته موديل ١٩٧٧*.

*****

الكتاب والانترنيت

(٣١)

حديـــث جرى بين عقيد شرطة وكاتب هذه السطور حول أيهما أكـــثر أهمـــية الكتاب أم الانترنيت، قال عقيد الشرطة: أنا موش غاوى كتب، فقد أصبحت موضة قديمة، ونمط من وسائل الاتصال عفى عليه الزمن، وحل محله جهاز جديد هو الانترنيت.

ردّ كاتـــب هـــذه الســـطور: هذا كلام هراء. لقد اخترع جهاز الراديو، وظن الناس أن هذا الاختراع سوف يقضى على الكتاب، ولكن

* نشرت أخبار إسكندرية والعالم، العدد ٥٤ بتاريخ مارس ٢٠٠١، ص ١٠ .

هـذا لم يحدث، بل ظل الكتاب والإذاعة شامخين. واخترع التليفزيون، واعتقد البعض أن هذا الابتكار سوف يقضى على الإذاعة والكتاب، ولكن هذا لم يحدث، بل ظل التلفزيون والإذاعة والكتاب شامخة.

حقيقة أن الكتاب لم يعد الأساس الوحيد الذي تستمد منه المعرفة، وإن شاركه فى ذلك التلفزيون وقبله الإذاعة. وحقيقة أن الإذاعة والتلفزيون يحققان سرعة الانتشار، إذ تنتشر الحادثة فور وقوعها وتعرف على مستوى العالم، وذلك على عكس الكتاب الذي يستغرق تأليفه وكتابته ونشره وتوزيعه شهوراً وسنين حتى تخرج الحادثة فى صحيفة مكتوبة.

ومع ذلك فالكتاب هو المصدر الرئيسي والأساسي للعلم والمعرفة والحصول على المعلومات. وقد ورد ذكر الكتاب فى القرآن، يقول سبحانه وتعالى :"رسول من الله يتلو صحف مطهرة فيها كتب قيمة" (البينة : ٢-٣). وكانت أول آية نزلت فى القرآن الكريم، "إقرأ.." أى تعلم وادرس.

ويحتاج الإنسان إلى الغذاء لنمو جسمه، كذلك فهو يحتاج إلى الكتاب لنمو عقله، فـ كتاب + عقل = إنسان. والمبدع والمخترع لا يصل إلى قضاياه ونظرياته إلا فى ضوء معلومات يحصل عليها من الكتاب، والذى يصاحبه فى كل مكان. وهذه المصاحبة غير متوفرة فى التليفزيون، والإذاعة، والانترنيت. وهكذا يقود الكتاب إلى المعرفة، والمعرفة تقود إلى التأمل، وهى حلقة متصلة من الفكر.

لقد ظل الكتاب، وسيظل أساس الانترنيت. ويغذى الإنسان الانترنيت بما ورد فى الكتاب، والعكس غير صحيح، وإذا أردت أن تعرف موضوعاً بأكمله فعليك بالكتاب، وليس بالانترنيت، فالانترنيت يعطى معلومة، أما الكتاب فيمد الإنسان بمعلومة ومعلومة، أى الموضوع بأكمله.

يقول أطباء العلاج النفسي أن الكتاب، وليس الانترنيت، وما يتضمنه ذلك من قراءة وكتابة يعالج الأمراض النفسية كالقلق والاضطراب.

لقد ظهر الانترنيت، وادعى المؤيدون له أنه سوف يحل محل الكتاب، ويقضى عليه. وإذا كان ذلك كذلك، فلماذا ظهر برنامج "مكتبة للجميع" ، والذى تتبناه السيدة / سوزان مبارك، ولماذا أنشئت مكتبة الإسكندرية، والتى تكلفت الملايين، وأعادت إلى الإسكندرية مجدها وزهوها*.

*****

* أرسلت المقالة إلى أ. اسحق روحى. رئيس تحرير جريدة الأنباء الدولية فى ٢٠٠٢/٧/١، ولم تنشر.

الفصل الرابع
الصحة

التأمين الصحى
(٣٣)

يأتى التأمين الصحى فى مقدمة اهتمامات وزارة الصحة والسكان. وتسعى الوزارة نحو جعله مظلة تغطى جميع أفراد الشعب المصرى لمساعدته فى مواجهة الأمراض، وضمان العلاج والقدرة عليه لجميع أبناء الوطن، وذلك طبقاً للمسئولية الدستورية عن صحة المواطنين. وجاء ذلك للتعبير عن استراتيجية هى :

١- تطبيق نظام طب الأسرة.
٢- خفض معدل المرض والوفاة.
٣- التركيز على الجانب الوقائي.
٤- التحكم فى المشكلة السكانية .
٥- إدخال مفهوم صحة المرأة.
٦- الاهتمام بتنمية القوى البشرية.
٧- التوسع فى نظام العيادات المستقلة .
٨- التوسع فى علاج غير القادرين.
٩- مد فئات التأمين الصحى لفئات جديدة.
١٠- توسيع سياسة صناعة الدواء.

ويطالـــب مـــن لا ينطبق عليهم شروط التأمين الصحى، وكذلك المحالون على المعاش بفتح باب القيد لهم للانضمام إليه، امتداداً لمقولة مؤداها أن من حق المرضى غير القادرين أن يتمتعوا بالعلاج المجانى، وأن هـــناك التزاماً – حسب تصريح لوزير الصحة –بعلاج المواطنين على نفقة الدولة سواء خارج البلاد أم داخلها.

إن الوقايـــة مـــن المـــرض، وعـــلاج المرضى حق من حقوق الإنســـان، ولقـــد كان المحالون على المعاش يدفعون من مرتباتهم نسبة للتأميـــن الصـــحى وهم فى الخدمة، ومعظمهم لم يتعاملوا معه كمرضى، لأنهم قبل سن الستين كانوا يتمتعون بالصحة والقوة، أما وقد أحيلوا إلى المعاش بعد أن بلغوا سن الستين، فأصبحوا فى حاجة ماسة إلى الرعاية الصـــحية، والأولـــى الاهتمام بهم وعلاجهم إذا كانوا مرضى وهذا من أموالهم التى سبق وأن دفعوها أثناء خدمتهم.

وعـــند هـــذه الـــنقطة أقـــدم تحيتى للدكتور / فرج محمد مدير مستشـــفى التأميـــن الصـــحى ببرج العرب، فقد فتح المستشفى لجميع المواطنيـــن.. بجمـــيع أقســـامها دون الالتزام ببطاقة التأمين الصحى، وبأسعار رمزية لبعض المواطنين وأكد سيادته أن خدمة التأمين الصحي تهـــتم للنهوض بصحة المواطنين والقضاء على ارتفاع أسعار العيادات الخاصة.

الـــناس جمـــيعهم تهلـــل للتأمين الصحى باعتباره نظاماً وقانوناً اجتماعياً، ولكن وآ أسفاه يعيبه أسلوب العمل والتفنن فى أساليب تعذيب الـــناس، مع أنهم مرضى، وفى حاجة إلى رعاية، ولا يتحملون الذهاب

والإيـــاب مـــن عيادة إلى أخرى، ومن العيادة إلى المستشفى وبالعكس، وكأنهم يقولون : فوت علينا بكرة يا سيد.

وعجــباً أن التأمين الصحي يمنح أطباءه الألقاب العلمية، فيطلق علـــى هــذا أو ذاك لقب استشارى، مع أن هذا اللقب لا يطلق إلا على الحاصـــلين علـــى درجـــة الدكتوراه، ولم يعينوا ضمن هيئة التدريس بالجامعة. ومع ذلك زَىْ بعضه، أما أن يطلقون عليه لقب أ.د. فهذا فى منتهى الغرابة.

أيهـــا السادة المسئولون عن التأمين الصحى إن لقب أ.د. تسبق اسم من حصل على الأستاذية من أمثال أ.د. أحمد زويل، و أ.د. فاروق الـــباز، أ.د. مجدى يعقوب، وغيرهم. وهم علماء أجروا أبحاثاً، وألفوا كتـــباً، وأضـــافوا جديـــداً للمعـــرفة العلمية، ودونوا مقالات فى دوائر المعارف.

وإنـــنا نتساءل – ماذا ألَّف، وما أضاف هذا الـــ أ.د. الذى مُنِح هذه الدرجة من التأمين الصحي. ولكى يتقمص هذا الحاصل على درجة الماجســـتير، والــــ أ.د. من التأمين الصحي – هذه الشخصية، نراه لا يستخدم عِلماً فى التشخيص بل يستكبر ويستعلى على من هم أعلى منه من المرضى الحاصلين على الدكتوراه، وعلى اللقب أ.د. فلا يرد على أســـئلتهم واستفساراتهم، ويتمادى فى استعلائه، حتى أنه لا يكشف على المرضــــى، ويســـتمر طـــوال أربع سنوات يكرر الدواء، مما نجم عنه أعـــراض جانبـــية لهذا الدواء، مع أنه لو كشف على المريض، وقاس ضغطه خلال هذه السنوات، لغيَّر الدواء بدواء أقل منه سعراً.

وفـــى نفـــس الوقـــت الـــذي يمنح التأمين الصحي أطباءه لقب استشـــاري ولقـــب أ.د.، يمتـــنع عن ذكر كلمة دكتور للحاصلين على الدكتوراة من المرضى. وهكذا من لا يحمل لقب أ.دكتور – يمنحوه لقب أ.د. ومن هو حاصل على الـــ أ.د. يلغون له هذا اللقب.

وفـــى التأميـــن الصـــحى يذهب المريض إلى الممارس، وفى الجامعـــة إلى الأخصائي، ثم يتحول المريض إلى الاستشاري إذا تطلب الأمـــر ذلـــك، وكـــان يـــدون دفـــتر التأمين عبارة عن "يعرض على الاستشـــاري". ولكـــنهم وخلال عام ٢٠٠٠ ابتكروا ابتكاراً جديداً ينص علـــى عـــدم تدويـــن هذه العبارة فى الدفتر، ولكن تدون استمارة فيها البيانات وتسلم للاستشاري، ويحتفظ الاستشاري بالاستمارة، التى سوف تمـــزق فيما بعد .. وعند العودة للأخصائي يستفسر عن التأشيرة الغائبة فى الدفتر. وهى تأشيرة لم تكتب وحل محلها الاستمارة، مما يعني زيادة فى التعقيد، وحلقة غير مدونة فى الدفتر.

ويحكـــى زميل أن استشاري القلب أوصى بعمل رسم قلب بالـــ Echo، فذهـــب المريض إلى الأخصائي ليكتب له استمارة بذلك، فقال الأخصـــائي أن جهـــاز رســـم القلـــب بالـــ Echo فى مستشفى الطلبة الجـــامعى عـــاطل، وعلـــى المريض أن يذهب إلى إحدى المستشفيات الخاصة لعمل هذا الرسم. وتم هذا بالفعل نظير مبلغ (٦٠) ستين جنيهاً. حدث هذا فى شهر أغسطس عام ٢٠٠٠.

يا حسرة – مستشفى كبير من أكبر مستشفيات مدينة الإسكندرية، مستشفى تضارع المستشفى الرئيسي الجامعى، مستشفى تكلفت الملايين لاســـتكمال مبانـــيها وأجهـــزتها، وتستقبل المرضى من غير العاملين

بالجامعة نظير آلاف الجنيهات باعتبارها مستشفى استثمارى، وجهاز رسم القلب بالموجبات فوق الصوتية عاطل، وعلى المريض أن يذهب إلى إحدى المستشفيات الخاصة أو العيادات الخاصة لإجراء رسم القلب نظير ستين جنيهاً.

أما لجنة القلب بمستشفى جمال عبد الناصر، فهى فى الدور الثالث، وأمام الحجرة ممر، فيه دكة، تكفى لجلوس أربعة أو خمسة أفراد، أما باقى المرضى فيفترشون الأرض، أو يقفون فى حالة يرثى لها، حالة مؤسفة ومقززة للغاية، فيها هدم لكرامة الإنسان، ولآدميته، وبمنأى عن الإنسانية.

وتحول المريض لعمل قسطرة للشرايين بالمستشفى الرئيسي الجامعى. والحق أنه قد استحدثت الكثير من المبانى والأقسام، وأصبحت تضاهى فى نظافتها ورقيها أرقى المستشفيات العالمية، وبها هيئة تمريض ممتازة سرعان ما تلبى رغبات المريض بسرعة فائقة، وأخص هنا وحدة القسطرة.

ولكن يعيب المستشفى الرئيسي الجامعى أن البوابة تمنع جميع السيارات من الدخول، بما فى ذلك السيارات التى بها المريض. ولا أدرى إذا كان فى ذلك ميزة أم لا . صحيح أنه مطلوب الشدة والحزم، ولكن مطلوب كذلك الرحمة والرأفة بالمرضى. فطبقاً للوائحهم على المريض أن ينزل من السيارة عند البوابة، ويمشي مسافة طويلة من البوابة حتى وحدة القسطرة، مما قد يصيبه بآلام الذبحة الصدرية وتقلصات الشرايين وقد حدث هذا بالفعل لأحد المرضى.

وهنا نتساءل أليس من الممكن أن تدخل السيارة، وبعد أن ينزل منها المريض تعود من حيث أتت. ولكنها الإدارة المتحجرة العقول، والقلوب الأشد قسوة من الحجارة لحرس البوابة، والجليطة، ونزع النزعة الإنسانية من صدور الناس.

وفي حجرة الاستقبال بمستشفى جمال عبد الناصر، دخلت مريضة، فقرر الطبيب إعطاءها حقنة، ثم دخل طبيب آخر، فقال للأول: أعطيتها هذه الحقنة، الله يخرب بيتك، دا عندها القلب، وممكن تموت من جراء هذه الحقنة*.

*****

أفضلية التداوي

(٣٣)

أصيب أحد الأقارب، وهو مواطن ملتحي، وزوجته تضع الخمار على وجهها "منقبة" -أي أنها أسرة متدينة- أصيب بأعراض الذبحة الصدرية التي كادت تفتك به، واشتدت الآلام، وقرر الحاضرون إحضار عربة إسعاف تنقله إلى المستشفى، وقامت المستشفى بتجهيز العربة، ولكنه أصرّ على أن لا يذهب إلى المستشفى، وأن يبقى متحملاً الآلام، لأن لحظة نهايته قد اقتربت. قالوا : بلاش المستشفى، فلنأت له بأحد الأطباء، ولكنه أصرّ على نفس الموقف.

اندهشت بداية لامتناعه عن التداوي، وقلت لنفسي ولمن حولي أن الامتناع عند التداوي انتحار بطيء، وأن السنة الشريفة قد امتلأت

---

* نشرت بجريدة "الزمان"، العدد ٦٦، في ٢٠٠١/٩/٢٥ .

بأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام التى تحث الناس على العناية بالصحة لما فيها من أثر على الحياة.

يقول عليه الصلاة والسلام : "المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف" و"صوموا تصحوا" و"بنى الإسلام على النظافة" و"الطُّهور شطر الإيمان" و"النظافة من الإيمان".

والمهم أننى اتصلت بقريبى، وأفهمته الحكمة من العلاج، وأن الامتناع عن التداوى ليس من الدين فى شئ. ونصحته بأن يتناول قرص "دينترا" تحت اللسان عند الضرورة، إذا ما تكررت الأزمة، مع ضرورة التوجه إلى الطبيب.

واعتقد أنه اهتم بكلامى، فقد طلب منى تكرار استهجاء اسم الدواء. وبعد عدة أيام، تداولت كتاب الإمام أبى حامد الغزالى. إحياء علوم الدين. الجزء الرابع عشر، ووقعت عيناى على نص يقول :"أن ترك التداوى قد يحمد فى بعض الأحوال، ويدل على قوة التوكل، وأن التداوى يكون أفضل فى بعض الأحوال، وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال، والأشخاص، والنيات.

ويستند أصحاب الفكرة الأولى إلى أن جماعة من الأكابر قد ترك التداوى. فقد روى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قيل له : لو دعونا لك طبيباً ؟ فقال : الطبيب قد نظر إلىَّ وقال إنى فعَّال لما أريد. وقيل لأبى الدرداء رضى الله عنه فى مرضه : ألا ندعو لك طبيباً ؟ قال : الطبيب أمرَضنى. وكان أحمد بن حنبل يقول : أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوى من شرب الدواء وغيره.

ويبدو أن لترك التداوى أسباباً هى :

١- أن يكون المريض من المكاشفين، وقد كوشف بأنه انتهى أجله.

٢- أن يكــون المريض مشغولاً بحاله، وبخوف عاقبته، واطلاع الله علــيه، فينســيه ذلك ألم المرض، فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلاً بحاله.

٣- أن تكون العلة مزمنة، والدواء الذى يؤمر به بالإضافة إلى علته موهوم النفع، جارى مجرى الكى والرقية، فيتركها المتوكل.

٤- أن يقصــد العــبد بــترك الــتداوى استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى، أو ليجرب نفسه فى القدرة على الصبر.

أمــا أصــحاب الــنزعة الثانــية والتى تحث على التداوى، فقد استشــهدوا بــأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد شجع دراسة الطب، فــيقول علــيه الصلاة والسلام : "تداووا فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له دواء، غير داء واحد هو الهرم".

وروى عن انتفاء خاصية التوكل فى التداوى، ما قيل عن عمر رضــى الله عــنه، أنه لما خرج بالناس إلى الجابية، بلغهم أن به موتاً عظيماً ووباءً ذريعاً، فافترق الناس فرقتين، فقال بعضهم : لا ندخل على الوبــاء، فــنلقى بأيدينا إلى التهلكة. وقالت الطائفة الأخرى : بل ندخل ونتوكل، ولا نهرب من قدَر الله تعالى، ولا نفر من الموت، فنكون كمن قــال الله فــيهم : "ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر المــوت" (الــبقرة:٢٤٣)، فرجعوا إلى عمر رضى الله عنه فسألوه عن رأيه، فقال : نرجع ولا ندخل على الوباء. فقال له المخالفون فى رأيه : أنفرُ من قدَر الله تعالى. قال عمر رضى الله عنه : نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله*.

*****

---

* نشرت بالرأى العام، العدد ٧٢٧، بتاريخ ٢٠٠٣/١/١٠، ص ٤ .

الفصل الخامس

الاقتصاد

التصدير

(٣٤)

التصــدير هــو الوسيلة الوحيدة لدعم الاقتصاد المصرى، ولكى نصدر لابد من الإنتاج بغرض التصدير، وخلق بيئة تجارية عالمية تقوم علــى المنافســة، وخفض تكلفة الإنتاج، وجودة السلعة، مما يعمل على خفض سعر المنتج عن مثيله الأجنبي.

فيا سادة بدلاً من الشحاذة واقتراض العملات الصعبة من الدول الأجنبــية، ابحــثوا عن أسواق جديدة للمنتجات المصرية، وابحثوا عما تفعلــه الدول والحكومات الأخرى فيما يتعلق بالتصدير. فهى تقدم مزايا تصديرية بدءا من تسليم الأرض مجاناً، بينما نبيعها نحن لمن يريد. كما تقــدم هــذه الحكومات ميزة للطاقة والقروض والضرائب، بينما نسعى نحن إلى استنزاف المستثمرين.

وتــرجع إعاقة التصدير فى مصر إلى الفساد، والبيروقراطية، والتعقيدات، والروتين الخاص بالتصدير، والتفنن فى الأوراق المطلوبة، فيطلــب - مثلاً - من مصدر زراعى سجل صناعى، وتفرض نوعيات من الرسوم بلغت حوالى ٢٠ نوعاً، هذه بعضها. فحص الشرطة، ورسم هيــئة الميــناء، ورســم التداول، وتدفع هذه الرسوم فى خزائن مختلفة يتباعد بعضها عن بعض.

ولتشجيع التصدير ينبغي توفير وسائل النقل، خاصة وسائل النقل الجـوى، والطائرات التى تكفى لنقل الحاصلات الزراعية، وعلى وجه الخصـوص الحاصلات الزراعية القابلة للتلف. وينبغي كذلك تخفيض أسـعار الشـحن، والتى تمثل فى مصر من ٥٠% - ٨٠% من سعر السلعة؛ مما يؤثر على أسعار السلع، ويخفض من شأن التنافس.

وتـرجع مشكلة التصدير عندنا إلى سوء التخطيط. فالتوسع فى سـلعة معيـنة لابد وأن يقابله توسع بنفس الدرجة فى الصناعات التى تسـتوعب هـذه السـلعة، وفى فتح أسواق لها. فالناس يشكون من أن منـتجى الألبان يسكبونه فى الترع. فالشركة المحتكرة لصناعة الألبان، وهـى شركة مصر للألبان، تصر على شراء كيلو اللبن بـ ١٥ قرش، ويصـر المنـتجون علـى بيعه للشركة بـ ١٨ قرش، فيقوم المنتجون بسكبه فى الترع.

لمـاذا لا تنشأ مصانع لتعقيم هذا اللبن، وتصنيعه فى أكياس، أو تحويله إلى جبن أبيض، بدلاً من استيراد هذه المنتجات من الخارج.

ويقولـون أن البـيض زاد إنتاجه، ولكن لا توجد المصانع التى تسـتغل الكمـيات الزائدة، وتحوله إلى بودرة مجففة، بدلاً من استيراد بـودرة البـيض المجففة من الخارج، فلنقم هذه المصانع حتى لا نعدم البيض.

ووقت حصاد الطماطم، تزيد كمياته، ويصل سعر الكيلو إلى ٥ قـروش للكـيلو، ويهـبط ثمن الطن من ١٠٠٠ جنيه إلى ٣٠٠ جنيه، فيرمى المزارعون الطماطم فى الطرقات، فلماذا لا تنشأ مصانع تصنيع الطماطم وتحولها إلى صلصة بدلاً من استيراد الأخيرة من الخارج.

يــا ســادة، إن تــزايد الاعــتماد على استيراد الغذاء من العالم الخارجى يحمل فى طياته التبعية لهذه الدول، والتى تتميز بوجود فائض غذائــي تصــدره إلينا. وهى ليست تبعية سياسية فحسب، ولكنها كذلك تبعــية نقدية حيث يرتبط الجنيه المصرى بالدولار الأمريكي، أو الجنيه الاســترليني، مما يعمل على تخفيض قيمة الجنيه المصرى بالنسبة لهذه العملات*.

*****

جفاف السيولة النقدية

(٣٥)

نعيش اليوم مرحلة ركود اقتصادي، وأزمة اقتصادية تعانى منها الأســواق، وتتكدس فيها السلع بلا مشترٍ؛ ويتضاعف فيها عدد الفقراء. يقولــون أن الأمــوال العامــة سايبة، وأصبحت مجالاً للهجر والنصب والهــبش. ويتســاءل الــناس أين أموال الخصخصة. لقد جفت السيولة الــنقدية. جفــت فى يد الحكومة، فهى تكاد لا تدفع ما عليها من ديون للمقاوليــن الذيــن أقاموا لها المشروعات، وبالتالى كيف يدفع أصحاب المشروعات أجور ومرتبات موظفيهم وعمالهم.

وجفــت الســيولة الــنقدية كذلك في يد الأفراد، وهرب رجال الأعمــال، وكــادت عمليات البيع والشراء في مجال الشقق والسيارات وغيرها أن تتوقف. وبالتالى انخفضت، قيمة الجنيه المصرى.

---

* نشرت بجريدة التجمع، العدد ٨٢، بتاريخ ٢٠٠٣/١/٥، ص ٩ .

ويـــرجع هـــذا إلى تورط الحكومة فى إهدار المال العام بمئات الملايـين فـــى خلـــيج الســـويس، وفى الجمعيات الأهلية (الزمان فى ٢٠٠٠/٣/٢٧). وقامت الحكومة بالعديد من المشروعات العملاقة التى ابتلعـــت الســـيولة، مـــثل مشروع كورنيش الإسكندرية. صحيح بانت أهميته، وجعل المدينة مركز إشعاع حضاري. ولكن أيهما أسبق؟ إقامة هذا المشروع أم إقامة مساكن للأسر التى تعيش فى المناطق العشوائية، وبيوتهم مصنعة من ألواح الصاج المثقوب. هذا إلى جانب المصروفات الحكومـــية غـــير الضـــرورية التي فاقت الحد. إننا نصرف ببذخ، فقد صرفنا مبلغ ٥٠ مليون جنيه لإقامة احتفال على سطح الهرم. ويعد عدم التوازن بين قطاعات العمل المختلفة أحد العوامل التى تسببت فى ابتلاع السيولة.

جمـــيع هـــذه الظروف سببت ما سببت من كوارث اقتصادية . وعلـــيه فـــإذا أرادت الحكومة أن تتفادى هذه الكوارث الاقتصادية فإنه عليها أن ترشّد الإنفاق الحكومى، وتصرف الأموال بعقلانية رشيدة.

وهـــناك تقارير مالية حصل عليها الجهاز المركزى للمحاسبات أثبتـــت حـــدوث تلاعـــب فى المال العام فى مجالات الصحة والتعليم والمحلـيات. (جـــريدة الزمان) العدد ٦٥ بتاريخ ٢٠٠١/٥/٢٩. وفى مجال التلفزيون اختلست رئيسة قطاع ثلث مليون جنيه، وذلك بالتواطئ مع مسئول الشئون المالية والإدارية ، والتى حصلت هى الأخرى على مـــبالغ طائلة، وذلك على طريقة شيلنى وأشيلك. (الأيام الجديدة، العدد ٧٠، فـــى ٢٠٠١/٦/١٠، ص ٦). ويجرى النائب العام حالياً تحقيقات حول إهدار المال العام فى بورصة الأوراق المالية.

وجاء جمود السيولة النقدية نتيجة تعيين المسئولين فى الوزارات والجهـــات الحكومية كمستشارين بعد بلوغهم سن المعاش لمدة عام قابلة للـــتجديد بمرتبات لا تقل عن ٢٠٠٠ جنيه شهرياً للفرد، بالإضافة إلى المكافـــآت التى تصل إلى ٢٥٠% من المرتب، مما يكلف الدولة قرابة التســـعين ملـــيون جنـــيه شهرياً، فى الوقت الذى يعانى فيه الشباب من البطالة.

وقـــد أشـــارت مصادر فى الجهاز المركزى للمحاسبات أن هذه المـــبالغ ممكـــن تخصيصها لتعيين العاطلين، والمساهمة فى حل مشكلة البطالة.

تعرفوا لماذا هناك أزمة فى السيولة النقدية؟ نردُّ بأن هناك أزمة ناجمة عن إفراط فى الاستثمار العقاري، إلى جانب التوسع فى الائتمان المصـــرفي بلا ضمانات كافية. فقد اقترض لصوص البنوك الملايين ثم هربوا. حصل ثمانية رجال أعمال فقط على ١٢ مليار جنيه قروضاً من البـــنوك، و ٢٨ عميلاً حصلوا على ٢٦٧ مليار جنيه، وبلغ رصيد هذه القروض ١٥٠,٤ مليار جنيه فى يونيو ٢٠٠٠.

رجـــل أعمـــال مصرى مفلس ومدين، يحصل على قرض قدره ٢٠ ملـــيون جنيه من أحد البنوك، وآخر مدين للبنوك المصرية بمبالغ ضـــخمة جـــداً وقام بخطبة فتاة ثرية سورية، وبعد أن عقد قرانه عليها وقـــدم الشبكة، اشترطت العروس أن تحافظ على سائقها الخاص، فكان أن رفـــع مرتـــبه مـــن ١٠٠ دولار إلى ٣٠٠ دولار، وأثث له شقة فى القاهرة، وشرع فى إنشاء سبعة مشروعات سياحية ضخمة فى سوريا.

وإلى جانب ذلك قام القطاع الخاص بإغراق السوق المحلية بسلع آسيوية رخيصة اعتماداً على قرض مصرفي.

جميع هذه الظروف أدت إلى نقص فى السيولة النقدية، وركود الأسواق*.

*****

ركود حركة السوق

(٣٦)

لست بالمتخصص فى علم الاقتصاد، ولكن أحس بحركة الاقتصاد هل هى فى حالة ازدهار أم انكماش من خلال حركة المحال التجارية، فكلما أدخل محلاً، أجد صاحبه يشكو مر الشكوى من ركود حركة البيع. حدث هذا فى مجل قطع غيار السيارات، وذكر نفس الشكوى صاحب محل تصليح الكاوتش.

وينطبق نفس الحال على الناشرين، فهم يشكون من ركود حركة البيع فى الداخل، أما فى الخارج فلهم أموال لم تسترد طرف شركات ومؤسسات عربية تعودوا على المماطلة فى تسديد ما عليهم من أموال، ومع ذلك يذهب البعض إلى مدينة عربية للاشتراك فى معرضها، وهم يعرفون مسبقاً أن حركة البيع راكدة، أملاً فى أن يحصلوا على بعض من مالهم الذي يماطل المدينون فى تسديده.

ويحدث كثيراً أن يضطر الناشر إلى ترك ما معه من كتب لدى مكتبة أو ناشر عربي مع تنازله عن ٥٠% من ثمنها، وذلك أملاً فى أن

* أرسلت إلى "الوقائع العربية" و"الأيام الجديدة" و"أخبار إسكندرية والعالم"، ولم تنشر.

تسدد ثمن هذه الكتب فيما بعد، وذلك توفيراً لأثمان شحنها فى حالة العودة، ومن أجل إمكانية شراء ورق، وتشغيل مطابع بها عمال يحتاجون إلى أجور.

يقول المسئولون : أن اقتصادنا متين ، وأنه فى حالة ازدهار، وهذا القول محل شك، ففى رأيي أن المحك هنا هو فى قيمة الجنيه المصري بالنسبة للعملات الأجنبية، لقد ظل الدولار يساوى ثلاثة جنيهات لفترة زمنية طويلة، ثم بدأ ترتفع قيمته، وتنخفض قيمة الجنيه المصري حتى أصبح الدولار حالياً يعادل ٤,٩٥ جنيه، أى أن الجنيه يعادل عشرين سنتاً، ويقترب الدولار من الخمسة جنيهات.

وفيما مضى كان الجنيه المصرى يساوى خمسة ريالات، وفى عام ١٩٩٧ كانت قيمة الريال السعودى أقل من الجنيه المصرى، إذ كان يساوى ٩٣ جنيه ثم بدأ الريال يرتفع والجنيه المصري ينخفض، حتى علمت وأنا أكتب هذه الكلمات، أن الريال السعودى أصبح يساوى ١٥٠ قرش، وبعد كده تقولون أن اقتصادنا فى حالة ازدهار.

تقول الصحافة أن خسائرنا قد تجاوزت ٣ مليارات دولار بعد أحداث ٢٠٠١/٩/١١. وتضيف أن مصر تعانى من عجز فى الميزان التجارى، وميزان المدفوعات، ويعود هذا إلى ارتفاع معدلات الاستيراد، وانخفاض معدلات التصدير.

إن الصناعة فى مصر تستهدف المنافسة المحلية، فهى تنتج لمجرد الإنتاج _ أى للسوق المحلى. ولكن ينبغي أن يكون هدف الإنتاج التصدير، فهل يستطيع الإنتاج فى مصر أن ينافس الصناعات العالمية حتى نتمكن من التصدير.

إن حجم صادراتنا للأسواق العالمية قد تدهور إلى ما قيمته ٤,٥ مليار دولار، وذلك مقابل زيادة فى حجم الاستيراد بلغت قيمته ١٨ مليار دولار، وهو ما يشكل عبئاً على الميزان التجارى مقداره ١٣ مليار دولار.

تصوروا عندنا مخزون من الثلاجات والبوتاجازات والتلفزيونات يبلغ قيمته ٣٥٠ مليون جنيه، ونستورد سنوياً ما قيمته ١٦٢ مليوناً من الجنيهات لهذه الأصناف. وتستورد مصر تفاح بما قيمته ١٠٠ مليون جنيه سنوياً. (سعد هجرس – حديث المدينة، العدد ١٨٧ فى ٢٠٠٢/٢/٢ ص ٣).

وتستورد الحكومة ٨,٥% من احتياجاتها من الخارج، وكم من ملابس جاهزة صينية أو تايوانية الصنع، وأداة فتح الزجاجات، وسن السكاكين مهربة من سداد الرسوم الجمركية، وتباع بأقل من مثيلاتها المصنوعة محلياً) القميص المصري مثلاً بـ ١٠٠ جنيه، والصيني بـ ٢٥ جنيه – ٣٥ جنيه ، فيا ناس يا بتوع الجمارك راقبوا المنافذ الجمركية بأعين مفتوحة .

أيها المنتجون استعدوا للمنافسة فسوف تفتح مصر ذراعيها للملابس الجاهزة المستوردة طبقاً لاتفاقية الجات التى سوف تزيل الحواجز أمام استيراد الملابس الجاهزة. منافسة فى السعر، ومنافسة فى جودة الإنتاج. كيف !؟ لا أعرف، فلقد تبين أن تكلفة الإنتاج فى مصر أعلى من تكلفتها فى أمريكا.

إننا نناشد الحكومة أن تحد من بذخها، وترشد إنفاقها، وأن تكون النوايا الطيبة للإنفاق الحكومى أفعالاً، وليست مجرد نوايا، وأن تشجع

الســياحة الداخلية ، وتحث على شراء المنتجات المحلية، وتنشط حركة الأسواق*.

*****

الضرائب وتحصيلها من المنبع

(٣٧)

ليســت هناك دولة فى العالم لا تجبي الضرائب، فهى تستخدمها فى إقامة الخدمات وعلاج المشكلات، ونحن هنا فى مصر تقوم مصلحة الضــرائب بتخريــب حصيلة الضرائب، فقد انعكس ارتفاع الضرائب، والــتى تــبلغ حوالــى الـــ ٥٠% فى الشرائح الكبرى. أما أصحاب المشــروعات الصــغيرة فيعانون من التقديرات الجزافية، لعدم فحص الدفاتــر والــتهديد بالحجــز في حالة عدم السداد الفورى، انعكس هذا بالسلب على المحاسبة الضريبية.

فبالرغم من أن مهنة الترزية فى طريقها إلى الانحدار، فما زالت مصــلحة الضــرائب تفرض من خلال التقديرات الجزافية ازدياد نشاط الــترزية كــل عــام، حــتى اتهمت طائفة الترزية والخياطين مصلحة الضرائب بالتعسف فى تقدير الرسوم المستحقة عليهم بما لا يتناسب مع الحجم الواقعى لنشاطهم الذي يتجه إلى الاندثار، وطالبوا بأن الأدعى أن تشجع مصلحة الضرائب القائمين بمزاولة هذه المهنة بدلاً من مطالبتهم بسداد مبالغ ضريبية كبيرة.

---

* أرســلت إلــى وحيد غازى – رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير جريدة المواجهة فى ١/٢/٢٠٠٢، ولم تنشر.

وقـد ترتب على التقديرات الجزافية للضرائب أن أصبح الكبار يـتهربون مـن الضرائب، والصغار يصرخون، وراح الناس يتحايلون علـى الـتهرب من دفع الضريبة. فقد كشف تقرير أمنى تزايد ظاهرة الـتهرب الضريبي فى نشاط السيارات، وذلك باستخدام التوكيلات، بدلاً من السجلات.

ويحـدث نفس الحال بالنسبة لعمليات بيع وشراء الشقق، والذى يتم أيضاً بنظام التوكيلات. فقد اشترى أحد المواطنين شقة، ولم يسجلها بالشـهر العقـارى، وإنمـا كتب للمشترى توكيلاً بالتصرف فيها بالبيع والشـراء. سألته : لماذا فعلت ذلك ؟ قال : إن الضرائب تحصل على ٢٥% مـن ثمـنها، فإذا ما كان ثمن الشقة ٨٠ ألف جنيه، فالضرائب تحصـل على ٢٠ ألف جنيه، وعلى ذلك يكون المشترى قد دفع ١٠٠ ألف جنيه ثمناً للشقة.

وأوردت الصـحف أن مباحـث مكافحـة الـتهرب الضريبي اسـتطاعت إعـادة ٤٨٠ ألـف جنيه لخزينة الدولة تهرب من سدادها صاحب شركتين لتجهيز المراكب بامبابة والحوامدية.

ولهـذا فـإذا مـا أرادت الدولة مزيداً من الضرائب، فعليها أن تخفض قيمة الضرائب لجذب المزيد من الاستثمارات، وعليها كذلك أن تستفيد من تجارب الدول الأخرى، فقد وصلت قيمة الضريبة فى الصين إلى ٢٥% للمستثمر، مما يؤدي إلى زيادة معدلات السيولة على المدى البعيد.

صحيح أن الدولة تمنح إعفاءات للمشروعات الاستثمارية، حيث يعـافون لمـدة خمس سنوات أو عشر سنوات. ومع ذلك فإن عدداً من

المستثمرين يسارع قبل انتهاء مدة الإعفاء بتغيير اسم الشركة، وإدخال شركاء جدد، وبهذا يحصلون على إعفاءات جديدة.

يا سادة إن الضريبة تقوّض حكومات، وتقيم حكومات. فلقد كان تخفيض الضرائب إحدى النقاط التى وضعها جورج بوش الابن ، والذى رشحه الحزب الجمهورى لرئاسة الدولة، فقد وعد بوش بتخفيض الضرائب على مراحل إذا ما وصل إلى الرئاسة.

والأحسن أن يتم تحصيل الضرائب من المنبع ويتم هذا بالفعل بالنسبة للموظفين. فقبل أن يتسلم الموظف مرتبه يكون قد سدد ما عليه من الالتزامات. ويا ليتهم يطبقون هذا المبدأ على جميع النشاطات الاقتصادية*.

*****

الضريبة العادية وضريبة المبيعات

(٣٨)

يسود السوق المصرى حالة من الكساد، ويعلق الحكماء من رجال الاقتصاد على ذلك، بأن هذا يرجع إلى ارتفاع سعر الضريبة وأنه من أجل النهوض بالاقتصاد لابد من تخفيض الضرائب العامة وإلغاء ضريبة المبيعات. فتخفيض الضرائب يعمل على زيادة الاستثمار، وإنعاش السوق، ونمو حركة البيع والشراء.

لقد وصل سعر الضريبة العادية فى مصر إلى ٤٠% علماً بأن أعلى سعر ضريبي فى العالم ٢٥% ويعلق أحد المنتجين على

---

* نشرت بجريدة إسكندرية والعالم، العدد ٦٣، منتصف أغسطس ٢٠٠١، ص ١٠ .

ذلــك بقو له : أنه إذا كسب مائة ألف جنيه، فإن الحكومة تستولى على ٤٠,٠٠٠ أربعين ألف جنيه. واستطرد: أنا سوف أقفل أعمالى، وتعالوا أنتم قوموا بها.

ولهذا يتهرب الممولون من دفع ما عليهم من مستحقات ضريبية فرضــت ضريبة بمقدار ٧٣,٥٠٠ ثلاثة وسبعون ألف وخمسمائة جنيه على ناشر. وبمجرد ما لمحت عيناه الرقم فى الخطاب أطلق عبارة تعبر عما يجيش فى صدره، فقال: أن الضرائب بتهرج.

إن مصـــلحة الضرائب إذا أرادت أن تحصل على كافة حقوقها، فينبغـــي أن تحاسب الممول على الخمس سنوات الماضية فقط. أما فترة ما قبل ذلك فينبغي أن تسقط بالتقادم. ويطالب الممولون أن تحصل منهم الضرائب سنة بسنة، بدلاً من تركها تتراكم عليهم.

أمـــا الطامـــة الكبرى فهى ضريبة المبيعات، والتى علّق عليها جـــلال عارف بأن مجلس الشعب قد أصدر قانون المبيعات فى يومين (أخبار اليوم، العدد ٢٩٥٣ بتاريخ ٢٠٠١/٦/٩ ص ٥).

وبســـبب ضريبة المبيعات وتطبيق المرحلة الثانية والثالثة منها توقّعت مصادر اقتصادية تزايد حالات إفلاس التجار.

وزعـــم العـــاملون بجهـــاز الضرائب أن تطبيق المرحلة الثانية والثالثة من ضريبة المبيعات سوف لا يؤدي إلى ارتفاع الأسعار، ولكن الحاصـــل أن هـــذه الضريبة لا تمثّل ضربة للتجار فحسب، بل للتجار والمستهلكين. فالضريبة التى يدفعها التاجر للحكومة سيحصل عليها من المستهلكين.

يا ناس – يا هووه، إذا كنا نحتاج لغذاء معدتنا، فإننا نحتاج كذلك لغذاء أمخاخنا. لقد ارتفعت أسعار الورق، وامتنع التجار فترة من الوقت عـن بـيعه حتى يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود، ثم رفعوا السعر ، وبالتالى ارتفع سعر الكتاب.

وارتفعـت كذلـك أسـعار منتجات المصانع الحربية. فحجارة الـبطارية الـتى كانـت تـباع بـ ٢ جنيه بيعت بعد فرض الضريبة ٢,٢٥ جنـيه وامـتد رفع الأسعار إلى محلات الشاى والجاتوه، فكوب الشـاي الذي يباع بـ ٠,٣٥ قرش قرر صاحب الكشك بيعه بـ ٠,٥٠ قرش (عم على) والذى كان يباع بـ ٠,٨٠ قرش تقرر بيعه بـ ١ جنيه والـذى كـان يباع بـ ١,٢٥٠ يباع بـ ١,٥٠٠ (قهوة والى اللىّ على كورنـيش كامب شيزار). كذلك المحلات التى كانت تبيع قطعة الجاتوه بـ ٢ جنـيه رفعت سعرها إلى ٢,٢٥٠ مع أن كون الشاى لا يتكلف أكثر من ٠,١٥٠ (مائة وخمسون مليماً)*.

*****

المرأة والعمل

(٣٩)

المرأة هى عماد بيتها، ومن أسس وعيه بالمثل والقيم والأخلاق. والإسـلام لـم يحرم المرأة من العمل، بل حثها على العمل الجاد المفيد الذي ترتقى به الحياة، ويعم الرخاء بين الناس، ويزيد الخير. وإذا كان الأمـر القرآنى للنساء بالبقاء فى البيوت، فإن هذا الأمر ذو خصوصية

---

* أرسلت إلى "حديث المدينة"، و"الدوامة"، ولم تنشر.

لـــزوجات الرســـول صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى :" يا نساء النبي لستن كأحد من النساء".

والمشـــاهد أن زوجات رؤساء الدول لا تعمل، وإلا فهل زوجة ريجان تعمل أيام كان زوجها رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، أو هل امتلكت زوجة بوش بوتيكاً. إن عمل الواحدة منهن اقتصر على زوجها والاهتمام به. فما بالنا بزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم .

إن عـــدم عمـــل المـــرأة يجعلها مهمشة، مائلة إلى الانزواء فى البيـــت، ممـــا يقـــيد الـــنمو الذهنى لها، بينما العمل والكسب والاختبار والإصـــابة والخطـــأ والاخـــتلاط بالمجـــتمع تعمل على تربية المرأة، وصقلها، ونمو ذهنها.

والعمل تاج فوق رأس المرأة، فهى تعمل، وقد وفرت لها الآلات الميكانيكية فى بيتها، وأغنتها عن العمل فى المطبخ، فزاد فراغها الذي احتاجـــت أن تشغله بالعمل والكسب خارج البيت، واستقلت بما تكسب، ولـــم يعد الرجل يعولها، كما كانت من قبل، وأصبحت شخصيتها قوية تواجه الدنيا بشجاعة.

وقـــد زاد العمـــل ثقة المرأة فى نفسها، وأصبحت المرأة العاملة أكـــثر قـــدرة من غيرها لتفهم مشاكل مجتمعها، وأتاح العمل لها دوراً لخدمـــة المجـــتمع، ففى الحضر والريف عملت المرأة فى مجال الطب والهندسة والتدريس والمحاماة، وعملت أستاذة جامعية. وهى كذلك يمكن أن تعمل فى مشروعات تدر عليها دخلاً مثل : صناعة السجاد، الحياكة، التطريز.

وفـــى الـــريف عمـــل الأبـــناء فى الوظائف الحرفية، وسائقي الســـيارات، وتركوا فلاحة الأرض للمرأة. وللمرأة دور فعال فى اتخاذ قرارات مصيرية مثل نوع المحصول الذي تزرعه، وبناء بيت للأسرة، واختيار عروس ابنها ، أو زوج بنتها.

وتـــتعامل المرأة بالقروض مع بنك التسليف الزراعي ، وتجلب المال للأسرة بضمان حيازة أرضها الخاصة، وهى التى تختار ملابسها، وملابـــس أبناءها وهى تتعامل مع صنبور المياه التى تستهلكها، وتعمل علـــى ترشـــيد المـــياه. ولا ننســـى أن حرباً قد تقوم بين الدول بسبب المـــنازعات علـــى المـــياه. وهكذا فالمرأة لها اليد الطولى فى قيام هذه الحرب أو وقفها.

والحـــق أن عمالة المرأة أدت إلى ارتفاع مستوى معيشة الأسر، وأصـــبح الآبـــاء والأبناء يأكلون اللحم الأبيض والأحمر يومياً، بعد أن كانوا يأكلونه فى المواسم والأعياد. ولكن هذا كان على حساب الأطفال، فقـــد انشـــغل الآبـــاء عن أبنائهم بطلب الرزق، وتركوا الأبناء لتربية الشغالات والجدات ودور الحضانة.

ولعـــل هذا يكون أحد أسباب الانحرافات التي ازدادت معدلاتها هـــذه الأيام، وتجلى عنها ارتفاع نسبة المدمنين، وكثرة حوادث السرقة بالإكراه، والاغتصاب. وعليه لابد من أن توازن المرأة بين قدرتها على العمل، ومقدرتها على إدارة البيت، ورعاية الأبناء*.

*****

---

* أرســـلت إلـــى أ. ســـمير رجـــب – رئـــيس مجلس إدارة ورئيس تحرير الجمهورية وأ. مصطفى بكرى – رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير "الأسبوع"، ولم تنشر.

حكاوى المقاهى

(٣٠)

يجـد بعـض أصحاب المعاشات، وكبار السن عموماً سلْوتهم، وأحسن شيء يقضون أوقات فراغهم فيه هو التردد على المقهى، حيث يلتـئمون مـع مجموعـة من الأصدقاء المسنين. ويتبادلون الأحاديث والذكـريات، ويطـرحون المشكلات التى تجابهُهم على بساط البحث، ويعلقون على الأحداث التى تهمهم.

هذا هو مأوى المحالين على المعاش، وتسليتهم المفضلة، بعد أن أغلقت النوادى أبوابها فى وجوههم، لمطالبتها لهم بآلاف الجنيهات نظير انضمامهم إليها.

دفعـنى إلـى كتابة هذه الافتتاحية ما حكاه أحد المسنين لصديقه علـى مقهـى. وكنت جالساً فى انتظار زوجتى التى ذهبت تتسوق من السوق. قال : أنت تخلصت من المصاريف بزواج إبنتك الصغرى، أما أنـا فمـا زال عندى أبناء لم يتزوجوا بعد وأقوم بالصرف عليهم. ردَّ الثاني : مصاريف إيه التى تقول أننى قد تخلصت منها. ده إحنا عايشين فـى عـالم لا يعلم به إلا ربنا. ففى أيام الجمع يجتمع أحفادى وآبائهم عـندى، وقـد استضفتهم على الغذاء، ولكنهم لا يتوحدون فى مطلبهم، وكل منهم له طلب، فواحد يطلب اللحمة بالبطاطس وثاني يفضل اللحمة بالفاصوليا، وثالث يحب اللحمة بالبامية، ورابع يميل إلى اللحمة فحسب، يعنى اختلفوا فى أصناف الخضار، ولكنهم جميعاً اجتمعوا وحبوا اللحم.

واستطرد الرجل يقول : تعرف يا عم كيلو اللحم عند الجزار بكام ؟ إنه بـ ٣٦ جنيه، وإذا حطيت للعيل كيلو لحم، فسوف يبتلعه. وذهب إلى القول بأن جزار الجمعية، إذا طلبت منه ٢ كيلو، فسوف يعطيك كيلو لحمة، وكيلو دهنة. ولهذا لابد من إعطائه ١٠ جنيه عن كل كيلو، حتى ينتقي لك أحسن ما عنده من اللحم.

أقول لهذا الرجل : الحق معك فنحن نعيش في زمن تتأوه فيه الأمعاء، وترتفع فيه الأسعار إلى الحد الذي معه يتكلم الأجداد والآباء عن دخل ومصروف البيت على المقاهي.

يا سيدي، اعلم أن الله هو الرازق، ولكن اتق الله فيما تؤدي وتصنع، وإن كنت كذلك فلا تخش أن تبيت جائعاً، أو تموت ضائعاً أو تفترسك أنياب الفقر، فقد قال الله تعالى، وقوله الحق :" ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب" (الطلاق: ٢،٣) وتعني: لا يحتسب – أى من حيث لا يدرى أو يتوقع.

ويقول الله سبحانه وتعالى : " وفى السماء رزقكم وما توعدون". (الذاريات : ٢٢). فالله هو الرزاق ذو القوة المتين. ويقول سبحانه وتعالى :" وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين" (هود : ٦) فما دب على الأرض تكفل الله به، ويعلم الله مسكنها في الدنيا، ومستودعها بعد الموت أو فى الرحم.

وتوكل على الله يا سيدي ، وأدعو أبناءك، وأبناء أبنائك على الطعام، فقد قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً"

(الـترمذى). وقال صلى الله عليه وسلم :" إن خياركم من أطْعم الطعام ورد السّلام".

ويـا سيدي أعلم أن المرأة الصالحة الناجحة هى من تستطيع أن تدير أعمال زوجها فى البيت. فلماذا اللحم من عند الجزار، والكيلو كما تقـول بـ ٣٦، واللحم موجود فى الجمعية بحوالى ١٥ جنيه. ومن قال لك أدعهم على اللحم وما فى مستواها، فادعهم حسب قدرتك، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولو دعوتهم على عدس فهل سيرفضونه.

سـيدي إنه الشره والنهم، الذي ابتلى به إنسان اليوم، قال رجل عـن نفسـه إنـه تناول طعام الإفطار فى بيته، وكان مكون من الفول والطعمـية، ثـم ذهب إلى منتصف المدينة أو مركزها لقضاء مصلحة، فذهـب إلى محل الفول والطعمية، وبدلاً من أن يشترى سندوتشات فول وطعمـية، مـع أنـه تناول إفطاره فى بيته - تناول سندوتشات عجة وأومليت، ودفع سبعة جنيهات.

وحضـرت دعوة على الإفطار فى رمضان، فالتهم أحد الأفراد نصـف قـارب أرز محشـو ومغطى بخلطة من المكسرات والزبيب والقوانـص، ويكفى عشرة أفراد، ولما نهض من الأكل ذهب يقول : أنا ذواق - الأكل لذيذ - وأنا أقول : أنت لست بذواق، ولكنك شره ونهم.

فيا إنسان اليوم كن معتدلاً، كن وسطاً بين الإفراط والتفريط، فلا تسـرف ولا تقـتر. يقول رجل مسن: أىْ بنى قد بلغت تسعين عاماً ما نغـص لى سن، ولا تحرك لى عظم، ولا عرفت دنين أذن، ولا سيلان دم، ولا سـلس بول، ما لذلك علة إلا التخفيف من الزاد فإذا كنت تحب الحياة ، فهذه سبيل الحياة، وإن تحب الموت فلا يبعد الله إلا من ظلم.

ولقد صفت أذهان العرب، وصدقت أحاسيس الأعراب، وصحت أبدان الرهبان، مع طول الإقامة فى الصوامع، وحتى لم تعرف النقرس، ولا وجــع المفاصـــل، ولا الأورام، إلا لقلـــة الرزق من الطعام، وخفة الزاد، والتبلغ باليسير.

أمـــا المقـــاهى - فيا ليت أن يزودها أصحابها بمكتبة، وبعض ألـــوان التسليات المسموح بإقامتها فى المقهى، وكذلك دورة مياه عامة، حـــتى يجلـــس إليها الناس ليتسلوا فيها، وليستمتعوا، ويكفوا عن الكلام والحديث عن دخليات، وأسرار بيوتهم*.

*****

* أرســـلت إلـــى "صـــوت الأمـــة" و"السياسى المصرى" و"النبأ الوطنى" و"الجمهورية" و"الشروق" و"الأسبوع"، ولم تنشر.

الفصل السادس
فى السياسة

حرية الصحافة

(٣١)

يسعى الإنسان دائماً أن يكون حراً، لأنه يجب أن يكون موجوداً أخلاقـياً، أى يجـب أن يكون شخصاً. ولهذا فإن النضال الطويل للفكر البشـرى علـى مدار التاريخ هو سعى للوصول إلى برهان يقينى على قـيمة الحرية. والحرية لا يمكن لأحد أن ينكرها وينكر قيمتها. وإنكار الحـرية هو إنكار لذات الإنسان. ونقصانها هو تحديد كلى من الخارج، ويعنى ذلك عبودية الإنسان وخضوعه لمجرى الأحداث الطبيعية. وعلى ذلك فالحرية هى حرية الإرادة.

والحق أن الإسلام يمنح كل فرد الحق فى إبداء رأيه، وفى النقد والـتقويم، ولم يحاول أن يفرض على العقول أية نظرية علمية معينة، ولكـنه حـاول أن يستحث العقول على النظر فى ظواهر الكون. فلماذا نأتى نحن ونضع قيوداً على إصدار الصحف، لماذا لا يرد إلى المجتمع حق مواطنيه فى امتلاك الصحف كما يشاءون، حتى لا يلجأ البعض إلى الحصـول علـى تصريح لإقامة الصحف من قبرص أو غيرها، ولكن بشرط أن يكون ذلك فى حدود القوانين والقيم والأعراف، حتى لا تنقلب الحرية إلى فوضى.

قــد يخشـــى النظام السياسي من إغراق البلد بسيل جارف من الصـــحف، ونــرد فليحدث هذا، وما هو الضرر الذي ينجم عن ذلك ما دامـــت هـــى تســير طـــبقاً للمنهج الصحيح، ولم تنحرف. وقد يخشى المسئولون أن تشترى ذمم أصحابها، ويضعون صفحاتها فى خدمة دولة أو دول متربصـــة أو متلصصـــة. وفى هذه الحالة نرد بأن القضاء هو الفيصل فى أمر تلك الصحيفة التى تقع فى هذا الخطأ.

والحـــرية الحقيقية للفكر ليست مجرد كلمة يتشدق بها البعض، ولكنها تحتمل إبداء كل رأى، ونشر أى فكر، وترويج أى مذهب (قاسم أميـــن)، ما دام ذلك لا يضر بالغير، وإذا مس الغير ضرراً، ينبغي أن يزود هذا الفكر بالحج والأسانيد.

ســبحان الله – قديمـــاً قال إسماعيل صدقى باشا رئيس وزراء مصر لمصطفى أمين المحرر فى روز اليوسف ساخرا – أنا لا أثق فى شرف الصحفيين . (رشاد كامل. الملكة نزلى – غرام وانتقام ص ٦٢) وفـــى وقتـــنا الحـــالى ارتفعت مكانة مهنة الصحافة ارتفاعاً ملحوظاً، وأصـــبحت تضـــارع مناصـــب الـــوزراء ومـــتخذى القرار ، ويسعى المواطـــنون إليها، ويلتحق خريجو الثانوية العامة بالكليات التى تؤهلهم لها، ووثق الناس فى العاملين بهذه المهنة.

فـــيا رؤســـاء مجالس إدارة الصحف، ويا رؤساء التحرير، ويا محررى الصحف، كونوا عند حسن ظن الجمهور، التزموا بمبدأ حرية الصـــحافة، ولا تعتقدوا أن هذه الصحيفة أو تلك تخضع لملكيتكم، وأنكم قـــوة بـــلا حـــدود، وقـــدرة بلا قيود، مع أن البعض فاقد لأصول اللغة

العربية، فيرفع المنصوب، وبنصب المرفوع. فقد شاهدت فى التلفزيون أو الإذاعة – لا أتذكر – أحد رؤساء الصحف القومية الرئيسية يقول : إن الجانبان، مع إنها إن الجانبين .

إن حرية الصحافة يا سادة لا تعنى أن يكتب رئيس مجلس إدارة الصـــحيفة، أو رئـــيس تحريـــرها مقالة مصحوبة بصورته، يعتقد أنها صورة حلوة، يكون فيها وجيه المنظر، لا وجيه أباظة. أما المقال فيعبر عـــن رحلة قام بها إلى الهند أو الصين، ولا تفيد قارئها فى شيء. لماذا يفعـــل رئيس مجلس إدارة الجريدة، أو رئيس تحريرها ذلك؟ طبعاً لأن الجريدة تخضع لملكيته.

ونقول لكم إذا كانت حرية الصحافة تعنى حريتكم فى التعبير عن آرائكم وأفكاركم، فإن حرية الصحافة تعنى كذلك أن من حق المواطنين أن يعبزوا عن آرائهم وأفكارهم فى مقالات تنشر.

فيا رؤساء مجالس إدارة الصحف، ويا رؤساء التحرير لا تقفوا عقـــبة أمام تحقيق رغبة المواطنين فى نشر مقالاتهم مع أنها تدعو إلى الفضيلة والتمسك بالقيم. إمّال سيادتكم عاوزين إليه، هل تودُّون مقالات تطرق موضوعات الجنس والشهوة والصور العارية*.

*****

---

* أرسلتُ إلى "آفاق عربية" و"النبأ الوطنى" و"الأخبار" و"صوت الأمة" و"الوقائع العربية" و"الوفد"، ولم تنشر.

أنت الخائن الأعظم وليس السادات

(٣٣)

عجباً ! ناس ترفع من قدْر السادات، ويصفونه بالثعلب والمكار، وتضـــعه علـــى قمـــة حكام مصر، فهو قد انتصر فى حرب ١٩٧٣، وعبرت قواته خط بارليف أقوى الخطوط الحربية التى تفصل بين قوات مـــتحاربة، وتخفـــض من شأن عبد الناصر باعتباره مثالاً للدكتاتورية، وصاحب نكسة ١٩٦٧.

وآخـــرون قالوا عكس ذلك، فرفعوا من شأن عبد الناصر، فهو الزعـــيم الأعلى ، مخلّص مصر من الاستعمار، ورائد القومية العربية، وذلك فى مقابل السادات الذى نعته أحد الكتاب بأنه الخائن الأعظم وأنه ضرب سوريا فى ظهرها.

فيا من نعت السادات بالخائن الأعظم معذرة لقولى أنت لا تصلح أن تكون مؤرخاً، ولا صحفياً، لأنك ابتعدت عن الموضوعية والحيادية، وكنـــت ميالاً إلى صفع السادات. وبالعربي أنت الخائن الأعظم، وليس السادات ، لأنك نعت من هو ليس بخائن بالخائن.

يـــا سيدي الخيانة لها شروط هى أن تتم بالاتفاق سراً مع العدو لتحقـــيق أهدافـــه فى نظير منفعة شخصية، فهل أجرى السادات اتفاقات سرية مع أحد من إسرائيل، حتى تنعته بهذا النعت؟ وهل نال نظير ذلك منفعة شخصية ؟ أقول : لا وألف لا، فقد كانت اتفاقاته مع إسرائيل على مسمع ومرأى من العالم.

هل نسيت يا سيدي أن السادات قد رفض وقف إطلاق النار فى مرحلة الانتصار الكاسح لقواتنا على القوات الإسرائيلية ، وعبورها خط بارليف المنيع، وقبل حدوث الثغرة.

قــل لــى أنت أيها الشجاع، ماذا كانت تفعل لو كنت مكانه بعد حــدوث الثغــرة ؟ وكيف كنت ستتصرف؟ قوات إسرائيلية عبرت قناة الســويس ناحية الدفرسوار، ولم تكن سبع دبابات كما قيل وقتها، ولكنها بلغــت ثلاث فرق مدرعة، استهدفت احتلال مدن القناة الثلاث وحصار الجــيش الثانــي والــثالث، وحاولــت هــذه القوات الاتجاه شمالاً نحو الإســماعيلية لاحتلالها ولكنها فشلت. وتمكنت فرقة من هذه الفرق من اقــتحام السويس واحتلت جزءاً منها ، ثم استردها المصريون بعد ذلك، ثم أعيدت الكرة مرة ثانية ، واحتلوا جزءاً منها، ثم طردوا .

لقــد وافــق السادات على إيقاف ضرب النار بعد اتساع الثغرة، واضــطر إلــى طلــب قــوات من أمريكا وروسيا للفصل بين القوات الإســرائيلية والمصرية وقال قولته المشهورة، أنا لا أستطيع أن أحارب أمريكا، ولكننى أحارب إسرائيل. لقد وجد السادات نفسه يحارب أمريكا وليس إسرائيل وحدها، تحطم القوات المصرية الدبابات الإسرائيلية على الجبهة فى سيناء، فتأتى أفواج جديدة من الدبابات الأمريكية، عداداتها يا دوب اجتازت المسافة من العريش إلى جنوب سيناء.

لقــد هــدّد الســادات، وهيأ نفسه، وأعد قواته، وعين لها قائداً، لحصــار القوات الإسرائيلية غرب القناة، ولكنها كانت مجازفة لا يعلم نتيجــتها إلا الله، فلربما ننتصر نحن ونقضى على العدو تماماً، ولربما ينتصر العدو - لا قدّر الله - وعلى وجه الخصوص أن أمريكا لا يمكن

أن تقف مكتوفة الأيدي، بل ستقف بجانب إسرائيل، وقد وقفت قبل ذلك فاختار إعادة سيناء إلينا دون سفك دماء .

يــا سيدي – إنها حقاً مأساة، فماذا تفعل لو كنت مكانه ؟ وماذا يفعل هو ؟ أعتقد أنه لا حلّ سوى ما فعله*.

*****

قضية لوكيربى

(٣٣)

شــغلت قضــية لوكيربى أذهان العالم العربي والإسلامي ، بل والعالم كله لمدة تجاوزت الإثنى عشر عاماً. وحوكم الليبيان عبد الباسط المقريحــي والأميــن خلــيفة المــتهمان بتدمير الطائرة الأمريكية التى انفجــرت فــوق مديــنة لوكيربــي عام ١٩٨٨ ، وراح ضحيتها ٢٧٠ شخصاً.

وجــرت المحاكمـــة فى هولندة ، وحَكَمَتْ بإجماع القضاة على المقريحي بالسجن مدى الحياة، وتبرئة المتهم الثاني الأمين خليفة خليفة.

حقيقة لا يستطيع أحد أن يعلق على هذا الحكم، فالحكم هنا حكم محكمـــة لا يجــوز مناقشته أو التعليق عليه، خاصة أننا لم نطلع على حيثــيات الحكــم، ومع ذلك فإن الفرصة سانحة وكاملة للاستئناف بعد صدور الحكم بُخمسة عشر يوماً . واعتقد أن ذلك قد تم.

خـــرج حكــم تداخلت فيه الاعتبارات السياسية مع الاعتبارات القانونية ، بل فاقت الناحية السياسية الجانب القانوني، وتضاربت الآراء

---

* نشرت بجريدة أخبار إسكندرية والعالم، العدد إبريل ٢٠٠١، ص ١٠.

حـــول الحكم، فقد رحب الأمين العام للأمم المتحدة كوفى عنان بالحكم الصـــادر على المتهمين فى القضية. واعتبرت الإدارة الأمريكية الحكم بمـــثابة إدانـــة للســـلطة الليبـــية. وأعلن روبين كوك وزير الخارجية البريطاني أن المحاكمة كانت عادلة تماماً، وأضاف أن المحاكمة شاملة وعادلة . ولكنه طالب بدفع تعويضات لأسر الضحايا. وأعلنت ليبيا أنها تحترم القضاء الاسكتلندى، ولكن – وكما علق العقيد القذافي – أنه لديه أدلة تثبت براءة المقريحي فقد صرح المتحدث باسم أسر الضحايا "مستر جـــيم" أن المتهم المدان وهو المقريحي بريء. وبنى حكمه على أساس "أن جهـــاز التفجـــير الذى وضع فى الطائرة بمطار مالطة لا يمكن أن ينفجر إلا من خلال زر يضغط عليه من مسافة لا تقل عن أربعين كيلو مـــتر، بينما انفجرت الطائرة في اسكتلنده التى تبتعد آلاف الأميال عن مالطـــة. لقـــد كـــان خط سير الطائرة مالطة – فرانكفورت – لندن ثم نـــيويورك. وانفجرت الطائرة فوق مدينة لوكيربي قبل عبورها المحيط الأطلـــنطى. وهـــذا يرجح أن جهاز التفجير قد وضع فى مطار هيثرو، وليس فى مطار مالطة.

قلـــنا أن هـــذا حكم يغلب عليه الطابع السياسي أكثر من الطابع القانونـي، فهو يرضى الطرفين، يرضى الطرف الأمريكي والإنجليزى، فبواسطته يمكن إدانة الجانب الليبي باعتبار أن إدانة أحد المتهمين يعتبر ســـنداً قانونـــياً يحمل الحكومة الليبية المسئولية، وباعتبار أن المقريحي الذي أدانته المحكمة الاسكتلندية مسئول فى المخابرات الليبية، مما يمكن من مطالبة الجانب الليبي بالتعويضات لأسر الضحايا، وهى تقدر بسبعة مليون جنيه.

أما إرضاء الجانب الليبي فيتمثل فى براءة المتهم الثاني.

كيف يبرأ أحد المتهمين ، ويدان الآخر ، مع أن القضية مرتبطة بهما بعضها ببعض، ولقد أكد هذا المتهم الذي برأته المحكمة، إذ صرح أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مارست ضغوطاً على هيئة المحكمة التى حاكمت المتهمين*.

*****

فى الرد على خطاب كلينتون لمبارك

(٣٤)

جاء بجريدة " العربي " العدد ٧١٧ فى ٦ أغسطس عام ٢٠٠٠، مقالة أمريكية بعنوان لعبة مصر Egypt Game للكاتب الأمريكي توماس فريدمان، وفيها خطاب موجه من الرئيس الأمريكي بل كلنتون لرئيس مصر محمد حسنى مبارك، ونظراً لأدب الرئيس المصرى فإنه لم يرد على ما جاء فى هذا الخطاب، ولعله رد عليه ونحن لا نعرف. وعلى عكس ذلك فإنه استقبله لمدة ساعات بمطار القاهرة عند عودته من أفريقيا إلى أمريكا. وقد حثنى هذا الخطاب على أن أرد على ما جاء فيه.

جاء فى الخطاب أنك بادرت بالاتصال بالملك عبد الله عاهل الأردن، والأمير عبد الله ولى العهد السعودي، والرئيس التونسي زين العابدين بن على تطلب منهم المساعدة لإنجاح القمة التى كانت متعثرة بسبب مشكلة كبرى اسمها القدس.

---

* أرسلت إلى ثروت الشعراوى رئيس تحرير جريدة "الرأى"،فى ٢٠٠١/٣/١٠،ولم تنشر.

وإنني أتساءل ما هى المساعدة المطلوبة من رؤساء هذه الدول، أتعنى بها تنازل الفلسطينيين عن حقوقهم وأرضهم، فهل يمكن أن تتنازل أنت عن واشنطن أو نيويورك لدولة أخرى، فى الحقيقة يا سيدي أنه لو تنازل الفلسطينيون قصراً وبسبب ضغوط عليهم، فإن هذا السلام لن يكون هو السلام العدل، وسوف لا يستمر هذا السلام طويلاً، وستقوم أجيال قادمة باختراقه، وتعود الحروب إلى المنطقة مرة أخرى، نحن نريد يا سيدي سلاماً قائماً على العدل، لا يفكر أحد فى خرقه.

وفى خطابك جاءت عبارة - مشكلة كبرى اسمها القدس - وهى كلمات فيها شيء من الاستهزاء والاستفزاز. فالقدس يا سيدي هى مدينة وعاصمة فلسطين على مدار التاريخ، بلى إن موسى عليه السلام قد مات وأرض الميعاد على مرأى منه، ولكن دون أن تطأها قدمه.

فهارون الأخ الأصغر لموسى عليه السلام أرسل عشرة من اليهود لاستكشاف أرض فلسطين، فذهبوا إليها ووجدوا هناك أصحاب لهذه الأرض. جاء فى الإصحاح الأول من سفر التثنية: ولكنكم لم تشاءوا أن تصعدوا، وعصيتم قول الرب إلهكم، وتمردتم فى خيامكم. وقلتم الرب بسبب بغضه لنا قد (أخرجنا من أرض مصر، ليدفعنا إلى أرض الأموريين ليهلكنا، إلى أين نحن صاعدون. قد أذاب إخوتنا قلوبنا قائلين : (شعب أعظم وأطول منا) ، (مدن عظيمة محصنة إلى السماء).

وحين زحف اليهود بقيادة "يوشع بن نون" (حوالى ١٤٥٠ ق.م) واحتل منطقة أريحا وما جاورها فقط، وقاوم الكنعانيون اليهود مقاومة عنيفة، وظل اليبوسيون محافظين على أورشليم (القدس) ، ولم يتمكن يوشع من احتلالها

جـــاء فى سفر يوشع: وأما اليبوسيون الساكنون فى أورشليم فلم يقـــدر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا حتى هذا اليوم (٦٢).

ومـــن الأدلـــة علـــى أن يبوس أورشليم – ظلت هى العاصمة السياسية للكنعانيين ، أن رجلاً عبرياً كان يسير ومعه غلامه بالقرب من "أورشـــليم" وكانت ما تزال تسمى بيوس، فقال الغلام لسيده وقد انحدر الـــنهار جـــداً : تعالى نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها ، فقال ســـيده : لا نمـــيل إلى مدينة غريبة، حيث لا أحد فيها من بنى إسرائيل هنا.(سفر القضاة).

أما عن تاريخ دولة إسرائيل فإنه لم يزد عن ثمانين عاماً – من ســـنة ١٠٣٠-٩٢٠ ق.م – أيام حكم الملك شاوول ثم داوود ثم سليمان. ومع ذلك فإن العرب كانوا يقطنون فلسطين أثناء حكم سليمان.

شفت بقة ياسي كلينتون أن هذا الموضوع لا يطلق عليه – ثمة مشـــكلة اســـمها القـــدس ولكنها القدس عاصمة فلسطين، والفلسطينيون سكنوا فلسطين قبل وأثناء وبعد حكم إسرائيل.

وهـــم يتذرعون بحائط المبكى، وأنه أثر يهودى قدسي، وقد أكد واحد منهم هو عالم الآثار اليهودى (إبراهام برانيس) الذي قضى معظم حـــياته فى إجراء حفريات حول القدس وعلاقتها باليهود إلى استنتاجات هى أنه لا يوجد دليل على وجود ما يسمى بحائط المبكى، فالمكان الذي يدعـــى الـــيهود أنـــه حائط المبكى والملاصق لسور المسجد الأقصى لا يوجـــد شـــيء اسمه حائط المبكى. (جريدة الأيام الجديدة ، العدد ٣٤، ٢٠٠٠/٩/١٧، ص ١٢).

تعيب يا سيدي على حسني مبارك أنه ذهب على عكس المتوقع إلى السعودية، حيث انضم إليه السعوديون فى تحريض الفلسطينيين على عـدم القبول بحل وسط بشأن القدس، ما هو العيب فى ذلك يا كلينتون، ألا يعـبر هـذا عن قيمة الديمقراطية التى تودون إرسائها فى كل دول العالم. وهل كنتم تودون أن يستأذن مبارك منكم إذا ما زار السعودية أو غـيرها مـن الدول، أم تريدون أن يكون له الحق فى إصدار القرارات دون التشـاور مـع الغير، وهذا هو قمة التعسف والديكتاتورية، أم أنتم تفسـرون الديمقراطـية حسب هواكم، فمرة تقولون عن الموضوع أنه ديمقراطـي، وأخـرى تقولـون عـن الموضوع الديمقراطي أنه ليس بديمقراطي.

إذن فليذهـب مبارك كما يريد، وحسب إرادته، ومصلحة وطنه، والمسألة لا تحتاج إلى تحريض، فالفلسطينيون يعرفون ماذا يريدون.

وتقـول يـا سيدي فى معرض كلماتك "لقد نفذ صبرنا واستيائنا منك" وبعد أليس عيباً أن تخاطب رئيس دولة بهذا الأسلوب الاستفزازى المقـزز. علـى كـل دى كلهـا عـدة أسابيع وتقعد فى بيتكم وتصبح كالصرصـار. وإذا كـان الحوار بين رؤساء الدول يتسم بهذه الوقاحة والبذاءة، فماذا تركت لأولاد الشوارع.

ثـم هل نسيت يا سيدي حرب الخليج، واشتراك القوات المسلحة المصرية فى طرد القوات العراقية من الكويت، فمهمة القوات الأمريكية كانـت تحطـيم القـوات العراقـية باستخدام الطيران. والعبرة ليست بالطيران، ولكن باحتلال الأرض، التى قامت بها القوات المصرية. ولو

لـم يكن الجيش المصرى وقتها بجانبك، فلربما كان لا يتسنى لكم إعادة الأراضي الكويتية إلى أصحابها الكويتيين .

أمـا الإلمـاح إلـى القبض على د. سعد الدين إبراهيم الأستاذ بالجامعة الأمريكية، فهذه مسألة داخلية فى مصر، ولا يحق لكم التدخل فيها، وألماحكم يمثل قمة الوقاحة.

وتقولـون أنكم غضضتم أنظاركم عن فساد نظام مصر، وغياب الديمقراطية، فيا كلينتون لا تعيب ديمقراطيتنا، واللى بيته من زجاج لا يقـذف الـناس بالطوب. هل نسيت ما قمت به من فساد فى بيع وشراء الأراضي، حين كنت حاكماً لولاية أركنسو، وهل نسيت ما قمت به من فسـاد فـى إقامة علاقات مع النساء أصبحت حديث العالم، وألف فيها المقالات والكتب.

يا كلينتون انتقى الألفاظ الحلوة حين تخاطب رؤساء الدول، تأمر مـبارك أن يتحلى بالشجاعة. وتستفسر عن متى كانت آخر مرة قام بها بأداء شيء ما ذي قيمة من أجل أمريكا أو من أجل عملية السلام، ومتى خاطرت بأي شيء، وتقول أنك تشعر بالإحباط من جراء تقصيره.

عيـب يا كلينتون تخاطب رئيس دولة بهذا الأسلوب، الذى يدل على الانحطاط الأخلاقى، وهل الرئيس مبارك جبان – مثلاً – إذا كنت تجهل شجاعته، فاسأل أهل الذكر إن كنت لا تعلم، اسأل أهل العالم كله، فإنـه سوف يذكر لك ما تحلى به مبارك من شجاعة أيام حرب أكتوبر ١٩٧٣. واسأل العالم كله، واسأل نفسك عما أداه جيش مصر فى حرب الخليج، ولقد اعترفت بنفسك فى آخر الخطاب بما أدّته مصر فى صنع السلام مع إسرائيل. أنت يا كلينتون مثلك كمثل من يقدم خدمة، فينكرها

مـــن تقدم إليه، ويقول : أنت عملت لى أيه – ماذا قدمت لى – أنت حر يـــا كلينتون تشعر بالإحباط أم بالسعادة، فهذه أمور تخصك، ولكن اعلم أن مـــبارك لـــم يقصر. وبعدين إيه الحكاية. مرة تقول مصر هى التى قصـــرت، وثانية تقول : لا سلام مع مصر، وثالثة تقول: أنا قصرت. هـــذا إن دل علـــى شـــيء فيدل على التخبط وعدم الثبوت على الرأى، وتذبذب الشخصية.

أمـــا قمة البذاءة فتبدو فى قولكم : "لقد حان الوقت لتتحرك من جديد ذلك أن " أبو الهول واحد فى مصر". ما هذا الكلام يا سيدي، مرة تقـــول أنه "حكيم" وأخرى تشبهه بأبي الهول، أبو الهول يا سيدي تمثال أخـــرس، لا ينطق ، ولا يتكلم، وهل يمكن أن أشبهك أنا بمسلة الحرية، إنها رمز لأمريكا، ولكنها لا تنطق ولا تتكلم*.

*****

حرب أم سلام مع إسرائيل

(٣٥)

كانت الصورة التقليدية للشعب الإسرائيلي منذ قيام دولة إسرائيل هـــى صورة الطيب الباحث عن السلام وسط غابة من الوحوش العرب الذين يتربصون بها، ويبتغون إلقاءها فى البحر. وكانت الدنيا كلها تؤمن بمـــا تقولـــــه إســـرائيل، وبأن العرب هم الذين يخططون للحروب مع إســـرائيل ولذلـــك عاقبـــتهم الســـماء بإنـــزال الهزيمة بهم أمام الأقلية

* أرسلت إلى جريدة "الع ـبى" و"السياسى المصرى"، ولم تنشر.

الإســـرائيلية. حـــدث ذلك فى حرب ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ واكتسبت إسرائيل أراضي جديدة فى كل منها.

ولقـــد حقــق الجــيش المصـــرى الانتصار الأول على الجيش الإسرائيلى فى اكتوبر ١٩٧٣. ولم يغامر الرئيس الراحل أنور السادات، ويقامـــر ، ولم يأخذ برأى غالبية العرب بالاستمرار فى الحرب، إذ لو حدث هذا ، فلربما ينقلب الأمر إلى هزيمة أفدح وأفظع من تلك الهزيمة الـــتى أصـــابتنا فى ١٩٥٦، أو ١٩٦٧ خاصة بعد أن تدخلت أمريكا، وقالهـــا الســـادات بصراحة أنه يحارب إسرائيل، وليس مستعد لمحاربة أمريكا.

واخـــتار الســـادات الجلـــوس على مائدة المفاوضات لإثبات أن العـــرب يطالبون بالسلام والتعايش السلمي وانتهت المفاوضات بمعاهدة ســـلام عقدت فى كامب دافيد واتخذنا شعارا مؤداه أن الاستقرار الأمنى يعمل على الأمن الاقتصادي واخترنا استراتيجية السلام منذ عام ١٩٩٦

ولقد تبين أن إسرائيل لا تريد سلاماً، وإنما تريد استسلاماً عربيا كـــاملاً ونهائياً لمطالبها فالبيئة الإسرائيلية باتت تحرص على الحرب، ظـــناً منهم أن موازين القوى أصبحت فى مصالحها، فهى تمتلك ٢٠٠ قنبلة ذرية، ولو وجهت كل منها إلى إحدى المدن العربية، لضاع العالم العربي، وهى تنتج صواريخ مضادة للصواريخ، مثل صواريخ جيتس، وهـــى مضـــادة لصواريخ سكود الباليستية ونجحت تجربة مشتركة بين أمريكا وإسرائيل فى إسقاط الصواريخ.

وهـــدد بـــاراك بالحرب، وطالب الجيش الإسرائيلي بالاستعداد لاحتمال نشوب حرب إقليمية شاملة، ولوح بالحرب، مع مصر أكثر من

مــرة، وتحــرش عســكرياً مع سوريا ولبنان، وخاض حرباً بالدبابات والطائرات ضد المدنيين الفلسطينيين.

وهدد إرييل شارون باحتلال سيناء وضرب السد العالى.

وأعلن الرئيس المنتخب بوش الابن قبيل أيام من استلامه العمل فى البيت الأبيض توسيع مظلة الصواريخ لتشمل أوروبا وإسرائيل.

وكشــف محمد بسيونى سفير مصر فى إسرائيل عن معالم خطة للحــرب مــن المقرر أن ينفذها شارون حالة فوزه برئاسة الوزارة فى إسرائيل.

إن الســلام يــا سادة فى حاجة ماسة إلى قوة تصونه وتحميه، وتــردع مــن يحــاول تقويــض دعائمه. والدولة لا تكون قوية بقوتها الاقتصــادية فحسب، بل وبقوتها العسكرية. وهى لا تستطيع الحصول علــى المكان الذى يليق بها فى العالم بدون بناء القوة الذاتية التى تعتمد علــى القــوة الاقتصادية والقوة العسكرية. ولا شك أن الضعف يغرى بالعدوان، وأن الحرب مع إسرائيل واردة، وأخطارها تهدد الأمن القوى لدولتنا، وسلامة أراضينا.

نعــم إنــنا حريصون على السلام، ولكن هل نحن أعددنا العدة لحماية السلام من حلف المعتدين. إننا نقول نعم لعاطف عبيد بتوفير كل احتــياجات القــوات المسلحة من سلاح وعتاد تأكيداً لقدرة مصر على حمايــة أرضها وعرضها. ونحن نعزف عن معرفتها وتفصيلاتها لأنها تدخــل فى نطاق الأسرار العسكرية. ولكن نتساءل إذا كنا نحصل على أسلحة حديثة، فهل نستورد معها ذخيرتها وقطع غيارها. وهل مطاراتنا

العســكرية مجهزة بمخابئ للطائرات يصعب قذفها، وهل هناك ممرات بديلة للطائرات حتى لا تفاجأ بالعدوان كما حدث عام ١٩٦٧.

إنــنا لو أحصينا أفراد أى قوة عسكرية فسنجد أنها تمثل ٥٠% ممــا هو مفروض أن تكون عليه فالضابط يقضي حوالى الخمسة عشر يوما فى وحدته، لو كانت الوحدة فى المنطقة التى تقطن فيها أسرته، ثم يحصل على أجازة يومين، وبعد انتهاء اليوم الأول يستدعونه لوجود ما يسمى لجان التفتيش.

وإذا مــا حــان وقــت التجنيد لمواليد سنة معينة، ومن خريجي كليات معينة، ويبلغ عددهم الآلاف. يقولون لهم: معافون من التجنيد، أو يؤجل تجنيدهم ثلاث سنوات، وبعد انقضاء الثلاث سنوات. إما يجندوا أو يعفوا من التجنيد.

ونعلــق على ذلك جنِّدوهم، ولو لمدة ستة أشهر، يتعلموا خلالها الضــرب على الدبابات باستخدام أسلحة المشاة، والضرب بالصواريخ على الطيران الواطى.

قولوا لنا : من الذي طرد الجيش الإسرائيلي من السويس بعد أن اقتحمــتها بعض الدبابات الإسرائيلية، واحتلت بعض المواقع فى حرب ١٩٧٣، وحاول الجيش الإسرائيلي اقتحام المدينة مرة ثانية لكنه لم يفلح، وذلــك بســبب المقاومة الشعبية، ووجود بعض الجنود والضباط الذين عادوا من الجيش الثالث.

ولــيعلم قــادة إســرائيل أن الفلســطينيين لــو أذعنوا للشروط الإســرائيلية وتــركوا القــدس، الشرقية لهم، ووافقوا على عدم عودة اللاجئين إلى بلدهم فلسطين، لو تم هذا فإنه يكون استسلاماً وليس سلاماً

وإذا اعتـــبر سلام ، فإنه سلام مؤقت ، وأن الحرب واردة، وستعود، لا مفر منها*.

*****

السفينة كارين -إيه

(٣٦)

أعلنت إسرائيل أنها ضبطت السفينة كارين – إيه تحمل ٥٠ طن من الأسلحة ، وهى تعبر البحر الأحمر متجهة إلى فلسطين كى يحارب بها الفلسطينيون إسرائيل.

والحـــق انه لا علاقة للسلطة الفلسطينية فى قريب أو بعيد بهذا الموضـــوع، والـــذى أقامـــت إسرائيل على أساسه حملة شرسة، على الرئـــيس ياســـر عـــرفات والسلطة الفلسطينية. فهو موضوع غامض ومتخـــبط ومفبرك. ونذلل على هذا التخبط أنهم أعلنوا مرة أن السفينة سترسو فى العريش، ثم تأتى قوارب صغيرة تحمل الأسلحة إلى غزة.

وأعلنوا مرة أخرى أن السفينة سترسو فى الإسكندرية، ثم تأتى القـــوارب الصغيرة، وتحمل الأسلحة إلى غزة. وأفليس من الممكن أن تكـــون الســـفينة مـــتجهة وجهـــة أخرى غير فلسطين. والواقع أن هذا الموضوع غير واضح، ويتسم بالتخبط.

---

* نشـــرت بجـــريدة "الـــزمان" العـــدد ٧٠ فـــى ٢٠٠١/١٠/٣٠، ص ٥، وبجـــريدة " أخـــبار إســـكندرية والعـــالم" العـــدد ٧١ فـــى ديســـمبر ٢٠٠١ ص ٥، العدد ٧٤ فبراير ٢٠٠٢، فبراير ٢٠٠٢.

وزعمت إسرائيل أن قبطان السفينة هو عمر عطاوى، ولقد تبين أنـــه كـــان فعلاً يعمل فى البحرية الفلسطينية، ولكنه ترك الخدمة وقطع علاقته مع البحرية الفلسطينية قبل أحداث ١١ سبتمبر بـــ ١٥ شهراً. وقد قامـــت أجهزة الأمن الإسرائيلية بإخضاع ضابط الأمن الفلسطيني الرائد عمـــر عطـــاوى لعمليات تعذيب وحشية لإجباره على الاعتراف بدور السلطة الفلسطينية بضلوعها فى حادث السفينة.

أنه لا يمكن تصور أن تقوم السلطة الفلسطينية بهذه العملية، ولو فعلت كان لها الحق فى ذلك، تستجلب أسلحة لتحارب بها إسرائيل التى يأتيها السلاح الحديث من أمريكا، أفليس من حق الفلسطينين أن يحصلوا على أسلحة كما تستجلب إسرائيل السلاح ولكنها أى السلطة الفلسطينية لم تفعل.

ولـــو أرادت السلطة الفلسطينية الحصول على سلاح، فإنه يمكن تحقـــيق ذلـــك عـــن طريق إسرائيل ذاتها، فهى ميدان خصب لتهريب السلاح، والذي يباع بأسعار أرخص من الأسعار العالمية.

وبمجـــرد إعـــلان إسرائيل عن هذا الموضوع قرر عرفات أن يشكل لجنة عليا للتحقيق فى هذه الحادثة، وبالرغم من الصعوبات التى تواجـــه لجـــنة التحقيق، ومحاولة أعضائها الالتئام ، فقد طالبت السلطة الفلســـطينية إسرائيل أن تقدم لها معلومات حول هذا الموضوع، تمكنها مـــن إجراء التحقيق ولكن إسرائيل لم ترد، بل إن لجنة التحقيق أمرت باعـــتقال ثلاثة من أفراد البحرية الفلسطينية الذين وردت أسماؤهم فيما يتعلق بسفينة الأسلحة المزعومة، وهم : فؤاد الشوبكى، وفتحى الرزين

وثالث فى البحرية الفلسطينية، وطالبت من السلطات الإسرائيلية معلومات عنهم، ولكن إسرائيل لم ترسل الرد.

وتكشف هذه المسرحية عن قصد إسرائيل ، فقد اتخذتها ذريعة لنسف عملية السلام، ومهمة المبعوث الأمريكي الجنرال أنتونى زيني، والتنصل من الاتفاقات المبرمة، وهدم اتفاقية أوسلو، وقرارات الشرعية الدولية.

وأعلنت إسرائيل مرة أنها سوف تتقدم إلى مصر بطلب الإفراج عن الجاسوس الإسرائيلي / عزام عزام، والموجود حالياً بالسجون المصرية، والتى أدانته المحكمة بالسجن، وذلك مقابل الإفراج عن عدد من الأشخاص تم القبض عليهم بالسفينة ، وزعمت إسرائيل أنهم يحملون الجنسية المصرية*.

*****

بوش/شارون/عرفات

(٣٧)

ينادي الأمريكيون بشعار حقوق الإنسان، ولكنه يبدو شعاراً يطبقه الأمريكيون على المواطن الأمريكي فقط دون سائر البشر، وإلا فأين هى حقوق الإنسان الأفغاني التى حطمته القوة العسكرية الأمريكية، ومسحت به الأرض، وأين هى حقوق الإنسان الفلسطيني، وقد قامت إسرائيل وبمساندة وتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية بتحطيم حقوق

---

* أرسلت إلى مصطفى بكرى رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير جريدة الأسبوع، ولم تنشر، ويبدو أنه احتكر الجريدة لنفسه.

هـــذا الإنسان، حتى قال البعض إن جورج بوش وهو الرئيس الأمريكي قـــد غير ديانية من المسيحية إلى اليهودية، ووصفه البعض الآخر بأنه قيادة غير ناضجة لأقوى دولة فى العالم.

لقد راح شارون رئيس وزراء إسرائيل، وبتأييد من جورج بوش الرئـــيس الأمريكـــي يقتل ويذبح بطريقة تعادل النازية إن لم تكن أبشع وأكـــثر دمويـــة، واقام المجازر فى نابلس وقلقيلية، وغيرها من المدن والقـــرى، وســـوًا مخيم جنين بالأرض، وحاصروا كنيسة المهد، ومقر الرئيس عرفات قرابة الشهر.

أيها الأمريكان ، قولوها قولة حق – كما قالها كولن باول وزير خارجيـــتكم فى فندق دافيد سيتاديل فى القدس، قال : قد وقفت الولايات المـــتحدة دائماً إلى جانب إسرائيل منذ إنشائها، وستستمر فى عمل ذلك بالتزام لا يتزعزع بأمن إسرائيل وخيرها.

أمـــا بوش فيصف شارون بأنه رجل سلام، لقد قلبت الحقائق يا بـــوش، فنحـــن المسلمون دعاة سلام، فالإسلام يحث اتباعه على السلم والســـلام يقول سبحانه وتعالى: " وإن جنحوا للسلم فاجنح لها" أما سلام إسرائيل فهو سلام القتل والذبح.

ويستطرد بوش فيصف عرفات بأنه رجل إرهابي، وأنه المسئول الأول عـــن أحـــداث الفلسطينيين الإرهابية، كيف هذا ؟ وعرفات كان محصورا ومحبوساً.

وزعم الكونجرس الأمريكي بأن إسرائيل تناضل ضد ما أسموه بالإرهاب الفلسطيني، أى الإسرائيليون إنما يدافعون عن النفس ونتساءل هل ما قامت به إسرائيل دفاع النفس، أما إبادة عنصرية.

وتزعم إسرائيل أنها تكافح الإرهاب، وهى فى ذلك تقلد الولايات المتحدة الأمريكية ، فإذا كانت هذه الأخيرة قضت على الإرهاب فى أفغانستان، فإنها- أى إسرائيل تقوم بالقضاء على الإرهاب فى فلسطين.

اعلموا أيها الجهلاء أن ما يقوم به الفلسطينيون ليس بالإرهاب، وإنما هو جهاد فى سبيل استعادة أراضيهم التى احتلتها إسرائيل. وهم يفعلون ذلك مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى:" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" والقوة هى الوسائل التى تؤدي إلى النصر، وهى القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية والبشرية. والفلسطينيون يستخدمون فى وقتنا الحالى ما لديهم من وسائل القوة، وأجسادهم وسائل قوتهم. ليس انتحاراً - كما يزعم بوش وشارون - لأن الانتحار يؤدي بأصحابه إلى الكفر والوصول إلى النار، وإنما هو أعمال استشهادية تودى بأصحابها إلى الجنة، أما ما تقوم به إسرائيل فهو الإرهاب بعينه، وهو ما يسمى بإرهاب الدولة.

يا شارون لقد خرجت على القانون بأعمالك الإجرامية ضد الفلسطينيين ولست أنت فقط بالإرهابي الذى اقترف هذه الجرائم ، وإنما الشعب الإسرائيلي بأكمله يتحمل ما قمت به، فهو الذى اختارك رئيساً لوزراء إسرائيل*.

---

* أرسلت إلى د. أحمد الحصرى رئيس تحرير جريدة "التجمع"، فى ٢٠٠٢/٥/١٥، ولم تنشر.

الفصل السابع

الإدارة

وظائف حساسة

(٣٨)

أجاهد بكلمة طيبة أحمل بها منهج الله إلى الناس على وجه العموم، والمسئولين بوجه خاص. فهناك وظائف حساسة مثل ضباط الجيش، وضباط الشرطة، ورجال السلك النيابى والقضائى، ونودُّ أن يضاف إليهم رجال السلك الجامعى. فبعض هؤلاء ما أن يجلس على كرسى وظيفته حتى يعتقد أنه قد أصبح قوة مطلقة، غاب عنه أن الله سبحانه وتعالى هو القوة المطلقة، أما البشر فهم قوة مقيدة.

إن مثل هذه الوظائف لابد من مراجعة شروط شغلها، والذى ينبغى أن لا يقتصر على المجموع والتنسيق، بل يمتد ليشمل حسن الاختيار، ويتناول معرفة النشأة الاجتماعية، والأصل، والتربية الجيدة، والعائلة المحترمة التى ربت أبناءها على القيم والفضيلة والأخلاق.

وفى هذا الخصوص قال السيد اللواء / حبيب العادلى وزير الداخلية ذات مرة لأحد الصحفيين قولاً مأثوراً مؤداه : هل ترضى أن ضابطاً للشرطة يكون أبوه أو شقيقه حرامى.

ويحدثنا الواقع الاجتماعى عن مآسى حدثت لمن شغل منصباً حساساً بناء على المجموع فقط، أو بناء على الواسطة، ودون أن يوضع

فى الاعتبار الظروف الاجتماعية التى تربى فيها الفرد، ولست أزعم أن هـذه الوقـائع الـواردة فـى هذا المقال يمكن أن تلوث هذه الوظائف وأصـحابها جميعاً، إذ لا شك أن الأغلبية صالحة، ولكن هذه القلة التى انحرفت فى ممارسة أعمالها تسئ إلى الأكثرية.

فقـد طالعتـنا الصحف عن إحالة رئيس نيابة إدارية بالأقصر وزوجـته للمحاكمة مع آخرين لحصولهم على ٣٠ ألف جنيه رشوة من رجل أعمال لوقف هدم فيلا مخالفة.

واحتجز وكيل نيابة محامياً وحبسه بعد الاعتداء عليه بالاشتراك مـع ضابط، مما أدى إلى اعتصام المحامين. وقتل وكيل النيابة محامياً لخلاف على شقة مؤجرة. وتم ضبط وكيل نيابة وصديقه وهما يسرقان علبة سجاير وأمواس حلاقة من السوبر ماركت.

وجـاء فى الصحف أن النائب العام أحال ضابط شرطة لمحكمة الجنايات متهماً بقتل مواطن فى حجز قسم شرطة العجوزة. وشكت سيدة إلـى النائب العام من أن ضابطاً علّقها وضربها. وحبست النيابة ضابط شـرطة كـان يسرق طاسة معدنية من إطار سيارة فى الشارع. وقطع ضـابط شرطة أذن رئيسه بقاطع ورق (كتر). وقضت محكمة جنايات أسـوان بحبس نقيب شرطة وأمين شرطة مع عزلهما من الوظيفة، فقد عذبا مواطناً حتى الموت بأسوان.

صـحيح أن هذه الحوادث مؤسفة وفردية وعارضة، إلا أنه بات من الضرورى واللازم التدقيق فى اختيار الأشخاص الذين يشغلون مثل هـذه المناصـب الحساسـة، ومن المعروف أن اختيار أعضاء النيابة،

والالـــتحاق بكلـــية الشرطة يسبقه تحريات وأبحاث حول المرشح لهذا المنصـــب، ولكـــن يبدو أن التحريات لا تكون جدية فى معظم الأحيان، وأن الواسطة تلعب دوراً كبيراً.

ويا ليت أن تجرى تحريات وبحوث عن أصول أسرة من يلتحق معـــيداً بإحدى الجامعات، والذى سوف ينتهى به المطاف إلى أن يصبح عميداً أو رئيساً للجامعة، فكم رأينا وسمعنا وقرأنا عن فضائح يقوم بها هؤلاء.

أقـــول لمـــن ظلـــم : إن عمر الظلم ساعة، وعدل الله إلى قيام الساعة، وقل انتظروا .. إنا منتظرون*.

*****

* نشرت بجريدة أخبار إسكندرية والعالم آخر يونيو ٢٠٠١ ص ١٠. وفى نفس الجريدة العدد ٦٤ آخر أغسطس ٢٠٠١ ص ١٠.

الفصل الثامن

الشرطـة

مخالفات المرور

(٣٩)

عجـباً أمر رائد شرطة المرور الذى جاء فى خلسة تامة بعربته الونـش، ووقـف خلف السيارة البيجو ٣٤٦٣٥ م٨٠، وكانت تقف فى الممنوع موازية للرصيف ما بين محطة بولكلى ومحطة الهدايا، وطبعاً الشارع واسع، ويتسع لثلاث سيارات، أى أن المرور لم يتعطل، كما أن السائق لم يغلق السيارة ويمشى، بل ظل بها، مما يعنى إمكانية تحريكها، وكان السائق مصاباً وقتها بأزمة قلبية حادة لا تمكنه من قيادة السيارة.

المهم حضر العسكرى ناحية شباك قائد السيارة، وطلب الرخص فقـال صـاحب السيارة : يا ابنى لقد أصبت الآن، وتواً، بأزمة قلبية، وتناولـت قرص دينترا تحت اللسان، ولا أستطيع فى هذه اللحظة قيادة السـيارة ولـو فعلت فسوف تقع حادثة، وعلى ذلك وقفت للراحة حتى تـزول الأزمـة، ثـم استمر فى السير. رد العسكرى : طب تعالى كلّم الضابط.

تحـامل قائد السيارة على نفسه، وترك السيارة، وذهب إلى رائد المرور، ووقف أمامه كما يقف المرؤوس أمام رئيسه، ولكن الآخر قابله وهـو فـى آخـر أنزحه، وكأنه وزير الداخلية، بل وربما يكون وزير الداخلـية لـيس على هذه الدرجة من الأنزحه، شرح قائد السيارة لرائد

الشرطة الأمر، وسبب وقوفه فى هذا المكان، ولكن صاحبنا أصر على توقيع غرامة قدرها ١٥ج بالإيصال رقم ٤٤٣٨٣.

لقد كانت غرامة الوقوف فى الممنوع ٥ج، ارتفعت إلى ١٠ج، ثم إلى ١٥ج. كيف حدث هذا الارتفاع ؟ فهل إدارات المرور، بل وحتى وزارة الداخلية لها الحق فى فرض قيمة الغرامات، ثم رفعها، أم أن ذلك من اختصاص مجلس الشعب، فهو الذى يشرع القوانين. إننا لم نقرأ على صفحات الجرائد، ولم نشاهد على شاشات التليفزيون مناقشات مجلس الشعب حول هذا الموضوع. فهل يجوز فرض غرامات وغيرها على المواطنين بقوانين لم تصدر عن مجلس الشعب.

لقد قرر اللواء محمد عبد السلام محجوب فرض غرامة ٥٠٠٠ ج على من يستخدم آلة التنبيه، وهى غرامة كبيرة لا يستطيع أحد، ولا حتى سيادة المحافظ أن يدفعها، فهل للمحافظ سلطة فرض هذه الغرامات دون مرورها على السلطة التشريعية، صحيح أن البعض يستخدم آلة التنبيه بطريقة مزعجة، ولكنها مهمة حيث يمكن استخدامها عند الضرورة، ولو كان الأمر غير ذلك لخرجت السيارات من مصانعها بدون جهاز آلة التنبيه.

وإذا عدنا إلى موضوع غرامة الـ ١٥ج نجد أنفسنا أمام نزعتين الأولى قانونية، والثانية إنسانية، ويا ترى أيهما يفوق الآخر. إن رائد المرور له الحق فى الإصرار على دفع الغرامة، وإلا أخذ معه الرخصتين رخصة السيارة ورخصة القيادة، وعلى المتضرر أن يذهب للبحث عنهما، إلا أنه وفى ضوء ذلك فقد صفاته الإنسانية، فصاحب السيارة وافته أزمة الذبحة، وكاد صدره ينفجر من شدة الألم، وقال :

أركــن هــنا فى أقرب مكان، وهو الشارع الممتد بين بولكلى ومحطة الهدايا وفيما مضى لم يكن الوقوف ممنوع فى هذا الشارع، ولكنهم ومن علــى المكاتــب كتبوا عليه ممنوع الوقوف. إن الشارع موازى للترام، ويتســع لمرور ثلاث سيارات فى نفس الوقت، ولم يترتب على الركنة أيــة عوائق، بل وقفت أمامه سيارتان، إحداهما ملاكى مغلقة، والأخرى نصف نقل محملة بمواد البناء، ولم تمس هذه السيارات بمخالفات.

يــا ســيدى يــا رائد المرور أين القيم الإنسانية : قيم الشهامة والمــروءة، لقد كان من الواجب عليك، ومن الناحية الإنسانية أن تدعو قــائد الســيارة للذهاب به إلى أقرب مستشفى، خاصة أنه قال لك : لو قســطت الضــغط لرأيته ٢٢٠/١٠٠ أو ١٢٠ بمعنى أن سائق السيارة ممكن أن يسقط ويموت.

وأخــيراً استأذن سائق السيارة – ضباط المرور فى المكوث فى نفــس المكان ولمدة خمس دقائق حتى تزول الآلام، والتقلصات، فوافق ولكن متى وافق، أقول : وافق بعد أن حصل على الخمسة عشر جنيهاً.

أرجــو إعطاء ضباط المرور دروساً فى القيم الإنسبانية، وهى، ولــيس القــانون وحــده، الــتى تفرق بين الكائن الإنسانى، وغيره من الكائنات الأخرى، يقول الله سبحانه وتعالى : وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا. " الإسراء : ٧٠ "*.

*****

* نشرت بجريدة الأيام الجديدة، العدد ٦٤ بتاريخ ٢٠٠١/٤/٢٩ ص ٥. ونشرت بجريدة الزمان، العدد ٦٥ بتاريخ ٢٠٠١/٥/٢٩ ص ٥.

حزام الأمان

(٤٠)

لا جرم أن حزام الأمان بداية طيبة تنوه إلى مدى انصياع الناس للقوانين، وقد أطاع الناس فى الواقع وبالفعل هذا القانون، لكن لا حُبًّا فيه ولا اقتناعاً، ولكن خوفاً من الغرامة، طبق الناس هذا القانون والذى يقضى بأن السائق ومن بجواره يستخدمون حزام الأمان على جميع الطرق الداخلية والخارجية اعتباراً من ٢٠٠١/١/١. وكذلك يستخدم راكبو الموتوسيكل الخوذة.

وقد أشاد العقيد أحمد عاصم رئيس العلاقات العامة بمرور القاهرة، وقال قولة مأثورة : السلامة فى هذا القانون. فهو ينم عن إجراءات تعمل على سلامة المواطن وسلامة الراكب، فالقانون يطلب استخدام حزام الأمان، وبالفعل أنت تمشى فى الشوارع فى الوقت الحالى، ولا تكاد ترى سائقاً لم يربط حزام الأمان حول جسده.

ويقال أن العالم كله، وعلى وجه الخصوص أوروبا قد سبقتنا فى هذا المجال، ولكننا لم نكمل العبارة، فبقيتها تقول : ولكنها تراجعت عنه، لقد أوقفت أوروبا استخدام هذا القانون بعد فشله، ليه !! لأنهم اكتشفوا أن ٥/٤ الذين يموتون فى حوادث السيارات يربطون حزام الأمان، ولقد كنت فى الجزائر عام ١٩٧٧/٧٦، ولم أشاهد أحداً يطبق هذا النظام.

لقد ابتدعت وزارة الداخلية هذا القانون، ويا ترى من، وما هو السبب فى إصداره ؟ هل خرج هذا القانون بالطريق الرسمى والشرعى،

أى عن طريق مجلس الشعب، الحق أن هذا القانون غير شرعى، إذ أنه ليس من حق وزير أو وزارة أن تصدر قانون يطبق على الناس جميعاً، فمجلس الشعب هو صاحب حق إصدار القوانين.

إننى أتساءل هل قيادة السيارات داخل المدن تستدعى ربط الحزام حول جسد السائق والتى تسبب له مضايقات، إذ يظل مكتوفاً ومحبوساً، خاصة وأن الحزام يتحرك تلقائياً حتى يصل إلى صدر السائق، ثم رقبته، فيضيق على صدره، ويكتم نَفَسَه، ويخنقه، كذلك فإن الحزام يقيد حركة السائق إذا ما أراد أن ينظر من الزجاج الخلفى لتحريك السيارة إلى الخلف، وإذا كان السائق مريض بالقلب، ومصاب بانسداد الشرايين فإن احتمال تعرضه للأزمات، وحدوث التقلصات الصدرية كبير. ثم ماذا يفعل السائق إذا ما تعرضت السيارة للحريق، أو الغرق، أو سقطت فى ترعة أو مصرف، وكيف يتخلص من الحزام وقت وقوع الحادث، لاشك أننا نحكم على السائق ومن يجاوره بالموت.

والذى لاشك فيه أن السرعة المقررة للسيارات فى الشوارع داخل المدن لا تتعدى ٤٠ كيلو فى الساعة، إذا ما كان الطريق خالياً، والواقع، وحسب الإحصائيات الصادرة من وزارة الداخلية، فإن السرعة حوالى ١٧ كيلو.

وإذا ما اختنق المرور فى ساعات الذروة، فإن السرعة تتراوح ما بين ٥-١٠ كيلو. والمسافة التى تقطعها السيارة فى عشر دقائق، تستغرقها فى ساعة، فهل مثل هذه السرعات تستدعى تركيب الحزام.

وإذا كانت العملية خاصة بالأمان، فما هو الموقف بالنسبة للأوتوبيس، السائق ومن بجواره فقط يربطان الحزام، ويعرض باقى

الـركاب للخطـر، أى مـنطق هذا !! يعنى خايفين على السائق ومن بجواره فقط، وبقية الركاب يروحوا فى داهية.

وقـد ترتـب على صدور هذا القانون ظهور مافيا تجار أحزمة الأمان؛ وبدى لنا جشعهم، فالحزام الذى كان يباع بعشرين جنيهاً، أصبح يباع بمائة جنيه، وتباع بعض الأصناف بـ ٢٥٠ج، ٣٠٠ج.

والـذى لاشـك فيه أن هذا القانون فيه إهدار للمال العام، حيث استفاد منه الـتجار، وكان من الممكن أن تدخل هذه الأموال خزينة الدولة.

والحق أن هناك أموراً ينبغى أن تهتم بها إدارات المرور، وذات أهمـية أكـبر من موضوع حزام الأمان، فمن يقف صف ثانى -مثلاً- ويخـرج من السيارة، ويقفلها، وهى على هذا الحال، ثم يجئ من وقف بسـيارته صـف أول، ولا يستطيع التحرك بسيارته ينبغى أن يحاسب حسـاباً عسـيراً. أمـا من وقف بسيارته صف ثانى، وظل جالساً على كرسى القيادة، ويستطيع أن يحرك سيارته إذا ما جاء من وقف بالصف الأول. اعـتقد أنـه لا غبار عليه ما دام لم يجد مكاناً يقف فيه. أوْجِدوا أماكن للوقوف، ثم تأتى المحاسبة.

ألقـوا نظـرة علـى سحابات العوادم التى تنبعث من شكمانات السـيارات، والـتى تغطى سماء المدينة، طبقوا قاعدة منع التدخين فى وسـائل المواصـلات العامـة، حاسبوا من يسير فى الاتجاه المعاكس، حاسـبوا من يسير ثم ينحرف فجأة إلى أقصى اليمين أو أقصى اليسار دون أن يعطى إشارة، حاسبوا من يتعدى السرعة المقررة.

أمـــا مـــا شاهدناه فى التليفزيون من مشاهد تؤكد على ضرورة استـــخدام حزام الأمان وتبين فوائده، فمع أن المتحدث أشار إلى أن هذه المشـــاهد قـــد التقتـــت مـــن داخـــل المدن، إلا أن فحص هذه المناظر واستقصائها تؤكد أنها التقتت لا من داخل المدن، وإنما من خارجها.

وخلاصـــة القول فإن تجربة حزام الأمان داخل المدن زادت من اختـــناقات المرور، وأدت إلى مضايقات لأصحاب السيارات والركاب، ولـــم تحـــل أزمة المرور، وعليه نناشد المسئولين جعل استخدام حزام الأمان اختيارياً داخل المدن، وإجبارياً خارج المدن.

*****

الذوق فى قيادة السيارة

(٤١)

الذوق هو الحاسة التى تميز بها خواص الأطعمة بواسطة الجهاز الحســـى فى الفم، ومركزه اللسان، والذوق فى الأدب والفن، وهو حاسة معـــنوية يصدر عنها انبساط النفس أو انقباضها لدى النظر فى أثر من آثـــار العاطفـــة أو الفكر، ويقال هو حسن الذوق للشعر –أى فهَّامة له، وخبـــير بـــنقده .. والذوق فى الفن، وهو إحساس بالجمال، والذوق فى الســـلوك، هو إحساس بما ينبغى أن يكون عليه السلوك الإنسانى، أو أن الفرد يسلك حسب ما تمليه عليه القيم.

---

* نشـــرت بجريدة النبأ الوطنى بعنوان قوانين المرور بتمشى على سطر وتسيب سطر، العـــدد ٥٣٩ بـــتاريخ ٢٠٠١/٤/٨ ص ١٣. ونشرت بجريدة الأيام الجديدة، العدد ٦٥ بتاريخ ٢٠٠١/٥/٦ ص ٥.

وقــيادة السيارة لا تخضع لقوانين المرور فحسب، ولكنها تتعلق كذلــك بالضــمير والأخـــلاق والــذوق، فهى فن وأخلاق وذوق، ومن المفروض أن فن المرور وأخلاقه وذوقه تسبق قوانين المرور.

أقـــول هـــذا بمناســـبة ما حدث من شاب أرعن يقود سيارة أبيه رقـــم ٤٨٣١ ملاكـــى الإسكندرية، فى يوم من أيام شهر مايو ٢٠٠١، ويـــبدو أن أباه -وكما ادعى- يشغل منصباً هاماً. وفى ظل مركز الأب هذا وقف الولد بسيارته وسدَّ الطريق عند محطة التشحيم بمنطقة جليم، مما أعاق المرور.

انتظر أحد أصحاب السيارات المحبوسة، وهو رجل مسن، يفوق عمر أب الشاب، انتظر فترة من الوقت لعل الشاب يفسح الطريق، ولكنه لـــم يفعـــل، تقدم بسيارته خطوتين، فأفسح الشاب الطريق، ولكن ليس بطريقة كافية تمكن السيارة الأخرى من الخروج، وأخيراً شحطت سيارة الرجل المسن فى الرصيف.

أنَّب الرجل المسن -الشاب لوقوفه فى الممنوع، ولسدِّه الطريق، وعـــدم إفساحه، حتى يسمح بخروج السيارات من داخل محطة التشحيم إلـــى خارجها، فهاج الشاب، وبانت صياعته، وبدى وكأنه وحش كاسر، لـــم يخطئ، ولا يعرف معنى الخطأ، وبكل بجاحه وقلة أدب قال للرجل المســـن، والذى هو فى مرتبة أبيه : أنت عارف أنا ابن مين .. ونعت الـــرجل العجوز أنه لا يعرف شيئاً فى فن قيادة السيارة، مع أن الرجل العجوز كان يقود سيارات وسيارات قبل أن يخرج هذا الشاب من بطن أمه.

أيهـــا الشـــاب الأرعن، لو كنت ابن رئيس الدولة، فأنت برضه تخضع للقانون، ووقوفك بسيارتك لتسد الممر ينم عن أنك تعطى ظهرك للقـــانون، وتوســـيعك الطـــريق بطريقة غير كافية يعنى أنك تفتقد إلى الأخلاق والذوق، وطريقة ردك على الرجل المسن بأسلوب غير مهذب يعنى أن أباك المسئول الكبير لم يربيك التربية الكافية.

يـــا بـــنى – من المفروض أن تبر بوالديك، وتحسن إليهما، ولا تعرضـــهما للســـب، فإن ذلك من الكبائر بلا خلاف، واعلم أنه ورد فى السنة الثابتة، وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو " أن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم، قال : إن من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا يا رســـول الله، وهـــل يشتم الرجل والديه ؟ قال : نعم .. يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه "*.

*****

فوضى الشارع المصرى

(٤٣)

لقـــد كانت النظافة والنظام من سمات الشارع المصرى، ولكنها غـــدت الـــيوم أسواقاً امتلأت بالقذارة، وفضلات الخضار والسلع التى يبيعونها.

إن منكرات الأسواق وضع الاسطوانات، وبناء الدكات المتصلة بالأبنية المملوكة، وإخراج الرواشن والأجنحة، ووضع الخشب وأحمال

---

* نشرت بجريدة أخبار الإسكندرية والعالم، العدد ٦٧ منتصف أكتوبر ٢٠٠١ ص ١٠.

الحبوب والأطعمة على الطرق، فكل ذلك منكر لأنه يؤدى إلى تضييق الطرق واستضرار المارة.

ومن منكرات الأسواق ربط الدواب على الطريق، بحيث يضيق الطريق وينحبس المارة، وذلك لأن الشوارع مشتركة المنفعة، انظروا إلى العربة الكارو التى يَجُرهَا حصان، وقد وقفت عند بداية محطة ترام كليوباترا المحطة بالإسكندرية وبجوار مقهى، وقد راح الحصان يتبول ويتبرز.

ويعد من المنكرات كذلك ذبح القصاب إذا كان يذبح فى الطريق حذاء باب الحانوت، ويلوث الطريق بالدم، انظروا إلى جزار بشارع الهدايا بالإسكندرية، وقد استولى على ثلثى الشارع ناحية اليمين ووضع منضدة لتقطيع اللحم، وناحية اليسار وقد وضع شوّاية يشوى عليها اللحم، ويذبح الخراف وسط الشارع صباح يوم عيد الأضحى، ويعد ذلك منكراً، ولكن حقه أن يتخذ فى دكانه مذبحاً، فعمله هذا تضييق بالطريق، وإضرار بالناس بسبب ترشيش بالنجاسة، وطرح القمامة على جوانب الطرق، وتبديد قشور البطيخ، أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر، كل ذلك من المنكرات.

هل فكر أحد من التجار فى الإمساك بالمقشة لإزالة الزبالة، أقول : لا. لقد زرع الرئيس محمد نجيب شجرة فى كوم أوشيم، وأمسك كاتبنا الكبير توفيق الحكيم مقشة وكنس متراً من أرض القاهرة.

وقد دفعنى إلى الكتابة فى هذا الموضوع أن الشارع المصرى أصبح فى حالة فوضى من حيث النظام والقذارة ليس لها مثيل فى العالم، فمن ينقذنا من هذه المآسى. تعالى يا شرطة المرافق، وقد سبق

أن كتــبت فــى هــذا الموضــوع، ولكن الحال ما زال كما هو، تعالى واتفرجــى علــى ســوق كليوباتــرا بالإسكندرية، وقد أخرج أصحاب الحوانيت بضائعهم، ووضعوها على الرصيف، مما يعوق المارة وحركة ووقــوف وسير السيارات، وجاء أحدهم وافترش ثلثى الشارع وسدَّه فى طــريق المــارة، ولا تجرؤ سيارة على المرور. وفرش صاحب محل فكهانى بضاعته داخل المحل، ماشى ! ثم امتد وفرشها على الرصيف، وإلــى حــد مــا يمكن تحمل هذا. أما أن ينزل ببضاعته إلى ما تحت الرصيف، فهو بذلك يستحق الشنق ويدخل فعله فى دائرة سوء الأخلاق والسلوك.

وفى شارع دينوقراط بمنطقة سوتير بالإسكندرية، تقوم محلات تصــوير المســتندات، وعلــى ســبيل المــثال محل "دودى" لتصوير المســتندات، وغيــره بوضع حواجز لمنع السيارات من الوقوف، وكأن الرصــيف والشــارع قد أصبحا ملكاً لهم، هذا فضلاً عن المطاعم التى افترشت الشارع بالترابيزات والكراسى لجلوس الزبائن مما يعوق حركة المرور.

أمــا الشــارع الــذى يقع فيه كلية زراعة سابا باشا، والقنصلية الروســية بالإســكندرية، فقــد قام محل "بافوس"، ومحل "كنج فاشون"، للملابس الجاهزة، بوضع أحواض من الأسمنت لمنع وقوف السيارات.

ونظــراً لتراخــى المســئولين والتى تتمثل فى شرطة المرافق والمرور، بل وشرطة الأقسام، والذين تقاعسوا عن إزالة هذه المعوقات، فقــد أصبح من المعتاد أن ترى السلاسل والأقفال، والبراميل المملوءة بالرمال، وامتد ذلك إلى سكان العمارات، ففى شارع بيسون المتفرع من

شـــارع مصـــطفى أبوهيف بمنطقة الهدايا -بولكلى الإسكندرية، اعتقد بعض السكان أن الشارع ملك لهم فقاموا بوضع عوائق هى عجلات من الكاوتش، وأعمدة، على أول الشارع، وعلى يسار الداخل فيه.

فـــيا نـــاس يا أصحاب المحلات، ويا أيها الباعة الجائلون، ويا ســـكان المـــنازل، يا من أغلقتم الشوارع، واحتللتم الأرصفة، وما تحت الأرصفة، هذه الأرصفة، والشوارع ليست ملكاً لكم، ولكنها صنعت من أجـــل المشـــاة وسير السيارات، ووقوفها، فأنت قد امتلكت أو استأجرت الشـــقة أو الدكـــان، ولم تمتلك، ولم تستأجر الرصيف والشارع، وعيب تعمل كده*.

*****

أحجار وبراميل تحت الأرصفة

(٤٣)

يا شرطة المرافق، ويا شرطة المرور، ويا قسم الرمل -محافظة الإسكندرية- نخبركم ونشكو إليكم ما يقوم به البعض من مخالفات، وقد كتبت مراراً فى هذا الموضوع، واستجابت هذه الهيئات، ولكن سرعان ما يعود الحال إلى ما كان عليه.

فـــى أول شـــارع بيسون المتفرع من شارع مصطفى أبوهيف، وعلـــى الرصيف اليمنى، وبجوار الكوافير جراج يسع سيارتين، وعلى الرصيف الأيسر المواجه للجراج الصغير، قامت السيدة صاحبة السيارة ٢٢٢١١٠ بوضـــع أحجار كبيرة بجانب الرصيف، وقد دهنتها بالبلاك

---

* نشرت بجريدة أخبار الإسكندرية والعالم، العدد ٥٠، يناير ٢٠٠١، ص ١٠.

الأسـود حـتى تمنع أى فرد من المساس بها، مستهدفة بذلك أن تسمح لسـيارتها بالدخول والخروج بيسر، حتى ولو كان ما فعله ضد مصلحة بقـية سـكان الشارع، والذين يودون الوقوف بسياراتهم على الرصيف المقابل للجراج، وكأنها بذلك قد اشترت شقة والجراج ورصيف الجراج، والرصيف المواجه له.

وزاد الطين بلـه أن جـاء هـذا الصيدلانى الذى يلقب نفسه بالدكـتور، وليس دورنا فى هذا المكان أن نفرق بين الدكتور والحاصل علـى بكـالوريوس صـيدلة، المهم قام صاحبنا بوضع قطع من الزلط والأحجـار الكبيرة فى بداية شارع بيسون. ليه ! لأن ابنه الصغير قاد السـيارة، وحين خروجه من الشارع احتك بسيارة واقفة على الناصية فقرر صاحبنا منع السيارات من الوقوف.

وامتلكـت شركة قامت حديثاً بشارع مصطفى أبوهيف المتفرع مـن الهدايا رقم ٢٢، امتلكت سيارتين نصف نقل، واحتلتا الشارع ليل نهـار، تذهـب الواحـدة، لتحل محلها الأخرى، وقد تمكث الواحدة فى مكانهـا الأسابيع، بل وقد تستمر شهراً فى هذا المكان، وكأن الشركة قد اشترت قطعاً من الشارع، هذا فضلاً عن سيارات موظفيها.

وعلـى امـتداد الرصيف الذى به الشركة، وحتى شارع الهدايا رصَّ سكان العمارة رقم بشارع مصطفى أبوهيف أحجاراً كبيرة الحجم، فتمنع السيارات الأخرى من الوقوف، وذلك حتى تقف سياراتهم.

وننتقل بكم الآن من منطقة الهدايا إلى منطقة سابا باشا، حيث قام مطعـم فـول وطعمية على الرصيف المقابل لكلية الزراعة سابا باشا بـرص ترابـيزات وشماسى ووضع الكراسى فى الشارع، وقد ارتصَّ

الطلبة والطالبات حول الترابيزات، وقد جاء لورى سيارة شرطة المرافق يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠١/١٠/١٦، وحمل الترابيزات والشماسي والكراسي في الشارع ومن أمام المحل، ثم عادت ريما لعادتها القديمة، وإن اكتفى بالاستيلاء على الرصيف.

وعلى مسافة أمتار من هذا المحل قام محل أزياء باقوس، ووضع تحت الرصيف أوعية خرسانية تحت الرصيف وفى الشارع لمنع السيارات من الوقوف.

وننتقل الآن إلى شارع سوتر ناحية الأزاريطة حيث اشترى أبو ربيع دكاناً أمام الجامعة (الكليات النظرية)، ورويداً رويداً استولى على الرصيف، وأقام عليه العدد والأجهزة التى تقوم بتجهيز الوجبات عليها ثم استولى على ما تحت الرصيف، وسدَّ نهر الشارع بعوائق من الزلط، وبراميل الزبالة لمنع السيارات من الوقوف، فيا أبو ربيع أنت اشتريت أو أجَّرت الدكان فقط، ولم تشتر أو تؤجر الشارع أو الرصيف. وهى جاءت من عند ربنا حيث رفعت الشرطة السيارات من الشارع، وركدت حال محلك.

أما المطعم أو شبه المطعم الموجود عند الناصية وبجوار مكتبة، فقد رصَّ هو الآخر براميل الزبالة تحت الرصيف حتى يمنع السيارات من الوقوف. سبحان الله.

*****

الفصل التاسع

الأخـلاق

الخلق الرفيع

(٤٤)

الخلـق الرفيع هو النطق بالطيب من القول، والنافع من الكلام، وعـدم الدعـوة إلى الفاحش من القول، وإلى الخراب والدمار. والخلق الرفـيع هو الذى يخلو من الكذب والغش والنفاق والخداع، وذلك على عكس الخلق الذى تفوح منه الكلمة النابية، أو اللفظ الجارح، أو التعبير المستنكر، أو المستهين، أو الألفاظ السوقية.

سب امرؤ أحد أقاربه فقال : أنا سأريك وأشهدك وجهى الآخر، وجهـى القبـيح، وجهـى الوحش. فغادر المسبوب المكان وكانت هذه المغادرة بمفردها استنكاراً لما سمع، وفى رأيى أن هذه الألفاظ هى سب وشتم لأن بقية الجملة سأفعل فيك كذا، وأسب أباك وأمك.

يـا بُـنَّى - يا من قلت هذا القول. أنت بذلك تسب أباك وأمك، وعلـى هـذا فأنت ملعون، لأنك إذا سببت من أمامك، فسيسب من شُتم أباك وأمك، وإذا ضربت من يواجهك، فسوف تحصل على علقة ساخنة، فيا بنى امتنع عن هذا السلوك المسئ، والتزم بالخلق الرفيع.

يـا سـادة إن مهمة الأخلاق هى بيان ما هو الخير بوجه عام، والبحث عن معياره.

إن الخـــير هو القيمة الأخلاقية الأساسية فى الحياة، ولقد كانت السياسـة تسعى باستمرار إلى ما تزيد، وكانت فى سعيها تحاول قدر ما تســتطيع أن تحقــق قــيماً أخلاقية، تتخذها وسائل أو ذرائع لما تطلبه وتصارع من أجله.

وقــد اخــتلف الفلاســفة فــى مفهوم الخير، ففى بداية عصر الفلســفة الإغريقية حاول أرسطو أن يقيم جسراً بين الأخلاق والسياسة. وفــى بدايــة العصــر الحديث أراد ماكيافيللى أن يزيل هذا الجسر بين الأخلاق والسياسة.

ومن الفلاسفة من قال إن الخير هو النافع المفيد، ومنهم من قال الخير والقيم الأخلاقية شئ واحد، وذهب البعض إلى القول بالتوحيد بين الخير الأقصى، وقال البعض الآخر أن : الخير هو العدالة.

وهــنا نتســاءل أيــن عدالة أمريكا وهى تقف مع الفلسطينيين موقــف العــداء، وتعتــبرهم إرهابييــن، مع أنهم يدافعون عن أرضهم الــتى اغتصبها الإسرائيليون، لقد خرج بوش، ووزير خارجيته باول، وبعــض أعضــاء الكونجــرس الأمريكيين، وأثناء ضرب أفغانستان، يؤكــدون أن يقفوا بجوار الحق، ويقيموا دولة فلسطين مستقلة، بموجب قرارات الأمم المتحدة.

وانضــم لقافلــة التأييد بلير رئيس وزراء بريطانيا، وأسعد ذلك شــيراك الرئــيس الفرنســى، لأنــه تعبير عن موقف فرنسا الدائم من القضــية، ووافــق الألمان، وأيد الإيطاليون، والبلجيك، وبدأت العدوى تنتقل إلى الشرق، فوافقت اليابان، وأيدت كوريا.

ولكن بعد أن قهرت أمريكا حركة طالبان، ودمرت قاعدة أسامة بن لادن، تراجعت وقالت : فلتحل المشكلة عن طريق المفاوضات السلمية، وأين هى المفاوضات ؟، وما زالت المعارك جارية، والضرب على أشده بالطائرات والمدافع والدبابات، أفليس هذا غشاً وخداعاً ونفاقاً، إنه الخلق السئ والوضيع، لا الخلق الرفيع*.

*****

الفضيلة

(٤٥)

ندعو الناس دائماً إلى محاسن الأخلاق والسلوك السوىّ الصحيح، وأن يكونوا بمنأى عن السلوك المذموم، بعد أن أصبحنا نعيش اليوم عصراً فيه غش علنى فى القيم والمعايير، وأصبح هذا الغش العلنى فى المثل والأخلاقيات هو القاعدة فى عالم اليوم، وامتلأت حياتنا بالنفاق، والتملق، والخداع، والكذب، والسرقة. ولم تقتصر السرقة على المحفظة وأخرج ما فى جيبك، بل امتدت لتشمل السرقة فى مجالات العلم والأدب والفنون.

إن الفضيلة عند أرسطو هى الوسط العدل، إنها وسط بين رذيلتين، إفراط يجب تجنبه، وتفريط أىْ نقص يجب تلافيه، فالشجاعة وسط بين التهور والجبن، والكرم وسط بين البذخ والبخل، والعفة وسط بين الفجور والجمود.

---

* أرسلت إلى د. محمد عبد العال رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير جريدة "الأيام الجديد"، فى ٢٠٠٢/١/٢٠. وأرسلت إلى مصطفى بكرى رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير جريدة "الأسبوع" ٢٠٠٢/٥/١٥، ولم تنشر.

وفى الإسلام أربع فضائل خاصة بالنفس المقربة إلى الله تعالى، وهــى علم المكاشفة، وعلم معاملة، وعفة، وعدالة، أما الفضائل البدنية فهــى أربــع : الصحة، والقوة، ولا يتم العمل إلا بهما. وكذلك الجمال، ويدل الجمال على فضيلة النفس، لأن نور النفس إذا تم إشراقه تأدى إلى الــبدن، فالمنظــر والمخبــر كثيراً ما يتلازمان، ولذلك عوّل أصحاب الفراســة فى معرفة مكارم النفس على هيآت البدن، فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن.

وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : " اطلبوا الخير عن صباح الوجــوه " (ابن حبان). وقال عمر رضى الله عنه : " إذا بعثتم رسولاً فاطلبوا حسن الوجه، حسن الاسم ".

أمــا الفضيلة البدنية، وهى الرابعة فهى طول العمر، قال عنها ســيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : " أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله تعالى ".

والــنعم الخارجــية المطبقة للبدن أربعة هى : المال، والأهل، والجــاه، وكرم العشيرة، والفضائل النفسية الداخلة أربعة، هى : هداية الله، ورشــده، وتســديده، وتأييده. ولذلك كان من أفضل الدعاءات، أن يدعــو الإنسان ربه بأن يلهمه الحكمة، والسداد، وألا يكيله إلى أعداء، وحساد، وحاقدين.

ولمكارم الأخلاق عشرة أبواب جمعها شاعر النيل حافظ إبراهيم فى الأبواب التالية :

إن المكارم أبواب مصنفة   فالعقل : أولها، والدين : ثانيها

والعلم : ثالثها، والصدق : رابعها   والجود : خامسها، والعرف : سادسها

والبر : سابعها، والصبر : ثامنها   والشكر : تاسعها، واللين : عاشرها

ويقول :

فإذا رُزقت خليقةً محمودةً   فقد اصطفاك مقسم الأرزاق

فالناس هذا حقه مال وذا   عِلْم، وذاك مكارم الأخلاق

والصدق من الفضائل، فعلى الرجل الفاضل أن يصدق فى قوله وفعلــه، ويصدق مع نفسه، ومع الناس، قال الله تعالى : " يا أيها الذين آمــنوا اتقــوا الله وكونوا مع الصادقين " (التوبة : ٩/١٩٩). وأثنى الله على الصادقين : " رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ".

والإنسان الفاضل هو الذى لا يغدر بصاحبه، ولا يخون صاحبه بالجنُــب، والجــار الجنُــب هو الجار البعيد، ولا يعتدى على صاحبه بالجنب، وهو مصدر أمن وأمان أينما كان.

والفضــيلة هى إشاعة السلام والعدل والحب والمحبة والرحمة والعفو والمغفرة بين الناس*.

*****

الأدب

(٤٦)

أدب المــرء عــنوان سعادته، وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبــواره. قال الله تعالى عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : " وإنك لعلــى خلــق عظيم " (القلم : ٤). وقال سبحانه وتعالى : " والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس " (آل عمران : ١٣٤).

---

* نشرت بجريدة "الزمان"، العدد ١٣٤١، تحت عنوان "مكارم الأخلاق"،فى ٢٠٠١/٥/١٤.

ووصـــف الله سبحانه وتعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقولــه : " وإنــك لمستمســك بمحاسن الصفات، ومحاسن الأفعال التى فطرك الله عليها. وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله (ص) قال : " إن مــن أحبَّكم إلىَّ، وأقربكم منى مَجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضــكم إلىَّ، وأبعدكم عنى يوم القيامة، الثرثارون، والمتشدقون، والمتفَيْهقون " (الترمذى). والثرثار هو كثير الكلام تكلفاً، والمتشدق هو المتطاول على الناس بكلامه.

وعــن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : لم يكــن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً. وكان يقول : وإن من خياركم أحسنكم أخلاقاً (متفق عليه).

وكــان علــيه الصلاة والسلام : هين المؤنة، لين الخلق، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طليق الوجه، بسَّام من غير ضحك، محزون من غير عبوس، شديد فى غير عنف، متواضع فى غير مذلة، جواد من غــير سرف، رحيم لكل ذى قربى، رقيق القلب، دائم الإطلاق، لم يبشم قط من شبع، ولا يمد يده من طمع.

وإصــلاح المجــتمع يــبدأ بالنفس، ففكر أيها الإنسان فى نفسك وتدبرها، وفى مدى تأديبها، وتطييبها، وتزكيتها، وتطهيرها. كذلك فإن شــقاءها منوط بفسادها، وخبثها، لقوله تعالى : " قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسَّاها ".

إن مــن عــرف نفسه عرف ربه، وأقبل على النفس واستكمل فضائلها، فلُمْ نفسك دائماً على ما بدر منها قبل أن تلوم الشيطان، واستعذ بالله من شر الوسواس الخناس، واجتنب أصدقاء السوء.

وينظم الأدب الحياة كلها، فللأكل أدب، وللشراب أدب، فقد دُعِيَ أحـد الأفـراد على غذاء. خرج من الأكل يشَحَّر، ويأخذ أنفاساً طويلة شـهيقه وزفـيره، مثله مثل البط بعد تَزْغيطه. وأراد صاحبنا أن يستر عيْـبه، فقال : أنا ذواق، فيا سيدى أنت فى ضوء ما فعلت لستَ بذوَّاق، وإنما أنت شره، ونهم. معلهش لا تزغل.

يـا ناس يا من تقبلون دعوة على الغذاء أو العشاء، كلوا هويْدا هويدا، وبذوق، ولا تظهروا بمظهر المفاجيع، وبلاش فضايح، وتلزقوها فى كلمة ذواق. فالذوق يستغرق برهة من الزمن ما بين اللقْمة واللقْمة، أنت لا تأكل، إنما أنت تزلط.

وللـركوب أدب، وللدخـول والخروج أدب، فلا تمسك من هو ماشـى بجوارك من ذراعه وتدفعه إلى الخلف قائلاً : أنا سأتقدم لأننى مدير هذا المكان. مع أن من قلت له هذا الكلام، وفعلت معه هذه الفعلة أقدم منك، وأكبر منك سناً، وأعلى منك مؤهلاً.

وللكـلام أدب، وللسكوت أدب، وللاستماع أدب، فليكن أسلوبك الكلمـة الطيبة، فتحلى بحلاوة اللسان، وانأى عن الكلمة البذيئة، والفعل السيئ، ولا تقاطع من يحادثك، فهذه ملامح قلة الأدب.

وعـوِّد نفسك الصبر، فهو نصف الإيمان، وتحلى بالصدق فلا فـلاح لكاذب، وحافظ على سمعك، وبصرك من المحرمات، واستخدم عقلـك وحواسك فيما ينفع مجتمعك، وكل ذلك من أجل معاملة أنقى مع الناس*.

*****

---

* نشرت بجريدة "أخبار إسكندرية والعالم"، العدد ٥٧، النصف الأول من مايو ٢٠٠١.

الصبـر

(٤٧)

الصـــبر هو ثبات باعث الدين فى مقابل باعث الشهوة، فإن ثبت حـــتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة، فقد نصر حزب الله، والتحق بالصـــابرين، وإن تخـــاذل وضعف حتى غلبته الشهوة، ولم يصمد فى دفعهـــا التحق بأتباع الشياطين، فإذا ترك الأفعال المشتهاه أثمر ذلك عن حال يسمى الصبر، فالصبر إذن هو حبس النفس عن الجزع والتسخيط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش.

والصـــبر مجاهدة، وإذا أضيف الصبر إلى الشكر الذى صرف إلـــى الطاعة، فالشكر أفضل، لأنه تضمن الصبر أيضاً، والفقير الصابر أفضـــل من الغنى الممسك ماله، الصارف إياه إلى المباحات، لأن الفقير قد جاهد نفسه، وكسر نهمتها، وأحسن الرضا على بلاء الله تعالى. إذن لابد من قوة فى الصبر على الحرام، إلا أن القوة التى يصدر عنها صبر الفقـــير، أعلى وأتم من القوة التى يصدر عنها الاقتصار فى التنعم على المباح.

ولاشـــك أن مقاومـــة الشر هى لون من ألوان الصبر. ومقاومة الشـــر تجعل للحياة معنى وهدفاً، وهو العمل على انتصار الخير، يقول الله ســـبحانه وتعالى : " وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم " (فصلت : ٣٤-٣٥). ويقول سبحانه وتعالى : " اصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور " (لقمان : ١٧).

ويقـــول الله ســـبحانه وتعالى : " ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور " (الشورى : ٤٣). ويقول الله سبحانه وتعالى : " ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون " (النمل : ٩٦).

وقــال تعــالى : "أولئك الذين يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا" (القصص : ٥٤). وقــال تعالى : "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حســاب" (الزمــر : ١٠). وقــال : "واصــبروا إن الله مع الصابرين" (الأنفال : ٤٦).

ويمر الصبر فى النفس الإنسانية بمراحل، يقول سبحانه وتعالى : " والكاظميــن الغــيظ والعافيــن عن الناس والله يحب المحسنين " (آل عمــران : ١٣). فــالمطلوب أولاً أن يكظم الإنسان غيظه، أى أن الغــيظ موجــود فــى القلب، ويتجدد كلما رأى الإنسان غريمه أمامه، ويحتاج هذا من الإنسان أن يكظم غيظه كلما رآه. ثم يرقى المؤمن فى انفعاله الإيمانى. فيأتى العفو، وهذه مرحلة ثانية، وهى أن يخرج الغيظ مــن قلــبه، ويحل بدلاً منه العفو، ثم تأتى المرحلة الثالثة، " والله يحب المحســنين "، فهذا إحسان يحبه الله، ويجزى عليه، وهو أن تحسن لمن أساء إليك، فتنال محبة الله، وهذا من كمال الإيمان.

وقال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : "الصبر نصف الإيمان" (ابن مسعود). وقال عليه الصلاة والسلام : " من نظر فى الدنيا إلى من هــو دونه، ونظر فى الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صابراً وشاكراً. ومن نظر فى الدنيا إلى من فوقه، وفى الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله صــابراً ولا شــاكراً. وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال " قال رســول الله صلى الله عليه وسلم لأشجِّ عبد القيس : " إن فيك خصلتين يحبهما الله الحِلْمُ والأناةُ " (رواه مسلم).

ومن كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب. وقال بعض العارفين : أهل الصبر على مقامات ثلاثة : أولها : ترك الشهوة، وهذه درجة التائبين، وثانيها : الرضا بالمقدور، وهذه درجة الزاهدين، والرضا أعلى من الصبر، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : " اعبد الله على الرضا، فإن لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير " (الترمذى). أما الثالثة : فهى المحبة لما يصنع به مولاه. وهذه درجة الصديقين.

والصبر ثلاثة أنواع. صبر على طاعة الله، وصبر على معصية الله، وصبر على امتحان الله.

قال ابن تيمية : كان صبر يوسف على مطاردة امرأة العزيز أكمل من صبره على إلقاء اخوته له فى الجب وبيعه، وتفريقهم بينه وبين أبيه. وأما الصبر على المعصية فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس. والصبر يكون صبراً بالله –أى الاستعانة به، وصبراً لله أى يكون الباعث على الصبر محبة الله، وصبراً مع الله دوران العبد مع مراد الله الدينى منه وفقاً لأوامره وهو حب الصديقين.

وكان سيدنا شعيب، وهو من الأنبياء فوق مرتبة موسى عليه السلام، وغيره من الأنبياء، ضريراً، وصبر على فقد البصر*.

*****

---

* أرسلت إلى "صوت الأمة"، و"الزمان" و"السياسى" و"العروبة"، ولم تنشر – ليه ! موش عاجبكم "الصبر".

الصدق والكذب

(٤٨)

الصدق يقابل الكذب. والصدق هو أن يتطابق الكلام مع الواقع. والكذب هو ألا يتطابق الكلام مع الواقع. فإن كان ما حدث وتحدث فيه قد وقع، يكون الكلام صادقاً، وإن لم يكن قد وقع، وكانت النسبة الخارجية على عكس ما أخبرت، فإننا نقول هذا كلام كذب. إذن فالصدق هو تطابق النسبة الكلامية للواقع، والكذب هو ألا تطابق النسبة الكلامية الواقع. وعلى عكس ذلك فالصدق والكذب كلاهما نسبى.

وإذا أردت أن تعرف نظره الإسلام إلى الصدق والكذب، فلا تنظر إلى المنسوبين للإسلام، ولكن انظر إلى الإسلام فى جوهره ومنهجه (القرآن والسنة). هل جرّم الإسلام الرشوة والسرقة والكذب والنفاق وجعل لها عقوبة أوْ لا - نعم جرَمها.

يقول الله سبحانه وتعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " (التوبة : ١١٩). فالإسلام يحث المؤمنين على التقوى والإيمان، وأن يكونوا صادقين فى أقوالهم وأفعالهم، ومن ملامح المسلم ومعالمة البارزة التزام الصدق فى قوله وعمله، أما الكذب فهو الباطل الذى لا يقوم له بناء ولا يثبت له قدم.

إن التزام الكذب، والميل إلى الباطل، يخرج صاحبه من دائرة الإيمان إلى هاوية النفاق، وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خَصلَةٌ منها، كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدَّث كذب ... " (البخارى).

ويتمثل التزام المؤمن بالصدق، وتحذيره من الكذب فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وأن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ".

وأقبح الكذب وأشده عقاباً ما انتهكت به الحرمات، وضاعت به الحقوق، كشهادة الزور، التى تقلب موازين العدل، وتغير وجه الحق، فتشيع المظالم، ويظهر الفساد.

وهكذا تدخل شهادة الزور فى نطاق الكذب، إذ حدث أن طلب مواطن من أحد جيرانه أن يحضر أمام المحكمة للشهادة بأن العريس الذى تقدم لابنته هو المتسبب فى فسخ الخطبة، وذلك حتى تستأثر العروس بالشبكة، التى قدمها العريس. ولكن الجار رفض الذهاب إلى المحكمة للإدلاء بهذه الشهادة لأنه لم يشهد الوقائع التى حدثت بين العروسين حتى يستدل منها على المتسبب فى فسخ الخطبة، وهو لم يشهد وقائع، ولم يحضر اتفاقات، وإنما سمع من طرف واحد -هو الجار- أحداثاً مفككة لا رابط بينها.

فإياكم أيها الناس، وشهادة الزور، فهى لون من ألوان الكذب، الذى يؤدى إلى الفجور، وإلى النار، واللهم أعوذ بك من عذاب النار*.

*****

* أرسلت إلى الوقائع العربية، ولم تنشر.

الحيـــاء

(٤٩)

الحـــياء هـــو الاحتشام، هو شعبة من شعب الإيمان. فى حديث نبوى شريف : " الحياء من الإيمان "، أى أنه من أموره وخصاله. وكان عليه الصلاة والسلام يقول : " روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة ... فإن القلوب إذا كلّت علّت "، ولم يكن عليه الصلاة والسلام يأمر أهله بارتداء الخمـــار صـــراحة، بـــل كان يعلمنا الدين بالممارسة، ويقول للنساء " احتشمن ".

والحـــياء يأتى بالخير، وازدياده يمنع القبائح، يقول عليه الصلاة والســـلام : " إن الحـــياء لا يأتى إلا بالخير، وازدياد الحياء خلق يبعث علـــى تـــرك القـــبائح. يقول أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : " كان رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم أشد حياء من البكر من خِدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه فى وجهه.

والحياء يمنع الإنسان من أن يتكلم ويناقش. أما من لا حياء له، فيفعل ما يشاء، ويفقد السبيل إلى خير كثير فى دينه ودنياه.

والحـــياء خصلة حميدة مطلوبة كخلق، يشير إليها القرآن الكريم حيث جاءت إحدى الفتاتين مرسلة من قبل أبيها إلى موسى عليه السلام، بعـــد أن علـــم بأمـــر موسى معهما -تسير فى حياء- وقالت : إن أبى يدعـــوك لـــيجزيك أجر ما سقيت لنا. يقول سبحانه وتعالى : " فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إنَّ أبى يدعوك أجر ما سقيت لنا ... " (القصص : من الآية ٢٥).

والحياء مطلوب للرجال والنساء على السواء، وللنساء على وجه الخصوص، صحيح أن الله منح الذكر قوة جسمانية أكبر وأعظم من قوة المرأة، ولكن ما رأيكم فى تلك المرأة التى أمسكت بخصيتى زوجها، وراحت تجذبه منهما، وصرخت فيه، وأقسمت أنها ستودى بحياته، وأنها ستقضى عليه بدس السُمِّ له، أو أن تشلّه.

حقـاً إن الذين اختشوا ماتوا، وصحَّ المثل الشعبى الذى يقول : اقلـب القربه على فمِّها، تطلع البنت لأمِّها. لقد تذكرت توا أن ما فعلته هـذه المـرأة يماثل ما فعلته أمَّها مع أبيها، لقد أفلَسته، وجعلت مستواه بمسـتوى الأرض، وشلّته، وكانت هى وأولاده يستجيبون له بالكاد، فإذا ما طلب ماء أو شاى ماطلوا، وربما لم يستجيبوا له.

والمهم سحب الزوج نفسه من قبضة يدها، وفقد أعصابه، وراح يضربها، حتى قطع وكسر وجرح بعض أجزاء من جسمها.

أما الفتاة البكر فقد طُبع الحياء فيها، ويبدو ذلك جلياً عندما تخلو بزوجها أول مرة فى خدرها، وعند الدخول بها، ولهذا ينبغى أن تحرص الفـتاة الـبكر على الحياء وتعتز به، لأنه سبيلها إلى السعادة فى الدنيا والآخرة.

أقـول هذا بمناسبة ما يتبادر من بعض الفتيات اللاتى يحلو لهن أن يتعاملن مع بعضهن البعض، بل ومع الشباب بجرأة شديدة، ويطلقون ألفاظـاً نابية، ويسبون سبَّة، أو يشتمون شتمه، وكأنهم صبيان لا بنات. وقد يكون ذلك فى مواجهة أستاذهم.

حـدث أن جلسـت فتاة فى المحاضرة، كما روى أحد الأساتذة، ووضـعت قدماً على كرسي، والقدم الآخر على كرسى آخر، وباعدت

المسـافة بيـن قدميها، وبطريقة تخدش الحياء. نبهها أستاذها إلى هذه الجلسة التى تخلو من الحشمة، فردَّت عليه : وإيه يعنى - ما أنا أجْلس هكذا أمام أبى. فهل هذا السلوك من الحياء فى شئ ؟

وإذا طرد أستاذ طالبة من المحاضرة لسوء سلوكها، سارت من آخـر مكـان فـى قاعة المحاضرة إلى أولها، وهى تدب بحذائها على الأرض، وبطريقة أضحكت زملاءها. وعند وصولها إلى الباب، فتحته وخرجت، ودفعت الباب بقوة، كاد أن يتحطم معه زجاج الباب*.

*****

العفـو

(٥٠)

جعـل الإسـلام العفو والصفح سبيلاً من سبل التهذيب الخلقى، ينظف القلب من مشاعر الحقد، ويطهره من نزعات السوء، ولقد تعددت الآيات فى القرآن الكريم، والتى ورد فيها موضوع العفو نذكر منها قوله سبحانه وتعالى " وليعفوا وليصفحوا ألا تحبُّون أن يغفر الله لكم " (النور : ٢٢).

وقـد نزلـت هـذه الآية عندما حلف أبو بكر الصديق أن يمنع معونتهُ عن قريبه مسطح بن أثاثة لخوضه فى حديث الإفك حول السيدة عائشـة رضى الله عنها. فالله سبحانه وتعالى يطلب من المرء أن يعفو

---

* أرسـلت إلـى د. محمد عبد العال رئيس مجلس إدارة "الأيام الجديدة"، وإلى أ. حسنى رشوان رئيس مجلس إدارة "حديث المدينة"، ولم تنشر، لأنها تناول موضوع "الحياء".

عمن أساء إليه ويسامحه ويعرض عن مجازاته. وإذا كنتم تحبون أن يعفو الله عن سيئاتكم، فافعلوا مع المسئ إليكم مثل ما تحبون أن يفعل بكم ربكم، وتأدَّبوا بأدبه فهو واسع المغفرة.

ويقول الله تعالى : " ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما " (النساء : ١١٠). أى فمن يعمل عملاً سيئاً أو يظلم نفسه، فعليه أن يعتذر إلى الله، فإنه يقبل عذره، وليطلب من الله الغفران فإنه يغفر له ذنبه، ويقبل توبته، لأن من شأنه المغفرة والرحمة.

وفى هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : " ألا أنبئكم بما يشرِّف الله به البنيان، ويرفع الدرجات، قالوا : نعم يا رسول الله. قال : تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك، وتصل من قطعك " (الطبرانى).

أكتب هذا للمقارنة بين إنسان أمس وإنسان اليوم، فإنسان الأمس يحاسب نفسه عما فعله طوال اليوم حين يصل بيته، فإذا ما اقترف إثماً، أو ارتكب خطأ، أو ظلم آخر، فإنه يقابل من ظلمه فى اليوم التالى ليطلب منه العفو، ويستغفر الله، ويتوب إليه.

أما إنسان اليوم فإنه يقترف الإثم، ويرتكب الخطأ. ويهدد صاحبه أنه سوف يريه الوجه الآخر - يعنى يسبّه ويشتمه، بل ويضربه، ويستنكف أن يعتذر لصاحبه، ويطلب منه العفو والصفح .

*****

---

* أرسلت إلى جريدة "السياسى"، ولم تنشر.

الحب ومقاييسه

(٥١)

الحـــب هـــو ميل الطبع إلىٰ شئ تنْبسط له النفس، وحين يكون الحـــب متبادلاً بين الجانبين، فهذا قمة الإسعاد، حيث يَجِدُ المحب المجد كلما رأى حباً من حبيبه، فيرد عليه بحب، فينمو الحب ويزداد. أما شقاء المحبين فهو أن يكون الحب من جانب واحد.

ويســـتدل علـــى الحب بمصافحة الحبيب بحبيبته، حيث يصف الشاعر حبيبته، يقول الشاعر :

لقاء الاثنين يبين حَدَّه تلهف كَيْفِ واستطالة مُدَّه

وهكـــذا إذا كنت تحدث الحدث الذى تقبل عليه، فأنت تقبل عليه بكل اشتياق ولهفة، ويقيسون لهفة اللقاء لأنها تحدد درجة المحبة، فلحظة اللقـــاء تبيـــن ما بين الحبيبين من مودة، فإن كانت المسألة بينها عشر درجـــات، فهمـــا يســـرعان باللهفة، فيقطعان العشر خطوات فى ثلاث خطوات، وهذا معناه تقصير زمن الابتعاد.

وكذلك تظهر الكيفية التى يتم بها السلام درجة المودة. فقد يسلم أحدهمـــا علـــى الآخـــر بـــبرود، أوْ بنصْف ودّ، أو بود كبير، أو بودّ مصـــحوب بلهفـــة وأخذ متبادل بالأحضان، وكذلك المدة التى يحتضن كلاهما الآخر، هل هى دقيقة أو دقيقتين أو ثلاث، إذن فالذى يبين قيمة الود : التلهف، والكيفية، والمدة.

وهــذه العناصــر أخذها الشعراء للتعبير عن المودة والحب بين البشــر. وفــى بعــض البلاد نجد الرجل يصافح المرأة، فهل يصافحها بــتلهف، وهل تبادله نفس اللهفة ؟ فإن وجدت الكف مفرودة ومبسوطة للمصافحة فقط، فهذا سلام عادى. أما إذا ثنى أحدهما إصبعه على كف الآخر، فعليك أن ترى أى طرف هو الذى قام بثنى إصبعه ليحتضن اليد كلهــا فــى يــده، فإن كان ذلك من الرجل، فاللهفة منه، وإن كانت من المــرأة، فاللهفــة منها. وإن كانت من الاثنين فاللهفة منهما معاً، ثم ما المدة التى يستغرقها بقاء اليد فى اليد.

وقد يحلو لكل منهما أن يتكلما معاً -رجل وامرأة- وكأن الكلام قد أخذهما، فنسى كل منهما يده فى يد الآخر.

سلام نوعين يبين حَدَّهْ   تلهف كيف واستكال مُدَّهْ

وهــناك فارق بين حب الإنسان للإنسان، وحب الإنسان لله، فإذا رأيــت حباً بين اثنين يتناقص بمرور الزمن، أو نتيجة واقعة أو حادثة، وذلك كأن يسب ابن الأخت خاله دون سبب وجيه، وإنما نتيجة التسرع والتخــبط، فاعلم أن الحب هنا هو حب لغير الله، وإذا رأيت الحب ينمو كل يوم، فاعلم أنه حب فى الله.

والحــب المطلوب ليس حب العاطفة. وإنما مزيج من العاطفة، وحــب القلب. وهناك فرق بين حب العاطفة وحب القلب، فحب العاطفة لا تكلــيف فيه، لكن حب القلب يأتى بالتكليف وعلى سبيل المثال، فأنت

تحـــبك ابـــنك بعاطفـــتك، حتى وإن لم يكن ذكياً، لكنك تحب بعقلك ابن عدوك إن كان ذكياً وأميناً وناجحاً.

وقد يحب الإنسان الدواء المرّ، لأنه فيه شفاء، والإنسان لا يحب الـــدواء بعواطفـــه، ولا يـــتلذذ به وهو يشربه، بل يحبه بعقله، لأن هذا الـــدواء قد يكون السبب فى العافية، وإن لم يجده فى الصيدليات يغضب ويشكو، ويسرّ بمن يأتى له به من البلاد الأخرى.

والحب هو العنصر الأساسى فى الحياة الأسرية، ولكنه وحده لا يحقـــق الآمال والأحلام، ففى كثير من حالات الزواج التى تمت بتوافر عنصـــر الحـــب ســـرعان ما تحطمت الأسرة حين واجهتها صعوبات الحياة*.

*****

* أرســلت إلـــى أ. رجب إبراهيم رئيس مجلس إدارة "الشروق الدولية" فى٢/٨/٢٠٠١، وإلـــى جـــريدة "المواجهة" فى ٢٠/١١/٢٠٠١، ولم تنشر – ليه ! يبدو أن الحب موش عاجبهم.



الفصل العاشر

فى السلوك المنحرف

الخلق الرفيع والسلوك المنحرف

(٥٣)

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم : " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم " (البقرة : ٢٦٨). فالشيطان يخوفكم من الفقر، ويثنى على كل عمل صالح ليصرفكم عن الإنفاق فى وجوه الخير ويغريكم بالمعاصى، والله واسع المغفرة قادر على إغنائكم، لا يخفى عليه شئ من أموركم.

ومن الخلق الرفيع الوفاء بالعهد، وقد وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين برعايتهم للأمانة والعهد، يقول سبحانه وتعالى : " والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون " (المؤمنون : ٨). فهم محافظون على كل ما ائتمنوا عليه من مال أو قول أو عمل أو غير ذلك، وعلى كل عهد بينهم وبين الله، أو بينهم وبين الناس، فلا يخونوا الأمانات، ولا ينقضوا العهود.

ومن السلوك الشاذ الذى يدل على عدم استواء الشخصية أن قال أحدهم -قبل أن يصل إلى كرسى السلطة- لصاحبه الذى نال ظلماً من الرئيس وقتئذن : أنا أعدك إذا وصلت إلى كرسى الرئاسة، بالعودة إلى تدريس مادة كذا التى كنت تقوم بتدريسها. ولما وصل إلى كرسى

السلطة تنكر لعهده واستولى هو على تدريس هذه المادة، وقال لصاحبه المتخصص فيها. سأجرب أنا عاماً واحداً، حتى لا يقال فلان فى السلطة، أنت برّه، وفلان خارج السلطة أنت جُوّه. واستمر صاحبنا يدرس هذه المادة عاماً بعد عام مع أنها فى غير تخصصه. فهو كالمتخصص فى الطب ويقوم بتدريس الهندسة أو بالعكس.

ومن الفحشاء عدم الحياء، وقد حرم المشرع بعض الأفعال ذات الصلة بالمسائل الجنسية، باعتبار أنها تجرح الحياء العام، فتصير فكرة الجنس بمعناه الواسع فى نفس الجانى، وذلك مثل : الفعل الفاضح، والتعرض لأنثى على نحو يخدش حياءها.

ويعود الاغتصاب إلى التبرج، وعدم غض البصر. فمن الفتيات اللاتى تعرضن للاغتصاب من لم يلتزمن بالملابس الحشمة، وعدم الخروج مع محرم، والتأخر ليلاً خارج المنزل، والسير فى مناطق غير آمنة. ومن هنا حرم الإسلام التبرج والنظر إلى عورات الآخرين، وهى جميعاً من الفواحش.

ومن الخلق غير الرفيع أن تقبض امرأة على خصيتى زوجها، وتجذبه منهما، وتقسم أنها سوف تسمه، أو تصيبه بالشلل أو الموت. وقامت بسبه وشتمه بأقذع الشتائم والسباب، وكادت أن تودى بحياته. فيارب لا نسألك ردَّ القضاء، ولكن نسألك اللطف فيه.

وأخيراً استطاع الرجل أن يتخلص من قبضة يدها بأعجوبة، وراح يضربها حتى تكسرت عظامها، وعجباً أن يحدث هذا أمام أعين أبنائهما من بنين وبنات.

ويتذرع البعض بأن النساء ناقصات عقل ودين، والحق أن ذلك لا يعـــنى أن المرأة قليلة الدين، بل القضية تنصرف إلى المطلوبات أو التكلـيفات. فالــرجل -مثلاً- مطلوب منه أن يصلى كل الوقت. ولكن المــرأة مطلـــوب منها لأسباب معينة أن لا تصلّى فى بعض الوقت .. وهكذا، بما يعنى أنهن ناقصات التكليف فقط.

ســألتنى إحــدى الطالبات، إذا تقدم شاب لخطبة إحدى الفتيات فكيف يميزون بين ذى الخلق الرفيع، وذى الخلق السيئ ؟ فقلت : أدعوه علـــى طعـــام، ولاحظوا كيف يأكل، فإذا كان يأكل بطريقة غير مهذبة، وظهر الرذاذ على شفتيه، وراح يهبش قطع اللحم القريبة منه، والبعيدة عنه، فهو يعَدُّ من ذوى الخلق السئ.

وإجـــرى معـــه موعـــداً فـــى فترة الخطبة، فإذا كان من الذين يضـــبطون موعدهم، ولا يخلفه، ولا يتأخر كثيراً، فهو من الشخصيات السوية.

وابحثوا عن صحبته .. ويقصد بالصحبة حالة الزمالة أو الرفقة والـــتى تعنى مخالطة الفرد لأقرانه، ووجود الأفراد معاً فى ممارستهم لنشـــاط ما. ويرتبط الشخص مع جماعة الأصدقاء وجدانياً، ويأنس لهم، ويشـــاركهم انفعـــالاتهم وعواطفهـــم، ويحدث بين أفراد الجماعة تأثير متبادل، فكل فرد يؤثر فى تكوين شخصية الآخر بدرجات متفاوتة، وفى هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " مثل الجليس الصالح وجليس السوء كمثل صاحب المسك، وكير الحديد ".

ويقول الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدى

فــإذا مــا ســادت الجماعة التى ينتمى إليها الفرد مبادئ سليمة انعكــس هــذا علـــى سلوكهم، فيصدر عنه السلوك السليم، وإذا كانت الجماعة غير سوية صار الفرد منحرفاً*.

*****

بـــدون إهــداء

(٥٣)

أصـــبحت السرقات فى مجال الفن والموسيقى والعلم ظاهرة لا يخجــل مــن يقوم بها، فينسب لنفسه أنه هو مؤلف هذا الفيلم، دون أن يشـــير إلى المؤلف الأصلى، أو يقوم ملحن باقتباس، أو قل سرقة لحن الأغنية، محاولاً أن يطمس ملامح العمل الذى نقل منه، فيغير ويضيف، ممـــا يشـــوه العمـــل الأصلى، وكان الأجدى بهذا المبدع أن يبدع فيلماً جديداً، أو لحناً جديداً.

يحدث هذا على المستوى الداخلى فى مصر والعالم العربى. كما يحـــدث على المستوى الخارجى، فأغنية (خسارة ... خسارة، فراقك يا جـــاره) لعبد الحليم حافظ غناها الأمريكيون، وأطلقوا عليها اسماً جديداً هو "التدهور"، وغناها "جاى زد".

وقديمـــاً اســـتولى "شابلن" على لحن سيد درويش. فأغنية " شم الكوكاييـــن ... خلانى مسكين " عدّل عنوانها إلى "رام لين". وقد فعلوا نفـــس الشـــئ مع أغنية "قارئة الفنجان" لعبد الحليم حافظ، ولحنها محمد الموجى.

---

* أرسلت إلى أخبار إسكندرية والعالم، فى ٢٠٠١/١١/١٢، ولم تنشر.

وقـــد تصدت جمعية المؤلفين والملحنين لهذه الظاهرة، ووصل الأمر للقضاء، وحكم لصالح أحد الملحنين الألمان.

وفـــى مجـــال العلوم المختلفة حدث نفس الشئ، إذ قامت عميدة إحـــدى الكلـــيات بســـرقة كتاب، ونسبته لنفسها، بعد أن أزالت صفحة العـــنوان الـــتى بهـــا اسم المؤلفة الأصلية المتوفاه، وقام زوج المؤلفة الأصـــلية بـــرفع دعـــوى ضد العميدة، وحكم على الأخيرة بستة أشهر سجن، ودفع غرامة مالية.

وقـــد دفعنى إلى الكتابة فى هذا الموضوع ما قام به أستاذ كبير من فعل وعمل جعلنى فى حيرة، هل ما قام به سيادته يتفق مع القانون والعرف، فقد استولى على كتابين من كتب أحد تلامذته كان قد أهداهما إليه، وأضاف إلى كل منهما عدداً من الفصول، وعدّل تعديلاً طفيفاً من عـنوان الكـــتاب، وعلى صدر صفجة العنوان كتب اسمه واسم المؤلف الأصلى، بل أشار إلى المؤلف الأصلى فى المقدمة.

حدث هذا معى ودون اتفاق مسبق لهذا التأليف المشترك، ودون ســـابق إنذار، ومن خَلْف ظَهْر صاحب الكتاب الأصلى، ودون أن تثبت حقوقى فى هذين الكتابين.

ولقـــد جـــرت العادة على أن يخصص المؤلف فى بداية الكتاب صـــفحة بعنوان "إهداء"، أو "شكر وتقدير". ومعذرة، ففى كتبى اللاحقة نويـــت أن أخصص صفحة بعنوان "بدون إهداء"، حتى لا يأخذ المهدى إليه الكتاب وينسبه إلى نفسه.

وفـــى هذا المقال أعبر عن فرحتى وسعادتى، وشكرى وتقديرى للأســـتاذ الكبـــير، والعـــالم الجليل الذى وضع اسمى بجوار اسمه على صفحة عنوان الكتاب. فهذا فخر لى، ووسام أضعه على صدرى. وأعلن أننى سأظل المخلص الذى يكن لكم كل تقدير واحترام.

ولكن معذرة يا سيدى، فأين هى ثمرة جهدى، لقد أعطيتنى ثمرة جهـــد معـــنوية، تتمثل، وكما قال البعض أنه يكفينى أنك اخترت اسمى دون عشرات، بل والمئات من المؤلفين، ولكن يا سيدى -إوْعى تزعل- أين هي ثمرة جهدى المادية، وحقوقى المالية، أليس لى نصيب فى ذلك. لى أمل كبير فى تخصيص نسبة، وقدْر من أرباح هذين الكتابين، حتى يكون دخلك منهما مالاً حلالاً مرضى عنه من الطرفين : سيادتكم وأنا*.

*****

عيب هذه الأفعال وتلك الأقوال
فتوبوا إلى الله
(٥٤)

التوبة هى الرجوع عن المعاصى، وعن الباطل إلى الحق، وتاب إلـــى الله -أى رجع إليه بالطاعة بعد المعصية. والتائبون منهم التائبون عن الكفر، وتاب الله عليه – أى وفقه للتوْبة وقبِلها منه. قال الله سبحانه وتعـــالى : " فمـــن تـــاب مـــن بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه " (المائدة:٣٩).

---

* نشرت بجريدة "صوت الأمة"، العدد رقم ٥، بتاريخ ٢٠٠١/١/٣.

أيها الناس كثرت ذنوبكم، فاسألوا لنا ولأنفسكم الرحمة، والتمسوا لنا ولأنفسكم النجاة.

فيا أيها الأستاذ الكبير، والعالم الجليل، اقترب من سمو الأفعال، ومـا تبادر إليه من عمل، وتمتد إليه يدك من حلال وحرام، فالاستيلاء علـى كـتاب من أحد أساتذتك، أو أحد زملائك، أو واحد من تلامذتك عمل لا يرضى الله سبحانه وتعالى، صحيح أنك وضعت اسم المسروق بجـوار اسـمك علـى صفحة عنوان الكتاب. وهذا يمثل طفرة بالنسبة للمسروق، ووسام على صدره، ولكن أين حقوقه المالية.

بقول إيه -بلاش ندخل فى متاهات، أعط المسروق حقه المادى، وبالطريقة التى ترضى الله سبحانه وتعالى، وطبقاً لما جرى به العرف، وحسب ما يرتضيه ضميرك، إن الله لا يرضى عما فعلت، فتُبْ إلى الله، وعفى الله عما سلف.

أما أنت أيها التابع، فنارك وجنتك بين جنبيك، نارك وجنتك فيما تختار من أفعال، وما تتفوه به من أقوال. يدك هى التى تحفر بها قبرك، وتصنع بها مصيرك، ولسانك هو الذى يهوى بك إلى الهاوية، أو يصعد بك إلى أعلى العلّيين.

يـا مـن قلت لفلان عن المظلوم المسروق : يحمد ربنا أنه باق وأبقى عليه فى مكانه. هذا قول سئ، وبذئ، ولا يليق بمن يحتل مكانك أن يقوله. وهـل هذا القول يعبر عن العدل والحق، اثبت على الحق، واحـذر الـباطل والضلال، فما هو صدق يبقى، وما هو باطل وضلال يذهـب، وإذا حكمـت بيـن الناس فاحكم بالعدل، إعمالاً لقوله سبحانه وتعـالى : "وإذا قلـتم فـاعدلوا ولـو كـان ذا قربى وبعهد الله أوفوا"

(الأنعـــام : ٦/١٥٢). أما إذا لم يكن لديك كلمة حق، فالأثوب أن تكف عن القول وتصمت، وهذا أضعف الإيمان.

أيهـــا التابع، يا من طلبت من المسروق أن يحمد الله أنه ظَلَّ فى مكانـــه، ولـــم يســـتبدل بـــه آخر. اعلم -أنه يحمد الله منذ ولادتك، بل وولادته، مع أنه يكبرك بنحو عشرين عاماً. وتَلْمَذْت أنت على يديه فى أوائل السبعينيات وهو ليس فى حاجة إلى من يقول له هذه المقولة لسبقه العلمـــى، وتعـــدد مؤلفاته التى لم ولن تستطع أن تجرى مثيلاتها. فهل تطلب منه أن يكُفَّ عن المطالبة بحقوقه، ويخرس لسانه عما يُقْتَرفُ فى حقه ؟

يـــا نـــاس ! يا هوه !! من المفروض أن العلم والمعرفة تصقل الفـــرد، وتهـــذب الإنسان، وتحثه على أن يسلك وفقاً للفضائل. ذلك أن اســـتمرار واســـتغراق الفرد فى البحث والتحصيل والمعرفة يبعده عن اقـــتراف الرذائل، والموبقات، فلا يغدر، ولا ينافق، ولا يجعل من ذاته تابعـــاً، ولا ذيلاً، ولا يصيبه الغرور، وينأى عن الكلمة البذيئة، والفعل السئ، وأن يتحلى بحلاوة اللسان.

ولكـــن تبيـــن أن طهـــارة الأخـــلاق، وحسنها، ليست دائماً من مســـتلزمات ذوى العقـــول المثقفة بالمعارف، فقد يقترن التفوق العلمى والعقلى والدكتوراه بالأخلاق السيئة، ويذل صاحب العلم لأولى المقامات الرفـــيعة، ويـــتغطرس ويصـــيبه الغرور على من اعتقد أنهم من ذوى المنازل الدنيا.

يـــا أيها المرء، كن رجلاً محترماً، وإنساناً عاقلاً، ورأساً مفكراً، وعقـــلاً مستنيراً، يستند إلى المنطق، والله على ما تقول، وعلى ما تفعل

شـــهيد. فتب إلى الله، وتعهد بأنك سوف لا تعود ثانية إلى ما قلت، وأن تحكم بين الناس بالعدل.

واللهـــم اجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر*.

*****

الكــذب والغــش

(٥٥)

يخلـــط الـــبعض بيـــن مفهومى الكذب والغش، فيعتبر من كذب غشاشـــاً، ومـــن غش كذاباً. والواقع أن المفهومين يختلفان، فالغش هو الوصول إلى الهدف بالاحتيال والابتزاز والتدليس.

ويتمـــثل الغـــش فيما يحدث فى الامتحانات. فينجح الطلاب فى الامـــتحانات بـــالغش، ويحصـــلون على امتيازات ليست من حقهم. هم يـــنجحون فـــى الامتحانات، ولكنهم يسقطون سقوطاً ذريعاً فى الأخلاق والتربية والضمير. ومنهم الطبيب الذى يقرر للسيدة الحامل أن ولادتها ســـتكون قيصرية، والحق أنها من الممكن أن تكون ولادة عادية. وهو يهدف فى ذلك الحصول على المزيد من المال، وتوفير بعض الوقت.

---

* أرســـلت إلـــى د. محمـــد عـــبد العـــال رئيس مجلس إدارة جريدة "الأيام الجديدة" فى ٢٠٠١/٥/٢٠، وأ. أســـامة شرشر رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير "الوقائع العربية" فـــى ٢٠٠١/١٠/١٠، وأ. مجدى مهنا رئيس تحرير جريدة "الوفد" فى ٢٠٠٢/٣/١٠، ولم تنشر.

ومن الغشاشين المهندس الذى يغش فى إقامة المبانى، فيقلل من عدد أسياخ الحديد التى يضعها فى الأعمدة الخرسانية، ويقيم عمارة من أحد عشر دوراً، ولكن أعمدتها تتفسخ في أقل من عشر سنوات. يحدث هــذا فى أيامنا هذه، بينما العمارة التى كان يبنيها المقاول الأمِّى، والذى لا يعــرف القــراءة والكتابة، باقية، صامدة، شامخة، حتى بعد أن مرَّ عليها عمرها الافتراضى، وهو مائة عام.

وتلقــيِّ مســاعدة، مستترة من أحد الأفراد تعد غشاً، ومساعدة الجمهــور خلسة لمن يجيب على أسئلة فى برنامج "اكسب المليون" هو الغش بعينه.

ومــن أنــواع الغــش – غش السلعة، حيث يغرى البائع المارة ليقــبلوا علــى الشراء منه، ثم يبيع لهم إما الردئ، وإما الجيد المخلوط بالــردئ، مــثل هذا البيع ليس من الإسلام في شئ .. يقول عنه النبى صــلى الله عليه وسلم : " من غشنا فليس منا ". رواه ابن ماجه وأحمد، والصحابى الجليل أبو هريرة رضى الله عنه، إذ سمع هذا الحديث حيث قالــه صــلى الله علــيه وسلم بالسوق، وذكر قصته على النحو التالى، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالسوق، ورأى رجلاً يبيع طعاماً "لعله تمر"، فأدخل يده فيه فوجد باطنه مبلولاً، ثم نادى فى الناس، فقال : " يا أيها الناس لا غش بين المسلمين، ومن غشَّنا فليس منا ".

هذا الرجل أخفى الردئ، وأظهر الجيد من الطعام، وراح يبيعه. ومثل هذه العادة السيئة ما تزال باقية حتى الآن فى الأسواق.

أمــا الكذب، فهو من كذَبَ، كذباً، وكِذْبا، وكِذاباً. والكذب خلاف الصدق، ويعنى أخبر أو وصف الشئ على غير حاله، أو بخلاف ما هو

عليه في الواقع، فإذا ما خالفت النسبة الكلامية الواقع، فهذا هو الكذب. وكل نسبة تقولها تحتمل أن تكون صادقة أو كاذبة، والفيصل في ذلك هو الواقع.

ويقال كذب عليه. أخبر عنه بما لم يكن فيه. ويقال كذَبَ نفسه، وكذبته عينه : أرته مالا حقيقة له.

وحرَّم الله سبحانه وتعالى الكذب لأنه يضر بالغير، فإياكم أيها الناس والكذب، فإنه يهدى إلى الفجور، والفجور يهدى إلى النار، ولا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً. وفي التنزيل العزيز : " وكذَّب به قومك وهو الحق، وكذَّبوا بأيامنا كِذَّاباً ".

والكذب من صفات المنافقين الذين قال الله سبحانه وتعالى عنهم : "في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون" (البقرة : ١٠).

فيا أيها الإنسان احفظ لسانك في الجد والهزل، ولا تعوَّد لسانك الكذب هزلاً، فيتداعى إلى الجد، والكذب من أمَّهات الكبائر، ثم إنك إذا عُرِفت بذلك سقطت عدالتك والثقة بقولك، وتزدريك الأعين وتحتقرك.

وإذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك، فانظر إلى كذب غيرك، وإلى تحفزة نفسك عنه، واستحقارك لصاحبه، واستقباحك له. وكذلك فافعل في جميع عيوب نفسك، فإنك لا ترى قبح عيوبك من نفسك، بل من غيرك، فما استقبحته من غيرك يستقبحه غيرك منك لا محالة، فلا ترض لنفسك ذلك.

ومع ذلك فقد أباح الإسلام الكذب في بعض المواقف، وبحيث لا يكون ذلك إلا في أضيق الحدود. في حالة الحروب –مثلاً– وذلك كأن

يقـــول القـــائد أنه سوف لا يحارب، ويمنح ضباطه الإجازات، وإذا به يفاجئ العدو بالهجوم. أو يقول أنه سوف يهجم من الشرق، فإذا به يهجم من الغرب، أو كأن ينعت زوجته القبيحة بأنها جميلة، ويمدح جمالها، أو يقـــول لزوجتـــيه المتشاحنتين أن كلا تمتدح الأخرى، مع أن كلا منهما تسب وتشتم الأخرى، وهو يفعل ذلك بغرض المصالحة بينهما*.

*****

شهادة الـزور

(٥٦)

شـــهادة الزور من أخبث صور الكذب. هى أن تشهد بما يخالف الواقع، أو تشهد على واقعة أو شئ، لم تشاهده، ولم تحضر وقائعه، وقد عدّهـــا الرسول صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر، وقرنها بالشرك، وعقـــوق الوالديـــن، وقتل النفس. وقد وصف الرحمن عباده بأنهم " لا يشـــهدون الـــزور " (الفرقان : ٧٢). أى لا يقولون كذباً، ولا ينطقون بالباطل. وإذا مرّوا بمن يتكلمون بالكلام القبيح أعرضوا عنهم.

ويقـــول ســـبحانه وتعـــالى : " ولا تقـــف ما ليس لك به علم " (الإسراء : ٣٦) أى لا تتبع ما لا تعرف عنه شيئاً.

أقـــول هـــذا بمناسبة دعوة أحد الجيران لجاره بأن يحضر إلى المحكمـــة ويشـــهد فى قضية فسخ خطبة ابنته من خطيبها، صحيح أن زوجـــة الجـــار المدعو للحضور للمحكمة هى التى أحضرت العريس

---

* نشرت بجريدة "الزمان"، العدد ٩٢، فى ٢٠٠٣/٨/٢٦، ص ٥.

لجيرانها. ولكن هذا الجار لم يحضر اسامات خاصة بمصاريف الحفلة، ومن يتحملها، والشبكة وقيمتها، والمهر، والمؤخر، والأثاث، ولم يشاهد مشادات بين الخطيب وخطيبته، بحيث يتبين من هو المسئول عن فسخ الخطـبة، ومن هو الرافض للطرف الآخر. وعليه رفض أن يلبى هذه الدعـوة لـلإدلاء بالشهادة فى المحكمة. لأنه -وحسب رأيه- لم يشاهد وقائع، ولم يسمع الوقائع والأحداث من الطرفين. أمّال حايشهد على إيه ؟ كذلك فإن ظروفه الصحية لا تسمح له بالذهاب إلى المحاكم وما فيها من تزاحم وضجيج.

وبعديـن زعل الجيران من جارهم، وخاصموه. فيا أيها السادة الجـيران، هـل تـبغون من جاركم أن يشهد -مثلاً- معكم، فينأى عن الصدق، وينحو نحو الكذب والافتراء.

يا سادة الصدق أساس الفضائل، وهو إخبار الناس، بالواقع وفى حالتـنا هـذه إخبار المحكمة بالواقع، وصدق فى القتال ونحوه أى أقبل علـيه فـى قوة، وصدق فلاناً أى أنبأه بالصدق، وصَدَق فلانا النصيحة والإخاء أى أخلصهما له. وصدق فلانا الوعد أى أوفى به.

ولقد خلق الله سبحانه وتعالى السماوات والأرض الحق، وطلب مـن الـناس أن لا يقولـوا إلا الحق، ولا يعملوا إلا بالحق. ولهذا كان الزعـيم الصادق من أنجح الزعماء، وأكثرهم أتباعا. والتاجر الصادق أكـثر التجار زبائن وأكثرهم ربحا، ولعل أصدق ميزان لرقى الأمم هو صدق أفراد الأمة.

يقـول الله سبحانه وتعالى : "يَا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مـع الصـادقين" (التوبة : ١١٩). وقال سبحانه وتعالى : "والصادقين

والصـــادقات" (الأحزاب : ٣٢-٣٣). وقال تعالى : "فلو صدقوا لكان خيراً لهم".

وحثـت الأحاديث النبوية الشريفة المسلمين على قول الصدق. عـن ابـن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : " إن الصـــدق يهدى إلى البرّ، وإن البر يهدى إلى الجنة، وأن الـرجل ليصـدق حـتى يكتب عند الله صديقا. وأن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا " متفق عليه.

ومن هنا كان الاستمساك بالصدق فى كل شئون الحياة ضرورة لخلـق المسـلم. فهـل أيهـا الجيران تريدون من جاركم أن ينأى عن الصدق. حرام والله حرام.

وعكـس الصدق الكذب. وهذا الأخير من أمهات الكبائر، وهو رذيلة تنبئ عن تغلغل الفساد فى نفس صاحبها. وهو الإخبار عن الشئ بخلاف ما هو عليه فى الواقع وكذب عليه : أخبر عنه بما لم يكن فيه.

وللكـذب أشكال متعددة. ومن أشكاله كذب السياسى على شعبه، وكـذب الرئـيس على أمته، وكذب الحزب على أتباعه، وكذب الناخب علـى من انتخبه، وكذب العالم على العامة، وكذب التاجر على زبائنه، وكذب الصديق على صديقه.

ولذلـك ينصـح الإسلام المسلم بأن لا يعوّد لسانه الكذب هزلاً فيـتداعى الجد. هذا وإذا ما عُرف الإنسان بالكذب سقطت عدالته والثقة بقوله. وتزدريه الأعين وتحتقره.

هذا وإذا ما أراد الإنسان أن يعرف قبح الكذب من نفسه، فلينظر إلـى كذب غيره، وإلى نفرة نفسه عنه، واستحقاره لصاحبه، واستقباحه له.

وبعـد فـيا أيها الجار، هل تريد من جارك أن يكون كذاباً. مما يهدى به إلى الفجور، ويهوى به الفجور إلى النار. هل تريد من جارك أن يكتب عند الله كذاباً*.

*****

أنا حر – حطمت العلاقات القرابية

(٥٧)

لمـاذا ينحو أبناء هذا الجيل نحو فعل ما يريدون، فى أى وقت، وفـى أى مكان، ولا أحد يسألُ أحداً ماذا فعلت، ولماذا فعلت، ولا يقول لك أحد ثلث الثلاثة كام.

أنا حر – مقولة قالها أحد الأقارب، وهو فى حالة انفعال شديد، حيـن اشترى سيارة من أحد أنسابه، وسدد ثمنها كله، وراح يراوغ فى الذهـاب إلى الشهر العقارى، وسجّلت السيارة، بتوقيع البائع، وفى خانة المشترى كتب لم يحضر.

ولمـا طلب منه تغيير ملكية السيارة فى المرور راوغ وما زال يـراوغ، وقال للبائع أنا حر– إنْتَ مالَكْ أسجلها أوْ لا أسجلها، أحرقها، أرميها فى البحر، أنا حر أفعل ما أريد، وأفعل فى السيارة ما أشاء.

---

* نشرت بجريدة "الرأى العام"، العدد ٧٢٥، فى ٢٠٠٢/١٢/١٣، ص ٤.

يـــا بُنى أقول لك : نعم أنت حر فى أن تفعل ما تريد، وتقول ما تشـــاء فـــى جمـــيع مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتستطيع أن تتزوج بمن تريد، وتسافر، وتذهب، وتجئ، وذلك من غير أن يكون لأى شئ سلطان على إرادتك وعملك.

فالحرية هى الانطلاق، وهى غاية مرتقى الحياة، وفى مثل هذا الجو، جو الحرية ينعم الجميع بالحب والفضيلة.

والحـــرية عكس العبودية، والصراع بين الحرية والعبودية قديم قـــدم المجـــتمعات الإنسانية، فمن أجل الحرية خاضت الشعوب معارك عديـــدة، ومـــن أجل الحرية تضحى الشعوب بشهدائها وأموالها ومدنها وبيوتها، ومن أجل الحرية وقعت الحروب.

إلا أن الحـــرية يـــا بنى مشروطة بشرط أن لا تضر بالآخرين، فالحـــرية المطلقـــة وبلا شروط هى الفوضى، هى الفساد فى الأرض، والمفسدون هم الفاسقون، والمبتعدون عن منهج الله. وصف الله صفات الفاسقين فى ثلاث صفات هى :

١- الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه.

٢- الذيـــن يقطعـــون ما أمر الله به أن يوصل. قال الله تعالى : " ويقطعـــون ما أمر الله به أن يوصل". وما أمر الله به أن يوصـــل هـــو صـــلة الرحم. فقد أمرنا الله تعالى أن نصل أرحامـــنا. ولكنك قطعتها حين أقسمت بأن بائعى السيارة لن يحضروا حفل زفافك، وإذا حضروا فسوف تغادر المكان.

٣- الذيـــن يفســـدون فى الأرض، وفيهم يقول سبحانه وتعالى : " سيقول السفهاء من الناس " (البقرة : من الآية ١٤٢). وإذا كنـــت حـــراً يـــا بنى وبلا شروط، فهل يمكن أن تمشى فى

الشارع عارياً ؟ لو فعلت فستكون من السفهاء، والسفه جهل وحمق وطيش.

ولقد جاء فى تعريف الحرية فى إعلان حقوق الإنسان الصادر فى فرنسا عام ١٧٨٩ بأنها : "القدرة على عمل شئ ما ولا يضر بالغير". وعلى ذلك فالحرية هى استعمال حقك بحيث لا يطغى على حق الآخرين.

ولضمان الحرية تقوم المعايير الاجتماعية من عادات وأعراف وقيم وتشرع القوانين والأنظمة. فإذا ما اشتريت سيارة -صحيح أنك دفعت ثمنها بالكامل. ولكن هناك شروط لابد من استيفائها حتى يكون البيع صحيحاً. وأول هذه الشروط تسجيلها بالشهر العقارى. وثانيها التوجه إلى إدارة المرور لنقل رقم السيارة وبياناتها من البائع إلى المشترى، وأنت يا بنى لم تفعل ذلك.

أما عن الانفعال والغيظ نقول لك يا بنى : بأنه كان ينبغى عليك أن تكظم غيظك وانفعالك، وأن تكبح جماح هذا الانفعال. وإذا لم تستطع أن تقوم بذلك، فمن يواجهك سوف يمتلئ بالحدة والغضب. وهذا ما حدث بالفعل.

وقد يظل الغيظ نامياً، وربما ورثّت أجيالاً من أبناء وأحفاد، لكن كظمك الغيظ، قد يجعل من يواجهك يخجل من نفسه وتنتهى المسألة. أيها المواطنون "اتقوا الله لعلكم تفلحون"، واخشوا الله فى جميع أعمالكم وأقوالكم، ولا تفعلوا ما يغضبه حتى تنجون من النار وتفوزون بالجنة*.

*****

* نشرت بجريدة أخبار إسكندرية والعالم، بتاريخ إبريل ٢٠٠١، ص ١٠.

الكِبْــر

(٥٨)

المتكبرون هم المتَفَيْهِقون. والمتَفَيْهِق أصله الفَهْق، وهو الامتلاء، وهو يملأ فمَهَ بالكلام ويتوَسع فيه، ويُغْرِبُ به تكبراً وارتفاعاً، وإظهاراً للفضيلة على غيره.

ويحصـــل خلق الكبر بمعتقدات ثلاث هى : رؤية المتكبر لنفسه مرتبة، ولغيره مرتبة، ثم يرى نفسه فوق مرتبة غيره. وتنفخ هذه العقيدة فيه، فيحصل فى قلبه اعتداء، وهزة،وفرح.

والمتكبر يرى نفسه مستعظماً فيتكبر. فلا يتكبر إلا من استعظم نفسه، ولا يستعظمها إلا من اعتقد أن له صفة من صفات الكمال كمال ديـنى، وكمال دنيوى، والدينى هو العلم والعمل. والدنيوى هو النسب، والقوة، والمال، والجمال، وكثرة الأنصار.

ويحتقر المتكبر من دونه، ويزدريه، ويقصى نفسه عنه، ويبعده، ويـترفع عن مجالسته ومؤاكلته. ويرى أن حقه أن يقوم بين يديه، وأنه ينـبغى أن يتقدم على نظيره فى مضايق الطرق، بل يقول له : أنا أتقدم علـيك لأننى أعلى منك مرتبة، وأقدم منِك، مع أن خصمه، هو الأقدم، والأعلي درجة، ومؤهلاً، ويرتفع عليهِ فى المحافل.

وينـتظر المتكـبر أن يـبدأ خصمه بالسلام والتحية، فإذا أهمله الأخـير ناداه، واستفسر منه عن عدم تأديته التحية والسلام. وإذا حيَّاه الأخـير، ردَّ عليه التحية بفتور، وبأسوأ من تحيته وسلامه، وذلك كأن

يكتفى بإيماء رأسه، وكأن هذه هى التحية والسلام، مع أن الإسلام يحثنا على أنه إذا حُيّينا بتحية، فحيُّوا بأحسن منها أو ردوها.

ويظهــر الكِـبْر علــى لسان المتكبر، فيبدو فى حديثه المفاخرة والمــباهاة، وقوله مرة : أنا مدير عام، ومرة أخرى : أنا وكيل وزارة، مــع أنـــه لا هذا، ولا ذاك، ولو صحَّ كلامه لاستقر على واحدة منهما، ولما ظهر التناقض فى قوله.

ويتشــمَّر المتكــبر لغلــبة الغير فى العلم والعمل، ويجتهد فى المناظرة فى أن يغْلِب ولا يُغْلب، فيجادل ويحسن العبارة، لينتصر على الأقران، ويتعظم عليهم، ولا يعطى خصمه فرصه الرد على افتراءاته.

ويأنف المتكبر من أن يرد على خصمه. وإن وعظ استنكف من القبول، وإن نصح عنّف فى النصح، وإن رد عليه خصمه شيئاً من قوله غضــب، وإن علــم لــم يرفق بالمتعلمين، واستذلهم، وانتهرهم، وامتنَّ عليهم. وهو ينظر إلى العامة كما ينظر إلى الحمير استجهالاً واستحقاراً.

ويظهــر التكــبر فى نظر المتكبر شذراً، وإطراقه رأسه، وفى طــريقة جلوســه، وقيامه، وفى أقواله، وحتى فى صوته ونغمته، كما يظهر فى مشيته وفى تبختره، وفى حركاته وسكناته، وفى أعماله.

وقد يتفاخر المرء بما يتمتع به من الجمال، وهو أكثر ما يجرى بيــن النســاء وقد يتفاخر بما لديه من المال. والمال يجرى بين الملوك فى خزائنهم، وبين التجار فى بضائعهم، فيستحقر المتكبرُ الفقيرَ ويتكبر عليــه.

وهناك الكبر بالقوة، وشدة البطش، والتكبر على أهل الضعف، وقد يتكبر المتكبر بالأتباع، والأنصار، والتلامذة، والغلمان، والعشيرة، والأقارب، والنسب. ويجرى ذلك بين الملوك فى المكاثرة بين الجنود، وبين العلماء فى المكاثرة بالمستفيدين.

والعجب يدعو إلى الكبر، فإذا أُعجب المرء بنفسه، وبعلمه، وبعمله، أو بشئ من أسبابه، استعظم نفسه وتكبر، حتى أنه ينسى الذنوب التى اقترفها، وما يتذكره منها يستصغره ولا يستعظمه، فلا يجتهد فى تداركه وتلافيه.

ومن المتكبرين من يجمع هذا كله، ومنهم من يتكبر فى بعض، ويتواضع فى بعض. ومنهم من لا يمشى إلا ومعه غيره يمشى خلفه، بل يغضب إذا لم يحضر هؤلاء للمشى خلفه، ومنهم من يأنف من زيارة غيره، بل ويطلب منهم أن يقوموا هم بزيارته. ومنهم من لا يطلب الآخرين تليفونياً، ولكنه ينتظر منهم أن يتصلوا به للاستفسار عن أحواله وعن صحته، مع أن الزيارات والاتصالات التليفونية ينبغى أن تكون متبادلة. ومنهم من يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه، ويودُّ أن يجلس بين يديه.

وقد ذم الله سبحانه وتعالى الكبر، وكره المستكبرين. يقول سبحانه وتعالى : "إنه لا يحب المستكبرين" (النحل : ٢٣). ويقول تعالى : "ولبئس مثوى المتكبرين" (النحل : ٢٩). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قال الله تعالى الكبرياء ردائى، والعظمة إزارى فمن نازعني فيهما قصمته" (مسلم).

فـيا أيها المتكبر، لماذا الكبرياء، والفخر، والخيلاء. صحيح أن الإنســان أسمى الكائنات، وهو يتربع علي عرش السيادة على غيره من المخلوقات.

يقــول الله ســبحانه وتعالى : "ولقد كرّمْنا بنى آدم وحملناهم فى الــبر والــبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضــيلا" (الإســراء : ٧). فالله سبحانه وتعالى قد كرَّم بنى آدم بحسن القــوام، والــنطق، وتخير الأشياء، وأعطاهم العزة والكرامة، وفضّلهم على كثير من المخلوقات بالعقل والتفكير تفضيلا عظيماً.

ولكــن أيهــا المتكــبر، بتتكــبر على إيه، إنك أخس الأخساء، وأضــعف الضعفاء، ولدت نتيجة التقاء أحقر وأقذر عضو من أعضاء جســم الإنسان هو الحيوان المنوى للذكر، ببويضة الأنثى. ومنذ مولدك يخــرج مــن جسمك أقذر وأوسخ مادة، يخرج البراز، والبول. ويخرج المخاط من أنفك، وسائل قذر من أذنيك، وتبدو رائحة فمك الكريهة حين تستيقظ من النوم، ويخرج صديد من الدُّمل والفقاقيع.

لقــد ســلط الله علــيك أيها المتكبر الأسقام والآفات، من البلغم، والريح، والدم يهدم البعض من أجزائه البعض الآخر شاء الفرد أم أبى. يــريد المرء أن يعلم الشئ فيجهله، ويريد أن يذكر الشئ فينساه. يشتهى الإنسان الشئ، وربما يؤدى إلى هلاكه، ويكره الشئ، وربما تكون حياته فيه. يستلذ الأطعمة مع أنها تهلكه وترديه، ويستبشع الأدوية وهى تنفعه وتحييه. أما آخره فهو الموت.

فـيا أيهـا المتكبر، لماذا الكبر والاستعلاء ؟ عليك أن تستأصل أصـلهما بمعرفة ربك، ونفسك. فإذا عرف الإنسان ربَّه علم أنه لا تليق العظمـة والكبرياء إلا بالله. وإذا عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل، وأقل من كل قليل، وأنه لا يليق به إلا التواضع.

والتواضـع يكـون بالاحـتمال إذا سبَّك، أو أذاك أو أخذ حقك خصـم. وتمتع بالدنيا ولكن فى غير إسراف ولا مخيلة، قال صلى الله عليه وسلم : " كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير سرف ولا مخيلة . إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ". (رواه الترمذى)*.

*****

السَّفالـة

(٥٩)

الزمـن الماضى زمن جميل، تحلىَّ فيه الناس بمكارم الأخلاق. يُوقَـر فـيه الكبـير، ويُرحم فيه الصغير. كان الاحترام والحب والود أسلوب الحياة فى ذلك الوقت، مع التمسك بالفضيلة، والخصل الحميدة، والالتفاف حول التقاليد العريقة والتعاليم الإلهية للدين وشرائعه.

عـرف إنسـان زمان أن الله سبحانه وتعالى قد خلق له اللسان ليكـثر بـه ذكر الله تعالى، وتلاوة كتابه، ويرشد به خلق الله تعالى إلى طريقه، ويظهر به ما فى ضميره من حاجات دينه ودنياه. فإذا استعمله فـى غير ما خلق له، فقد كفر بنعمة لله تعالى فيه، ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.

---

* نشرت بجريدة الزمان بعنوان "ويل للمتكبرين"، بتاريخ ٢٠٠١/٣/٢٧، ص ٥.

عن أبى الدرداء رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلّم قال : " ما من شئ أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسْن الخلق. وإن الله يبغض الفاحش البذئ " (رواه الترمذى). والبذئُ هو الذى يتكلم بالفحش، وردئ الكلام.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال : تقوى الله وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل النار، فقال : الفم والفرج".

وفى الخبر : "إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها أصحابه فيهوى بها فى عقر جهنم سبعين خريفاً" (رواه الشيخان والترمذى).

ويحفظ المرء لسانه من :

١- الكذب.

٢- الخلف فى الوعد.

٣- الغيبة.

٤- المراء والجدال ومناقشة الناس فى الكلام.

٥- تزكية النفس.

٦- اللعن.

٧- الدعاء على الخلق.

٨- المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس.

أما مجتمع اليوم، فسبحان الله، ساد فيه حالة من السَّفه، والوقاحة والانحطاط الأخلاقى، والغفلة. والغفلة هى النسيان، نسيان من أنت ونسيان من تخاطب. وأصبح الواحد منهم من الذين لهم قلوب لا يفقهون

بهـــا، ولهـــم آذان لا يسمعون بها. يقول الله سبحانه وتعالى فيهم : "لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها".

فـــيا أيهـــا المــــرء -يا للى فى بالى- أنت واحد من الأنعام، بل أضـــل، أنت واحد من الغافلين الذين يقول فيهم سبحانه وتعالى : "أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون" (الأعراف : ٦).

أقـــول هـــذا بمناســـبة ما حكاه أحد الأصدقاء من أنه كلم أخته تليفونـــياً، فردَّ ابنها عليه قائلاً :" ألو "، قال الخال فى فكاهة تعوَّد هو، وأبـــناء الأخـــوات علـــيها، وأصبحت سمة مميزة له، قال : أنا موش عـــاوزك انت، أعطنى أمَّك. فردَّ ابن الأخت : أنت قليل الأدب، إنت ما حدّْش ربَّاك.

لـــم يرد الخال إعمالاً لقوله صلى الله عليه وسلم : " ليس الشديد بالصُّـــرعَة، إنما الشديد الذى يمسك نفسه عند الغضب " (متفق عليه). وطبقاً للحكمة القائلة : إذا كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب.

صحيح أن ابن الأخت لم يعرف أن المتكلم خاله، ولكن لماذا هذا الاندفـــاع والتسرع والتهور بالشتائم والسب، مع أن الخال لم يقل سوى أعطنى أمَّك. وهذه الأخيرة لغة عربية فصحى، أمَّال كنت تود أن يقول أعطـــنى مامـــا. وهذا يعنى أن الخال لم يخطئ، وكان يكفى أن تتريث قليلاً لتعرف من المتكلم*.

*****

* نشرت بجريدة أخبار إسكندرية والعالم، العدد ٦٥ بتاريخ نصف سبتمبر ٢٠٠١ ص ٢.

من حكاوى النوادى

(٦٠)

جلست فى النادى، وأذنى تركز على الإصغاء إلى ما يدور من أحاديــث بين جمع يجلس على الترابيزة التى بجوارى. وكانوا يتحدثون عـــن ظاهـــرة السرقة. قال أحدهم : أنهم -أى اللصوص- فتحوا شنطة سيارته، وسرقوا منها الاستن والكوريك.

وقـــال آخـــر ذهبت إلى سوق الجمعة، فوجدت أجهزة المحمول معروضة أكواماً فوق أكوام، وتباع بأقل من ثلث ثمنها، لأنها مسروقة. وفـــى القاهرة وفى شارع عماد الدين -أى بوسط القاهرة- وبالقرب من أحـــد المقـــاهى، تـــرى جمعـــاً كبيراً من بائعى التليفونات المحمولة، والمســـروقة، ومـــن جميع الأنواع وتباع بأسعار تدور حول ٣٠% من قيمتها الحقيقية. ليه – لأنها مسروقة.

وليؤمِّن البائعون أنفسهم من مراقبة ورصد رجال الشرطة لهم، وضـــعوا بعض الملاحظين والمراقبين من الأطفال ينذرونهم إذا وجدوا شخصاً غير مرغوب فى تواجده، فينطقون كلمة السر، وهى : لِمْ نفسك، فيختفى هؤلاء البائعون ببضاعتهم.

وتمتلـــئ الجرائد اليومية والأسبوعية بحوادث اغتصاب سيدات وآنسات، ويرجع هذا إلى البطالة، وعدم قدرة الشباب على تكوين أسر، وعدم تمكنهم من اكتساب لقمة عيش تسد رمق أعضاء الأسرة.

وخـــلال عام ٢٠٠٠ تم الإبلاغ عن عشرة آلاف حالة اغتصاب وهـــذا الرقم يمثل ٢% فقط من هذه الحالات التى حدثت فى نفس العام، والـــتى لم يبلغ عنها صاحباتها خوفاً من الفضيحة. (حسن شاه، الأخبار ١٥٢٦٩ بتاريخ ٢٠٠١/٤/٥).

ويقـــوم بهذه الجرائم فى غالبية الأمر أفراد لا تعمل، وقلّ منهم من يعمل ويرتكب هذه الجرائم.

أقـــول للكتاب ورجال الصحافة كلمة حق هى : لماذا لا تمسكوا أقلامكم وتدونوا الحقيقة، مهما كانت أليمة وموجعة، إنه لا يستطيع أحد أن يقـــول لأحـــد لا تقل آه، إذا كان ما فى جيبك لا يكفى ما فيه قوت يومك أو غدك، أمَّال حايعمل إيه، ويأكل منين.

فلـــنوجد عملاً لكل فرد من أفراد المجتمع، ويقع هذا على كاهل كل من الفرد والمجتمع، فالفرد عليه أن لا يلجأ إلى السهر ليلاً، والنوم نهـــاراً، بل عليه أن يسعى فى البحث عن عمل مهما كان متدنياً. أفليس خريج الجامعة يهاجر من بلده، ويعمل فى غسيل الأطباق فى البلد الذى هاجر إليه.

أمـــا المجتمع أو الدولة فعليها كذلك أن توجد عملاً لكل عاطل، إعمـــالاً لتعالـــيم الإسلام، والتى تحض على العمل الجاد والمفيد، الذى ترقى به الحياة ويعم الرضا بين الناس.

يقـــول سبحانه وتعالى : "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون" (التوبة : ١٠٥).

فهـــذه دعوة إلى العمل والإخلاص فيه وإجادته. ويقول سبحانه وعـــز وجـــل : "من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون" (النحل:٩٧).

فالله عز وجل يُثِيب العاملين المخلصين ليس فى الآخرة وحدها، ولكن فى الحياة الدنيا، حيث نُحْيِيه حياة طيبة.

والعمـــل شـــرف. وقد عمل الأنبياء بأيديهم .. داود، وسليمان، ومحمد عليه الصلاة والسلام. يقول سبحانه وتعالى : "ولقد آتينا آل داود مـــنا فضلا يا جبال أوِّبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعْمل سابغات وقـــدر فـــى الســـرد واعملـــوا صـــالحا إنـــى بمـــا تعملـــون بصير" (سبأ:١٠-١٣)[*].

*****

[*] أرســلت إلـــى أ.د. محمـــد عـــبد العال رئيس مجلس إدارة جريدة الأيام الجديدة فى ٢٠٠١/١٠/١٠. وأرســلت إلـــى أ. أحمـــد رجـــب رئيس مجلس إدارة جريدة أخبار إسكندرية والعالم فى ٢٠٠٢/٢/١ - ولم تنشر.

الفصل الحادى عشر

أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١

الثلاثاء الأسود

(٦١)

يا أمريكا أنت القوة الأعظم فى وقتنا الحالى. فقبل سقوط الاتحاد السوفيتى كان هناك نوع من التوازن بين قوتين عظيمتين. ولما سقط الاتحاد السوفيتى أصبحت القوة الوحيدة فى العالم. فليس هناك ضاغط لها، وراحت تهيمن وتسيطر على العالم وأخذت تدوس بأقدامها على الدول الأخرى، ولا تستخدم العدالة فى تعاملاتها مع الآخرين، وإنما تكيل بمكيالين. لقد تركت أمريكا إسرائيل تفعل ما تشاء، وتؤيدها تأييداً مطلقاً، مع أنها أى أمريكا راعية للسلام، وكان من المفروض أن تكون عادلة فى أحكامها.

انسحبت أمريكا من مؤتمر ديربل لحقوق الإنسان، وتبعتها إسرائيل، حين أحست بأن المؤتمر على وشك أن يدين إسرائيل بالعنصرية، ويتهمها بانتهاك حقوق الإنسان.

لو حدث نوع من المقاومة الفلسطينية، وقُتِلَ إسرائيلى،هاجت أمريكا، واتهمت الفلسطينيين بالإرهاب، مع أنهم يدافعون دفاعاً شرعياً عن وطنهم. وحينما ترد إسرائيل، وتستخدم العنف، وتقتل عشرات الفلسطينيين أيد وزير خارجية أمريكا – شارون رئيس وزراء إسرائيل على استخدامه القوة.

ضـــربوا ليبـــيا، ويقفـــون منها موقف العداء. ويهددون العراق ويهـــاجمون مدنه ومواقعه، ويناصبون العداء للصين، وكوريا الشمالية، ودول أمريكا اللاتينية.

اعلمـــى يا أمريكا أن فوق كل كبير كبير أكبر، وفوق كل عظيم عظـــيم أعظـــم، فالله وحده هو الكبير الأعظم الذى لا يعلوه كبير، ولا عظـــيم. ما حدث هو إرادة الله، وإرادته أن تذوق أمريكا مما يذوق منه الشعوب الفلسطينيون وغيرهم من الشعوب المستضعفة، وأن تشرب من نفس الكأس الذى يشرب منه المظلومون.

فى يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠١/٩/١١ قامت مجموعات إرهابية بخطــف ثمـــانى طائـــرات، تمكنت أربع منها من القيام بعمل انتحارى حطّمـــوا فـــيه مركـــز الـــتجارة العالمى فى نيويورك، والبنتاجون فى واشنطون، ومواقع فى بنسلفانيا، وكامب دافيد. ويرجع نجاح العملية إلى تراخى الأمن، وزيادة الثقة فى النفس.

حـــادث مؤسف حقاً لا يدخل فقط فى نطاق الإرهاب، بل يتعداه إلـــى أن يصبح عملية حربية، وواقعة مأساوية أصابت شعب الولايات المـــتحدة بالصـــدمة والذهول. فعلة ارتكبها قلة مأجورون، ويدفع ثمنها المجـــتمع بأســـره. حادثة راح ضحيتها آلاف من القتلى فى نيويورك، و٨٠٠ قتـــيل فـــى البنـــتاجون فـــى واشنطن، بالإضافة إلى ما أصاب الاقتصـــاد من أضرار، فقد هبط سعر الدولار فى العالم، وبنسبة ٣٠% بالنسبة للعملة الروسية. إنها حادثة مروعة يدفع ثمنها المجتمع الأمريكى من استقراره وأمنه وتنميته.

إن العـــرب علـــى وجـــه العمـــوم، وشـــعب مصر على وجه الخصـــوص يستنكر ويشجب الإرهاب، ويدين هذه الهجمات، ونعبِّر لكم عن تعازينا، فالقتلى لا علاقة لهم بما يفعله القادة.

صحيح أنه تم قتل أمريكان وغيرهم أبرياء، ولكننا نضيف أليس المدنـــيون الفلسطينيون الذين يقتلون فى فلسطين هم أيضاً أبرياء. فكيف تـــبررون قتل الفلسطينيين، وتدعون أنهم إرهابيون، وما هم بإرهابيين، بل هم شعب يكافح من أجل استرداد أرضه.

وتخـــبط الأمـــريكان فى معرفة هوية مرتكبى هذه الاعتداءات، فمـــرة قـــالوا إنها من تدبير أسامة بن لادن –المنشق السعودى– ولكن أسامة لم يخف عداءه لأمريكا، وإن كان قد نفى أى علاقة له بالحادث، ومـــرة ثانـــية أنها من صنع حركة طالبان فى أفغانستان. واتهموا ليبيا، ولقـــد تعرضـــت مـــن قبل لقصف أمريكى على طرابلس وسيرت عام ١٩٨٦، واتهمـــوا العراق، وما زالوا يحاصرونه، ويقذفونه بطائراتهم، واتهموا السودان وقد سبق أن ضربوا مصنعاً لهم للأدوية. وأعلنوا عن أســـماء، ثم تبين أنهم قد ماتوا من قبل الحادثة بأعوام، وأن أحدهم كان مقـــيماً بمكـــة، ولم يغادرها. واعترفت منظمة الجيش الأحمر اليابانية بارتكابها الحادث، ولكنهم غضوا النظر عن هذا الاعتراف.

فيا أمريكا تريَّثى فى إصدار حكمك. فقد اتهمت العرب بالهجوم على "أوكلاهوما"، ثم ثبت أن مرتكبى الحادث من الأمريكان*.

*****

---

* نشرت بجريدة أخبار إسكندرية والعالم، العدد ٦٩، نوفمبر ٢٠٠١ ص ١٠.

الآثار الاقتصادية لأحداث نيويورك وواشنطن

(٦٣)

أثــرت حادثــة ١١ ســبتمبر عام ٢٠٠١، وتدمير مبنى مركز الــتجارة العــالمى فى نيويورك، ومبنى البنتاجون فى واشنطن، وقيام حــرب فى أفغانستان على الاقتصاد العالمى، فركد الاقتصاد فى أوروبا والشــرق الأوسط وآسيا. وظهر مزيد من القلق وعدم وضوح الرؤية، وعدم التيقن مما سيحدث فى المستقبل، مما أدى إلى تأجيل كل القرارات الاستثمارية المهمة.

لقــد تعطلت عجلة الاقتصاد العالمى، وبصفة خاصة على بعض القطاعــات مثل حركة السياحة وحركة الطيران، فانخفض عدد السيَّاح، وتضاءلت حركة الطيران، مما أدى إلى إفلاس بعض شركات الطيران لعزوف الناس عن ركوب الطائرات.

حــدث هــذا على وجه الخصوص بالنسبة للاقتصاد الأمريكى والــذى تمــثل فى انخفاض عدد السياح، وتضاؤل حركة الطيران. هذا بالإضــافة إلى تكاليف النشاط العسكرى. فقد جاء فى برنامج الدراسات السياســية الأمنــية الــذى أجرته جامعة واشنطن أن حرب أفغانستان ستتكلف ما يتراوح بين ١٥،٢٠ مليار دولار، وأن التكلفة السنوية لهذه الحــرب ولأغــراض الطوارئ ٤٠ مليار دولار. وأضاف البرامج أن حرب الخليج تكلفت ٦٠ مليار دولار.

ولاشـك أن أمريكا تريد أن تعوض هذه الخسائر، وقد يؤدى بها ذلك إلى إلغاء المعونة أو تخفيضها، والتى تقدمها للدول والتى قد يكون من بينها مصر.

وفى كندا أوقفت شركة (كندا٣٠٠٠) ثانى أكبر شركات الطيران الكـندية كافـة رحلاتها اعتباراً من ٢٠٠١/١١/٩، وهى شركة كبيرة تحمل على متن طائراتها أكثر من ٥ ملايين راكب كل عام. وقد أفلست هذه الشركة، وألغت سفر الآلاف من الركاب فى الداخل والخارج. وفى سويسرا أفلست شركة سويسرا للطيران.

وفى مصر انعكست أحداث الثلاثاء الأسود على :

١- السياحة.

٢- الطيران.

٣- حركة التصدير.

وقـد أثرت أحداث نيويورك وواشنطن على حركة الاستثمارات فى مصر، وكان لهذا تأثير على الواردات.

وهكذا بعد أن كانت العولمة التى تعمل أمريكا على تواجدها، من المفـترض أن تقـود العالم إلى الازدهار، بدأت أمريكا تقود العالم إلى الانهيار*.

*****

* أرسـلت إلـى أ. عـادل حمـوده رئـيس حمـوده رئيس تحرير جريدة "الأمة" فى ٢٠٠١/١٢/٢٠، ولـم تنشـر. منك لله يا أستاذ/ عادل - ضيّعت على المقالة فرصة نشرها فى الوقت المناسب.

من المتهم

(٦٣)

أيهـا الأمريكان – ألصقتم تهمة أحداث نيويورك وواشنطن إلى أســامة بن لادن، وحركة طالبان، ومنذ مساء السابع من أكتوبر ٢٠٠١ بـدأت الضربة الأمريكية البريطانية والموجهة ضد معاقل ومعسكرات تدريب طالبان. فهل تحققتم من أن أسامة بن لادن قد قام فعلاً بتدبير تلك الحادثة، لقد جاء خبر من داخل أمريكا يقول : أن مركز التجارة العالمى والبنـــتاجون تم تحطيمهما بتمويل أمريكى (الجمهورية، العدد ١٧٤٤٩ فى ٢٠٠١/١٠/٦ ص ١).

وقــد يكــون خاطف الطائرة هو قائدها الأمريكى الذى يعرف طريقه داخل المطار، ومسلكه داخل الطائرة، فلماذا تغض أمريكا النظر عــن تلــك الأخبار، وقد ثبت لدى الأمريكيين أن الجمرة الخبيثة تمت بواسطة الأمريكيين أنفسهم.

ولمـــاذا لا تكــون إســرائيل ومخابراتها وراء أحداث نيويورك وواشنطون التى وقعت فى ٢٠٠١/٩/١١. فقد امتنع ٤٠٠٠ من اليهود مــن الــتوجه إلى مركز التجارة العالمى يوم الحادثة، وكان من المقرر زيــارة السفاح الصهيونى شارون رئيس وزراء إسرائيل لواشنطون فى هذا اليوم، وقبل الأحداث، ولكن تأجلت هذه الزيارة.

وقـــد أشـــار "دافــيد ديــوك" مرشح الرئاسة الأمريكية اليمينى المــتطرف، والمرشــح من أربع سنواتٍ إلى ذلك، وقال : إن إسرائيل كانــت وراء تورط أمريكا فى ضرب ليبيا بحجة أنها وراء مقتل اثنين

مـــن الأمريكييـــن فـــى برلين. وعلى ذلك فلا يستبعد أن تكون العزيزة إسرائيل لها يد فى أحداث نيويورك وواشنطن.

وإسرائيل لها سوابق فى هذا المجال، ولا يستبعد أن يحدث ذلك مـــنها. فـــى عـــام ١٩٤٨ كلفت شاب إسرائيلى يدعى "فيليب هرمان"، واسمه الحركى فى شبكة التخريب الإسرائيلى التى أرسلها الموساد إلى مصر "ناتاسو". وكلّف هذا العميل بحرق سينما ريو بالإسكندرية. وكان هدفه الثانى سينما راديو وريفولى بالقاهرة.

وفى نوفمبر ١٩٤٨ وقع أهم حادث تدمير عندما انفجرت سيارة ملغمـــة فى مدخل شركة الإعلانات الشرقية، وكانت الخسائر فادحة فى الممـــتلكات والأرواح. وســـعى الإسرائيليون عام ١٩٥٤ لنسف بعض المنشآت ذات المصالح الأمريكية فى مصر، وتم اكتشاف ذلك، وجاءت هـــذه الأحـــداث جميعها من أجل الوقيعة بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية.

وجاءت حادثة السفينة ليبرتى، والتى كان بها سبعة وستون من الجـــنود الأمـــريكان، والـــتى نسفتها إسرائيل عام ١٩٦٧، وهى سفينة تجسس أمريكية تمركزت أمام سواحل مصر لتساعد الإسرائيليين ضدنا. وكـــان الإســـرائيليون يعرفون هوية السفينة ومقاصدها. وقد قاموا بهذا العمـــل القـــذر من أجل أن يتهمونا بأننا الذين قمنا به، وذلك لمزيد من استعداء أمريكا ضدنا. وعلى ذلك فليس ببعيد أن يكون الإسرائيليون هم الذين ارتكبوا حادثة نيويورك وواشنطن.

لمـــاذا إذن يضـــرب الأمريكان أفغانستان ؟ إنهم يتذرعون بأن أهدافهم ضرب حركة طالبان، والقبض على أسامة بن لادن حياً أو ميتاً.

بينما مقصدهم هو احتلال أراضى أفغانستان بواسطة جيش برى المتمثل فى التحالف الشمالى المناوئ لحركة طالبان، مع تمهيد بنيران الطيران من جانبهم، بمعنى أن الأفغانيين يقاتل بعضهم بعضا، ويحتل الأمريكيون قواعد للسيطرة منها على منابع البترول فى آسيا، وعمل حاجز بينهم وبين روسيا والصين. بمعنى ظهور نمط جديد من أنماط استعمار القرن الواحد والعشرين.

وقد حدث هذا بالضبط فى حرب الخليج الثانية، حينما ضربت قوات التحالف الدولى برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية العراق، وقامت القوات البرية العربية بطرد القوات العراقية من الكويت، وإعادة الكويت إلى أصحابها، وأقامت أمريكا قواعد لها فى منطقة الخليج*.

*****

الإرهاب الأمريكى

(٦٤)

توجه أمريكا ودول أوروبا التهم للعرب والإسلام والمسلمين باعتبارهم مصدر الإرهاب. والحق أن الإسلام لا يعرف الإرهاب بل ويدينه بجميع صوره.

يا سادة، إن مصدر الإرهاب ليس العرب والمسلمين، وإنما أمريكا والأمريكيون، فأمريكا هى التى شجعت الإرهاب وأطعمته وسلَّحته.

---

* نشرت بجريدة "اللواء العربى"، العدد ٢٨٥، بتاريخ ٢٠٠٢/٩/١٨، ص ٢.

ولم يكن ذلك وليد اليوم فقط، بل يمتد إلى عشرات السنين، ومنذ بداية حياتهم والتى كانت تقوم على أساس التفرقة العنصرية بين البيض والـزنوج، فهـناك أحـياء للبيض، وأخرى للزنوج، ومدارس للبيض، وأخرى للزنوج، ومطاعم للبيض، وأخرى للزنوج.

واختفـت ظاهرة التفرقة العنصرية، وحل محلها الإرهاب التى يمـارس فـى أمريكا فى ظل الدول تارة، وفى ظل جماعات ومنظمات إرهابية تارة أخرى، ويقوم به أفراد أحياناً.

فلقـد سـاندت أمريكا إسرائيل فيما يعرف بإرهاب الدولة الذى تمارسـه إسـرائيل ضد الفلسطينيين. وفى أمريكا ٢٤ منظمة إرهابية، وتعـرَّض الأمريكـيون العرب لأكثر من ٢٥٠ حادثة حتى الآن. وهى اعتداءات تتراوح بين الضرب والتعذيب والقتل والتهديد.

إنهـم يردِّدون دائماً شعار حقوق الإنسان. ولكن هناك فارقاً بين اللغة التى تقال، والسلوك الفعلى والواقعى الذى يعبر عن هذه الحقوق، وهل من حقوق الإنسان أن يتعرض شاب عراقى للتعذيب فى بيتسوريا بولايـة ماساشوسيتس - كما ذكرت محطة "إس إن إن". وتعرض آخر لضرب النار عليه ولقى حتفه فى محطة وقود بباريزونا.

وذكر أحد الأمريكيين المسلمين أن المسلمين امتنعوا عن الذهاب إلـى المسـجد لأداء الصـلاة، بـل ولم يتمكن الأبناء من الذهاب إلى المدرسة، لأن كثيراً من المدارس قد أغلقت.

واضطر الشيخ محمد جميعه إمام المركز الإسلامى فى نيويورك إلى الفرار بعائلته من المدينة عائداً إلى القاهرة، على أثر اقتحام بعض الأمريكييـن منزلـه، وهـدَّدوه بالقتل هو وزوجته وأولاده. وكان أبناء

الشيخ، وهم طفلان ٧،٥ سنوات، وطفلة عمرها سنتين يلعبون فى حديقة مبنى المركز، فتعرض لهم أمريكى مجهول، وهدَّدهم بكلمات وإشارات بيديه، ودبَّ فيهم الذعر، وتطور الأمر عند أصغر الأطفال، حتى صار يستيقظ كل ليلة طوال أربعة أيام باكياً من كابوس مخيف.

وردحت إحدى الأمريكيات لأحد المسلمات، وقالت : لقد ضربتم أهم مبنى عندنا، مبنى التجارة العالمى، وهو رمز أمريكا. وفى المقابل فإنــنا سوف نحطِّم فوق رؤوسكم مبنى، هو رمز الإسلام، مبنى الكعبة بمكة.

وهل من حقوق الإنسان أيها الأمريكيون أن تلتف خمس سيارات حــول ســيارة عليها إشارة "مصر"، ويخرجون سائقها المصرى، وهو طالــب، ويأمرونه برفع يديه إلى أعلى، كما لو كان مستسلماً، وأخذوا يفتشونه بطريقة مزرية، ثم تناولوا ما معه من كتب، وأخذوا يتفحصونها بطريقة مزرية.

وفى لوس أنجلوس أطلق الأمريكيون النار على شاب مصرى لا تربطه بحوادث نيويورك وواشنطن أية صلة.

وانتقلــت العدوى إلى هولنده، وهى بعيدة كل البعد عن أمريكا، تعــرض المســلمون لسلسلة من الهجمات الشرسة، وتم حرق وتحطيم عدداً من المساجد. ووقعت حوادث مشابهة لذلك فى النمسا وبعض البلاد الأوروبية.

مــن هــو الإرهــابى إذن ؟ هــل هم العرب والمسلمون ؟ أم الأمريكيون والأوروبيون ؟

والحــق أنــنا نؤيــد مــا فعلته أمريكا وإنجلترا من حرب ضد الإرهاب، وقولوها قولة صدق حرب ضد شعب أفغانستان، شعب يعيش فى حالة بؤس، ويحارب رجاله، وهم حفاه. ولكن الهجوم كان ينبغى أن يكون بأمر وإشراف من الأمم المتحدة*.

*****

الجهاد والإرهاب

(٦٥)

خلــط العرب بين الجهاد والإرهاب، مما يستدعى، وكما قال – حســنى مــبارك– ضــرورة عرض هذا الموضوع على مؤتمر دولى لوضع تعريف للإرهاب.

إن الجهــاد والإرهــاب يشتركان فى خاصية هى استخدام القوة والعنف. ولكنهما يختلفان من حيث أن استخدام القوة والعنف فى الجهاد عمــل مشــروع. وإذا دافــع شخص عن نفسه –مثلاً– كان هذا العمل مشــروعاً. أمــا اســتخدام القــوة والعنف فى الإرهاب فهو عمل غير مشروع.

ولكن من الذى يستطيع أن يقرر ذلك. أعتقد أن تعريف الإرهاب هو السبيل الوحيد للتفريق بين الجهاد والإرهاب. فالإرهاب يحمل شعاراً هــو : ارهب عدوك، وانشر قضيتك، واستخدم أقل قدر من العنف فى سبيل نشر قضيتك. صحيح أن يقتل ويفجر، ولكن ليس هذا هو الهدف، وإنما القصد هو عمل دعائى ضخم، هو بث الرعب والخوف.

---

* نشرت بجريدة "الزمان"، العدد ٧٤ بتاريخ ٢٠٠٢/٢/١٩، ص ٥.

إن احـــتلال إســـرائيل لأراضــــى فلسطين، أو لأراضى السلطة الفلســطينية والـــتى احتلت منذ عام ١٩٦٧، والمقاومة الفلسطينية لهذا الاحـــتلال، هـــى جهاد، وعمل وطنى مشروع، ومقاومة للاحتلال، من أجـــل استرداد أرضهم، والتى كانت أصلاً أرضهم، واسترجاع أموالهم، ومقدساتهم والحفاظ على أنفسهم. وبالتالى لا تندرج تحت بند الإرهاب، وليست إرهاباً.

فحيـــن يقـــوم أحدهـــم بعملية استشهادية، فإنما يقوم بالدفاع عن وطنه، وأرضه، وماله ومقدساته. وعمله هذا مشروع.

وشـــجاعة الانتفاضـــة الفلســطينية هـــى التى وضعت القضية الفلســطينية فـــى موقعها الصحيح. وأعمال الانتفاضة لا يمكن وصفها بالإرهاب، فهى عمل مشروعا طبقاً للقانون الدولى.

أمـــا مـــا قامـــت بـــه إسرائيل من مجازر جرت فى بيت ريما وغـــيرها، وقصـــف لمـــدن وقـــرى فلســطينية بالمدافع والصواريخ والطائرات، وقصف وحرق للمساجد، وتصفية للكوادر الفلسطينية، فهو الإرهاب بعينه، إنه إرهاب الدولة.

إن تفجـــير الســـفارتين الأمريكتين فى نيروبى فى كينيا، ودار الســـلام فـــى تنزانـــيا فى أغسطس عام ١٩٨٨، ولقاء أكثر من ٣٠٠ شخص مصرعهم، وإصابة خمسة آلاف آخرين هو عمل إرهابى. واحنا مع الحق، والحق يقال.

أمَّا ما تقوم به أمريكا تحت ستار من ادعاءات زائفة، وشعارات بـــراقة – هى مقاومة الإرهاب. فهذا كذب وادعاء، وإنما هو الإرهاب بعينه.

ولاشك أن أمريكا لها مآرب أخرى غير أسامة بن لادن، وحركة طالـبان. فهى تبغى تواجدها فى أفغانستان، وتودُّ وجود قواعد لها فى آسـيا. وهـى قد قامت بنفس هذا الدور عام ١٩٩١، فبحجة الدفاع عن الكويـت، وطـرد القوات العراقية منها، اتخذت قواعد لها فى الخليج. وهذا هو ملامح الاستعمار فى القرن الواحد والعشرين.

وعلـى ذلك فالإرهاب هو ما تقوم به إسرائيل فى فلسطين، وما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية فى أفغانستان، مما نتج عنه خروج جنازات فى فلسطين، وحدوث حرائق فى قندهار. والمسئول عن الأزمة فـى فلسـطين ليسـس عرفات، وإنما شارون الذى اقتحم ودمر البنية الأساسية للأراضى الفلسطينية.

وعجـباً -بعد ذلك كله- أن يرفض الرئيس بوش مقابلة الرئيس عـرفات بحجة أن الرئيس عرفات لم يقف موقفاً حازماً إزاء الإرهاب الفلسطينى ضد إسرائيل.

اعلمـوا يا سادة أن عدم حل المشكلة الفلسطينية هو السبب فى الإرهاب. ولهذا فلابد من حلها. وإذا ما ضربتم الجهاد بالإرهاب، وقتلتم أسـامة بن لادن وبطانته، فسوف يظهر لكم آلاف من الأفراد، وأجيال أخرى تقوم بعمليات جهادية أخرى*.

*****

* نشرت بجريدة "الرأى العام"، العدد ٧٢٢ بتاريخ ٢٠٠٢/١٠/١١، ص ٤.

الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية

(٦٦)

صرح سيلفيو بيرلسكون رئيس الوزراء الإيطالى بأن الحضارة الغربية تفوق الحضارة الإسلامية، بل وأرقى منها. وهى تصريحات سلبية فيما يتعلق بالحضارات، تصريحات تشعل الشعور بالمهانة، مما قد ينتج عنه آثار خطيرة.

وقبل أن ندخل فى تفاصيل نتساءل عن موسولينى، والألوية الحمراء فى إيطاليا. وعن هتلر، والنازيون فى ألمانيا، والذين امتلأت عهودهما بالإرهاب والعنف. هل هم ينتمون إلى الحضارة الإسلامية أم الحضارة الغربية.

لقد نادى الإسلام بالإخاء بين الشعوب والحضارات، ولم يقرّ صراعها، يقول الله سبحانه وتعالى : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ".

ومن آداب الحرب فى الإسلام عدم قتل غير المحاربين ميدانياً مثل النساء والأطفال والشعوب والمتعبدين فى صوامعهم من أى دين. وهذا وحده ينفى صفة الإرهاب والعنف والتطرف عن الإسلام.

يقول العلامة "جوستاف لوبون" فى كتابه "حضارة العرب" : إذا قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد أعظم من عرفهم التاريخ. فالإسلام بعيد عن التعصب الدينى، هو دين المحبة والسماحة والرحمة. وفى ظله عاش غير المسلمين من الملل الأخرى دون إكراه أو قهر. وسمى القرآن غير المسلمين بأهل الكتاب تمييزاً على من سواهم من الكفار والمشركين، وأفسح المجال لمعاشرتهم.

أيـــن هذا مما تفعله أمريكا والأوروبيون فى العرب والمسلمين.

إن أمـــريكا هـــى أم الإرهـــاب، ثم تلصق هى والأوروبيون الإرهاب والــتطرف بالعـــرب والمســلمين، بعـــد حادثـــة الـــثلاثاء الأسود فى ٢٠٠١/٩/١١.

بعـــد الحادثة، وفى نفس الشهر قام إرهابى أمريكى بقطع رقبة ســـائق أوتوبـــيس، وأودى بحـــياة جميع ركابه، وفى انديانا دخل أحد الســـجناء السجن، وأحرق ٤٠٠ مسجون، وهم أحياء. وروى أن هندياً كان فى طريقة إلى ركوب سيارته، فضربوه بالرصاص، وخرَّ صريعاً. وفـــى مديـــنة نيويورك تأخر عربى مسلم فى عمله، وحين عودته إلى منزلـــه، ظهر اللصوص، وأجبروه على خلع ملابسه، واستولوا على ما معه من نقود وساعة وخلافه.

وفى إنجلترا تم إحراق مسجد الهازار فى منطقة ساوث شيلدز. وفـــى إيطاليا ودول أوروبية أخرى تم إغلاق المساجد الإسلامية. فهل أغلـــق المســـلمون أو أحـــرقوا الكنائس المسيحية كما فعلت الحضارة الغربية. فأى حضارة إذن تفوق الحضارة الأخرى.

إننا إذا كنا ندين ونشجب حادثة الثلاثاء المفجعة، فإننا كذلك ندين ونشـــجب الغوغائية الأمريكية، وقد تحولت الولايات المتحدة الأمريكية بعـــد هجماتها على أفغانستان من مجنى عليه إلى معتد على الآخرين، وتضرب شعباً يقاتل جنوده، وهم حفاه.

وراحـــت أمـــريكا تهـــدد بأنها بعد أن تنتهى من مهمتها، سوف تلتفـــت إلـــى العراق والتى ضربتها مرات ومرات، وإلى السودان، وقد ســـبق أن دمـــرت لها مصنعاً للأدوية، وإلى ليبيا، وقامت بضربها ذات مرة، وهددت كذلك سوريا واليمن وإيران باعتبارها صادر للإرهاب.

وعجباً أن تكرس دولة عظمي قوتها ضد فرد هو أسامة بن لادن. فيا أيها الأمريكيون – كفى ظلماً، وما تفعله أمريكا ليس بسلوك دولة عظمى، وليس بإرهاب فقط؛ ولكنه هَمَجِيَّة وفتونة، وعلاج الإرهاب لا يكون باستخدام القوة، وإنما بإزالة الظلم الذى وقع على المستضعفين من سكان العالم.

إن التاريخ يقول : أن الأمم تصل إلى أقصى قمتها وعظمتها وازدهارها، ثم تنقلب على أعقابها، وتهوى إلى أسفل السافلين، ويبدو أن نهاية أمريكا قد اقتربت، وتمر بنفس المراحل التى مرت بها دول عظمى فى العالم.

وقد يأتى ذلك على يد دولة أقل شأناً، وأدنى منزلة، وأقل حضارة، فتنتقص مكانتك، وتزول حضارتك*.

*****

الحضارة الإسلامية

(٦٧)

للحضارة الإسلامية فضل على الغرب. فقد ظلت الثقافة العربية مصدراً مهماً لرقى ثقافات الشعوب الأخرى فى وقت من الأوقات. وكان الفلاسفة والمفكرون العرب هم أفضل من جاءوا فى هذا الزمان.

وقد اعترفت فرنسا بهذه الحضارة، ففى مدخل السوربون بباريس وضع تمثالان أحدها لابن رشد، والآخر لابن سينا. وتخصص الجامعة الفرنسية أرفع وسامين باسمهما اعترافاً بفضلهما.

---

* نشرت بجريدة "أخبار إسكندرية والعالم"، العدد ٧٤، فى ٢٠٠٢/٢/٤،والعدد التالى مارس٢٠٠٢.

وتتميز الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع بأنها أول تشريع وتنظيم يضع مجالاً للعقل، ومجالاً للعلم ومجالاً ثالثاً للدين، دون أن تخلط بينها، فكل له مجال فى تطبيقه.

يقولون أننا نعيش فى عصر صراع بين الثقافات، والإسلام لا يؤيد هذا الرأى، بل يؤمن بوجود حوار وتلاق بينها، كل حضارة تلتقى وتستفيد وتأخذ من الحضارات البشرية الأخرى. فلقد ارتقى الأدب الفرنسى بعد أن تلاقى مع الأدب الإنجليزى فى منافسة. الكل ينهل من بعضه، من أجل الوصول إلى مستويات أفضل. وينطبق هذا على الأدب العربى، فلا صراعات إذن، وإنما سيستفيد الأدب العربى من ازدهار ثقافات الشعوب الأخرى. وهم يدَّعون أن الحضارة الإسلامية تفتقر إلى الديمقراطية، والتعددية الحزبية، ولا تهتم بحقوق الإنسان.

يا سادة إن العرب والإسلام هما اللذان أبدعا الديمقراطية، إن الشورى فى الإسلام هى الديمقراطية. يقول الله سبحانه وتعالى : "والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون " (الشورى:٣٨). ويقول سبحانه وتعالى : "وشاورهم فى الأمر".

وأما عن حقوق الإنسان، فالإسلام هو الدين المؤهل ليحمى البشرية جمعاء، وهو الراعى لحقوق الإنسان. فالإسلام دين الرفق، ودين الرحمة، يقول الله سبحانه وتعالى : "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".

لقد توخىَّ الإسلام الرحمة حتى فى التكاليف الدينية، فالصلاة هى خمس صلوات فى اليوم، وكان من الممكن أن تكون خمسين صلاة.

وتتمــثل الــرحمة فى حثّ الإسلام المسلمين أن يتوخوا الرحمة عــند ذبــح الشـــاة، ويرحموها، وأن يسقوا الكلب الذى يلهث من شدة العطش. ونهى الإسلام عن القسوة والنزاع سواء أكانت قسوة اللسان أو قسوة العقل.

والإســـلام ديــن السماحة والمودة والعطف، فقد شاهد عمر بن الخطاب رجلاً يسأل الناس، فأمر بأن يخرج له مالاً من بيت المال.

وأمـــر الله ســبحانه وتعــالى المســلمين بأن يتعاملوا مع غير المسلمين فى مودة ورحمة وسماحة.

أما مبدأ حقوق الإنسان الذى اتخذته الولايات المتحدة رمزاً لها، فقد تذرعت به لضرب الشعوب بحثاً عن شخص واحد أو مجموعة من الأفراد. إن حقوق الإنسان تصبح بلا معنى ملموس إذا لم يتوفر للإنسان حــياة كــريمة مســتقرة آمنة، فأين هو الاستقرار والأمان الذى يعيشه الإنســـان الأمــريكى فـــى مــدن أمريكا. فى نيويورك -مثلاً- يخرج اللصــــوص، وهم مسلحون بالأسلحة البيضاء، وأما تخرج ما فى جيبك، وإلا ...

لقـــد اعـــترف الأمريكـــيون أنفسهم بتفوق الحضارة الإسلامية، وإقراراً منهم بذلك تزايد اعتناق الدين الإسلامى بين الأمريكيين إلى ٢٥ ألف شخص سنوياً. وأعلن نهاد عوض رئيس مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية أن أكثر من ٢٤ ألف أمريكى قد اعتنقوا الدين الإسلامى عقب أحـــداث ســبتمبر ٢٠٠١، وأصبح عدد المسلمين فى الولايات المتحدة الأمريكـــية ســبعة ملاييــن مســلم، وذلك بعد أن قرأ الأمريكيون عن

الإسلام، والقرآن الكريم، ولحاجتهم إلى الأمان، والاطمئنان النفسى. ولو كان الإسلام دين إرهاب لما فعلوا ذلك*.

*****

الشورى في الإسلام هي الديمقراطية

(٦٨)

الشورى والديمقراطية وجهان لعملة واحدة، فالديمقراطية لم تكن بدعة ابتدعها الغرب، وإنما هى خلق إسلامى تجلى فيما يعرف بالشورى، وإذا كانت الديمقراطية فى جوهرها هى تنفيذ إرادة الأغلبية، فإن الشورى ليست كلمة تفضل من الحاكم وإحسانه، وإنما هى حق الأمة حتى لا تساق كالقطيع. وهى تتحقق بوجود الرأى الحر، والكلمة الشجاعة بين أبناء الأمة جميعاً.

وقد دعى الإسلام إلى الشورى. يقول الله سبحانه وتعالى : "والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون" (الشورى : ٣٨). فالذين أجابوا دعوة خالقهم، وآمنوا به، وحافظوا على صلواتهم، وكان شأنهم التشاور فى أمورهم لإقامة العدل فى مجتمعهم.

ولما نزلت الآية : " وشاوِرهمْ فى الأمر " (آل عمران : من الآية ١٥٩)، قال النبى صلى الله عليه وسلم : " أما إن الله ورسوله

---

* أرسلت إلى أ. خالد عبد الحميد رئيس تحرير جريدة الأنباء العربية فى ٢٠٠٢/١/١٠، ولم تنشر.

لَغَنِــيَّان عنها، ولكن الله جعلها رحمة لأمتى، فمن استشار منهم لم يعدم رشداً، ومن تركها لم يعدم غيًّا.

وهكــذا كانــت الشورى والمبدأ الديمقراطى الأساس فى السنة المحمديــة كلها، يقول أبو هريرة رضى الله عنه : ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تشاور عليه الصلاة والسلام مع نفر من أصحابه، وعلى رأسهم "علــى بــن أبى طالب" و"أسامة بن زيد" و"زيد بن حارثة"، فيما يتعلق بحياته الخاصة. فحين أرجف بعض المرجفين بحديث الإفك الذى أرادوا بــه أن يــنالوا من طُهْر السيدة "عائشة" رضى الله عنها. وفى ظل هذه المشــورات راح يفكــر فــى الأمــر حتى نزل الوحى يُدْحض أكذوبة المُتَقَوِّلين، معلناً تنزيه أم المؤمنين "عائشة"، ونقائها، وتقاها.

وفــى مواطــن العُسْــرة كالحــروب والغزوات، كان أمره مع الشــورى. ففى غزوة بدر، تشاور عليه الصلاة والسلام، وهل يعسكر جــيش المســلمين أمام البئر أم خلف البئر .. ونزل عند رأى الأغلبية. وبعد الانتصار نزل عند رأى الذين رأوا أن يأخذوا الفدية عن الأسرى، وكان هذا رأى جمهرة أصحابه، ومنهم أبو بكر.

وفــى غزوة أحد – رأى عليه الصلاة والسلام أن يبقى الجيش داخــل المديــنة، ولا يخــرج خارجها للقاء جيش قريش. وقالت أغلبية الصحابة بضرورة الخروج إلى الجبل. وقد تخلى الرسول عليه الصلاة والسلام عن رأيه الثاقب، واجتهاده الواعى، ورؤياه الصادقة نزولاً على رأى الأغلبية من أصحابه.

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، خرجت النساء للمشاركة فى بيعة العقبة الأولى، وبيعة الرضوان.

هذا ولم يأت عمر بن الخطاب إلى الحكم بانقلاب عسكرى، وإنما جاء بالانتخاب.

وكان للنساء حضورهن المشهود فى مختلف مجالات الحياة : من مجالس العلم، إلى الحسبة، وميادين القتال، وقد منحن الإجازات (شهادات الصلاحية والتخرج) لأكابر العلماء والفقهاء.

ومن مظاهر الشورى فى الإسلام ما رواه عبد الرحيم محمد متولى الشعراوى من أن أباه سافر إلى أمريكا بحجة العلاج، وكان الرئيس محمد أنور السادات على مقربة من إقامته عندما سافر لتوقيع معاهدة كامب دافيد (معاهدة السلام)، والتى لم يرسل الشيخ الشعراوى برقية تهنئة للرئيس مثلما فعل الوزراء. ولما سأله السادات لماذا لم ترسل أية برقية. قال له : أنا مع حقن الدماء، ومع السلام .. ولكن ضد التصرف الواحد. فهل أخذت رأينا فى المعاهدة حتى نبارك لك عليها*.

*****

الحضارة الإسلامية
والحضارة الغربية
(٦٩)

يا من تجهلون عراقة وأصالة الحضارة الإسلامية، ألفت نظركم إلى أن هذه الحضارة قد برزت خلال فترة العصور الوسطى، وهى

---

* أرسلت إلى "الجمهورية"، وإلى "حديث المدينة"، ولم تنشر.

فترة تبلغ ألف سنة من القرن الرابع إلى القرن الخامس عشر. وقد وقع فيها العالم الغربى فى ظلام حالك من الجهل، ونضوب المعارف، وأصبح الناس كما كانوا فى الجاهلية. وكان كل من يتجرأ على التلفظ بكلمة علم أو نظرية جديدة يجازى بالقتل حرقاً. وقد عُدَّ من أحرق من العلماء والمؤلفين المفكرين فى أوروبا لذلك العهد فبلغ نحو ثلاثمائة ألف وخمسين.

وفى نفس تلك الفترة، كان العلم مزدهراً فى البلاد العربية، فقد ترجم العرب أهم المؤلفات اليونانية. وتجلى الفن الإسلامى فى العمارة والتصوير والخط والتذهيب والنحت والحفر على الخشب والرخام والعاج، وصنع وتشكيل التحف المعدنية والأسلحة والدروع، وصياغة الذهب وصناعة الخزف وعمل الزجاج والبللور والنسيج والأقمشة ذات الزخارف المنسوجة بالألوان والمطرزة بالحرير، والأبسطة والسجاجيد.

وعلّم العرب الأوروبيين لعبة الشطرنج، وكانوا من عشاق الشعر، ولهم مجالات زاهرة فى الأدبيات الفلسفية، وعرفوا الموسيقى، وكان الفارابى أعظم علماء العرب الذين كتبوا فى الموسيقى، فقد وضع التعاليم الصوتية. ثم جاء ابن سينا فهذّب هذا العلم وألّف فيه.

وقد نقل طلاب المعرفة فى أوروبا كتب الجبر والهندسة التى ألفها العرب إلى اللغة اللاتينية.

ولما ولى الخلافة أبو جعفر المنصور (من سنة ٧٥٣-٧٧٥) نقل عاصمة البلاد إلى بغداد. ولم يأل جهداً فى بذل الوسع فى درس العلوم الفلكية. وحاول العرب إزالة الستار عن بعض القوانين للسيطرة

علـــى ظواهـــر الكـــون. وأجروا التجارب للتحقيق من صحة قياساتهم وإرصـــادهم. واســـتعملوا فـــى أبحـــاثهم الفلكـــية الآلات المدرجـــة والاسطرلابات (آلات لقياس الكواكب).

وفـــى هـــذا اختلف العرب عن اليونان، لأن العرب لم يقفوا فى حـــدود العلـــم النظرى، بل تابعوا المنهج حتى وصلوا به إلى التطبيق. ومن هنا اتسم علمهم بالموضوعية والمنهجية.

وأسس العرب مدارس الطب. وقد برع الرازى (توفى عام٩٢٥) فـــى هذا المجال فقد ترك ما يقرب من مائتى مؤلف فى الطب والفلسفة والديـــن والعلوم الرياضية. ويعتبر كتابه "الحاوى" من أهم ما كتب فى الطب. وظل الكتاب يترجم إلى اللغة اللاتينية حتى عام ١٥٤٢، ويدرس فى أوروبا.

وكـــان ابن سينا (٩٨٠م) فخر الأطباء العرب. وقد نشر لكتابه المشـــهور فى الطب (القانون) طبعات تناهز الثلاثين، كان آخرها عام ١٦٦٣. وأصبح هذا الكتاب مرجع الدراسة للطب فى أوروبا. كما كان لابن سينا أبحاث فى مجال الفلك والرياضيات.

واكتشف ابن النفيس الدورة الدموية، ووصفها وصفاً علمياً دقيقاً. وبـــرع ابـــن الهيثم فى الرياضيات والطبيعيات والطب. وكان أول من شـــرح تركيـــب العيـــن وكـــيف تعمل. ونجح أبو القاسم فى العمليات الجراحية وغيرها.

وفـــى ميدان الصيدلة كانت قوى الأدوية تعرف بطريقتين هما : الـــتجربة والقياس، مع تقديم التجربة على القياس، وهو الاستدلال على

قـوى الأدويـة مـن مـثل : الطعم والرائحة واللون وسرعة الانفعال وبطئه*.

*****

الطبيعة والكيمياء في الحضارة الإسلامية

(٧٠)

ردًا علـى ادعـاءات بعـض الغربيين الذين يزعمون تفوق الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية أورد هنا بعض الملامح عن علمـى الطبـيعة والكيمـياء فى العصور الوسطى وفى ظل الحضارة الإسلامية التى فاقت حضارة الغرب، حيث كانت هذه الأخيرة فى حالة ظلام حالك، وجهالة.

لقـد ألّـف العـرب الكتـب العديـدة فـى مجـال الميكانيكا والايدروستاتيك (علم موازنة السوائل وضغطها على جدران أوعيتها)، ونظـريات الضوء والأبصار. واستخدموا فى دراستهم التجربة والنظر بواسطة الآلات.

وكـان العـرب أول المكتشـفين لعلم الكيمياء. فجابر بن حيان هو الذى وضع أساس هذا العلم. وقد استخدم بن حيان قياس الغائب على الشـاهد فى مجال الكيمياء. وهو بهذا يلتقى مع أصول المنهج التجريبى الحديـث فى فكرة الاحتمال، إذ أنه لا يجوز الحكم على ما لم يشاهد إلا على سبيل الاحتمال.

---

* أرسلت إلى أ. محمد الشهاوى جريدة "الرأى العام" فى ٢٠/٣/٢٠٠٢، ولم تنشر.

ويتلخص منهج العرب فى مجال الكيمياء فى استخراج علة الشئ أو سببه، ثم تلمسه فيما قد يشبهه من الأشياء المجهولة. فإذا تأكد الباحث من اشتراك المعلوم والمجهول فى علة واحدة، قاس الثانى على الأول فى حكمه المنبثق من تأثير العلة فى المعلول.

واستخدم العرب كذلك الميزان فى العلوم الكيميائية. وكانوا أول المكتشفين لآلات التقطير والإسالة (إسالة الجوامد)، والتقطير*.

*****

* أرسلت إلى د. محمد عبد العال رئيس مجلس إدارة "الأيام الجديدة"، فى ٢٠٠١/١٢/١، ولم تنشر، وكثر خيرك.

للمؤلف

١- الاستعمار فى القرن العشرين. الإسكندرية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.

٢- الادعاءات الصهيونية والرد عليها. الإسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤.

٣- المدينة – دراسة فى علم الاجتماع الحضرى. الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الخامسة، ١٩٨٩.

٤- دور المتغيرات الاجتماعية فى التنمية الحضرية – دراسة فى علم الاجتماع الحضرى. الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤.

٥- بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور / عبد الهادى الجوهرى. دراسات فى علم الاجتماع الحضرى. د.ن. ، ١٩٩٤.

٦- بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور / عبد الهادى الجوهرى. علم الاجتماع الحضرى – مفاهيم وقضايا، دار الشروق، جامعة القاهرة، ١٩٩٧.

٧- مشكلات المدينة – دراسة فى علم الاجتماع الحضرى. الإسكندرية، المكتب العربى الحديث، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢.

٨- بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور / عبد الهادى الجوهرى. دراسات فى علم الاجتماع الحضرى (مشكلات المدينة)، الإسكندرية، المكتبة الجامعية، ٢٠٠١.

٩- تخطيط المدن. مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٤.

١- علم الاجتماع الريفى – المكتب العربى الحديث، ٢٠٠٣.
١- علم الاجتماع وميادينه. الإسكندرية، المكتب العربى الجامعى الحديث، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٠.
١- المجتمع – دراسة فى علم الاجتماع. الإسكندرية، المكتب العربى الجامعى الحديث، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٢.
١- ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمى. الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١.
١- العلم والبحث العلمى. دراسة فى مناهج العلوم. الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة السابعة، ٢٠٠٤.
١- أصول البحث العلمى. الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٣.
١- فى مناهج العلوم. الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٣.
١- المجتمع والتصنيع – دراسة فى علم الاجتماع الصناعى، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٥٥.
١- الاقتصاد والمجتمع – دراسة فى علم الاجتماع الاقتصادى، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠٢.
١- التربية والمجتمع – دراسة فى علم اجتماع التربية – الإسكندرية، المكتب العربى الحديث، ٢٠٠٢.
٢- الأسرة والمجتمع – دراسة فى علم اجتماع الأسرة، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٣.

القانون والمجتمغ – دراسة فى علم الاجتماع القانونى – الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠٢.
الدين والمجتمع – دراسة فى علم الاجتماع الدينى. مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٤.
الأدب والمجتمع – دراسة فى علم اجتماع الأدب. المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠٤.
السكان من منظور علم الاجتماع، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠١.
العلمانية والعولمة من منظور علم الاجتماع. مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٤.
التغير الاجتماعى والتنمية السياسية فى المجتمعات النامية – دراسة فى علم الاجتماع السياسى، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثانية، ١٩٩٧.
الجريمة – دراسة فى علم الاجتماع الجنائى، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٥.
التطرف والإرهاب من منظور علم الاجتماع، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٢.
الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٨٩.
تطور النظم الاجتماعية وأثرها فى الفرد والمجتمع، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث،الطبعة الثالثة، ١٩٩٣.

٣٠- العلاقـات العامـة والإعـلام مـن منظور علم الاجتماع، الإسـكندرية، المكتـب الجـامعى الحديث، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٣.

٣١- العلاقـات الإنسانية فى مجالات : علم النفس، علم الاجتماع، علم الإدارة، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٩٧.

٣٢- العلاقـات الاجتماعية فى القوات المسلحة - دراسة فى علم الاجـتماع العسكرى، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٩٩.

٣٣- الطفـل - دراسـة فـى علم الاجتماع النفسى، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠.

٣٤- الأسـس النفسـية والاجتماعـية للابتكار - دراسة فى علم الاجـتماع النفسـى، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠٠.

٣٥- علـم اجتماع المرأة، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٩٨.

٣٦- علـم الاجـتماع الأخلاقـى، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠٠.

٣٧- علم اجتماع التنظيم. مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٤.

٣٨- الفولكلـور والفـنون الشـعبية مـن منظور علم الاجتماع، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٩٣.

- دور المتغيــرات الاجتماعية فى الطب والأمراض – دراسة فـــى علـــم الاجـــتماع الطبى، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثانية، ١٩٩٩.
- علم الاجتماع الطبى لشعب التمريض بالمعاهد الفنية الصحية، القاهـــرة، وزارة الصـــحة بالاشـــتراك مع منظمة الصحة العالمية، ١٩٩٧.
- الانثـــروبولوجيا فـــى المجال النظرى، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثانية، ١٩٩٧.
- الانثـــروبولوجيا فـــى المجال التطبيقى، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٨٩.
- الانثروبولوجيا فى المجالين النظرى والتطبيقى، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠٣.
- بالاشـــتراك مـــع الأستاذ الدكتور / عبد الهادى الجوهرى – دراســـات فى الانثروبولوجيا، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الرابعة، ٢٠٠١.
- مشـــاكل وقضـــايا معاصـــرة، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٩٧.
- أضواء على الحياة الاجتماعية، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٩٧.
- سلوكيات، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠١.

٤٩- المجـــتمع – الـــثقافة الشخصـــية، دراسة فى علم الاجتماع النفسي، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٤





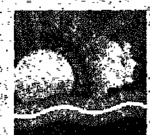












مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ شارع د. مصطفى مشرفة
تليفاكس: ٤٨٧٨٤٧٢ إسكندرية